شذرات ثقافية

مقالات في الثقافة والفكر والتاريخ



بن علي محمد الصالح

شذرات ثقافية

مقالات في الثقافة والفكر والتاريخ



بن علي محمد الصالح

بدعم من: شركة الجديد للصحافة . الوادي

عنوان الكتاب:

شذرات ثقافية

مقالات في الثقافة والفكر والتاريخ

تأليف الأستاذ:

بن علي محمد الصالح



ISBN:978-9931-625-74-2

الإيداع القانوني:
جـــوان 2020

تقديم

من دواعي سروري أن يتصل بي طالب من طلبتي الأعزّاء، ويعرض عليّ طلبه المتمثّل في الاطّلاع على هذا العمل الثّقافي، وكتابة تقديم له قبل وصوله إلى المطبعة، رحّبت بالفكرة رغم أشغالي الكثيرة، لثقتي فيه ومعرفتي إياه منذ زمن طويل.

محمد الصالح بن علي من الرّجال القلائل الذين قدّموا للتّربية زهرة شبابهم، فكوّنوا وصنعوا جيلا من الشّباب المثقّف، والمحبّ للعلم، الطّالب للمعرفة، وكان المثال والقدوة، حين رجع إلى المذاكرة والدّرس وحاز على شهادة الباكالوريا من جديد، ودخل الجامعة في خريف العمر، يحدوه الطّموح وهو النّشيط الذي لا تذوي له عزيمة، ولا تفتر له إرادة، في تقديم الحصص الثّقافية، والمشاركة في الإبداع الثّقافي عبر الكتابة الصّحفية الواعية، وعبر أثير الإذاعة.

وما هذه المقالات التي هي بين يديّ إلا دليلا على حبّه للكتابة، وتفانيه في خوض غمارها، وقد تشرّفت بالاطلاع على هذا الكم الهائل من المقالات، فوجدتها متنوعة بين الثّقافة والفكر والتّاريخ، تتحدّث عن موضوعات طريفة يغفل عنها الكثير من الكتّاب، وهي كنوز مطمورة يحاول الكاتب محمد الصالح إزالة ما علق بها من أكوام السّنين المتعاقبة، فيقدّمها في أبهى صورة وأجمل وجه.

هذا عمل يستحقّ النّشر، ويستحقّ القراءة والاطلاع والدّراسة، والتزوّد بما فيه من قيم وجمال وفكر ينتفع به جمهور القرّاء، المتعطّشين إلى المعرفة الوطنية والمحلّية.

دامت الإرادة، ودام العزم، وكنت وستظلّ دوما قدوة في البذل والعطاء، وومضة فكرية تنير طريق أجيال لاحقة، وشعارنا دوما طلب العلم، والسّهر للاغتراف من مناهل عذب المعرفة، فأمّة تقرأ أمّة حيّة لا تقهرها قوّة، ولا تضعفها شدّة، وشعب يدوّن تاريخه شعب له جذور، وله ماض يشدّه نحو الأصالة، وينطلق به نحو الرّقي و إثبات الذّات، وشقّ الطّريق نحو المستقبل.

وإنّي على يقين أن يلقى هذا العمل قبولا وترحابا، لما فيه من معان سـامية، ومعلومات ثرية مفيدة، ومتنوّعة تنوّع اهتمام القارئ، بين الثّقافة والفكروالتّاريخ الوطني والمحلّي، ويشكّل إضافة لها قيمتها العلمية والفنّية.

د. محمد الصالح زغدي

12 جانفي 2020

مقدمة

قبل أربع سنوات وبالضبط في أوائل شهر أفريل من سنة 2016، طلبت منّي إدارة جريدة "الجديد اليومي" تدعيم ركنها الثقافي بما أراه مناسبا، وبعد تفكير وتشاور مع المشرفين على هذا الرّكن، لم نجد أفضل من عمود أسبوعي ثقافي، بالمفهوم التقني للعمود، واتفقنا على تسميته "شذرات ثقافية"، وأن يصدر كل يوم أحد، وهنا توجّست خيفة وتبادر إلى ذهني أكثر من سؤال:

- كيف يمكنني أن أستمر وأساس هذا العمل الاستمرارية وطول النّفس؟
- كيف يمكن أن أُوصِل الرّأي والفكرة في عدد محدود من الكلمات كما تنصّ الضّوابط التّقنية للعمود الصحفيّ؟
- هل أتوفّق وأصل إلى مستوى فنّي يجعل من عمود "شذرات ثقافية" رابط متين بيني وبين القارئ، ومنه إلى رابط أمتن بين القارئ والجريدة؟

لكن كلّ هذه الهواجس والمخاوف والتساؤلات؛ سرعان ما تحوّلت إلى مصدر قوّة، مع الدّافع وأنّ القضية تتعلق بأداء رسالة، أجتهد في أدائها بما سمح الجهد والقدرة، كما أجتهد وأتعهّد مع النّفس أن لا أمسّ بثوابت الأمّة الجزائرية ومقوّمات الوطن ورموزه، ولا بكرامة أي شخص مهما كان دينه أو عرقه أو مذهبه أو اتجاهه، ولا بالقيم الإنسانية عامّة، إلا ما اقتضته ضرورة النّقد البنّاء بعيدا عن الشّخصنة والتّشهير والجنوح إلى التّعميم.

وكانت الانطلاقة بأوّل عمود صدر في الأسبوع الأخير من شهر أفريل، وتناول الحدث السّائد حينها وهو الاحتفال بـ "شهر التّراث"، فكان عنوان العمود: "قيمة التّراث في شهر التّراث"، وحدث ما لم أكن أتوقّعه وانتظره، حيث وجدت من التّشجيع ما أرسى قدمي وثبّتني لمواصلة خوض غمار التّجربة، ووصلت إلى نتيجة هامّة وهي التأكّد ورصد بل وحصر وضبط قرّاء العمود وتصنيفهم، من خلال اتصالاتهم وملاحظاتهم، وأسئلتهم المتكرّرة واقتراحاتهم لطرح مواضيع يرونها مهمّة، ثم ازداد عدد القرّاء وتنوّعت أصنافهم وأعمارهم وتخصّصاتهم عندما تعهّدت نشر

العمود بعد صدوره في الجريدة، على شكل قُصاصة بصفحتي على "فيس بوك"، ومن ثمّ أصبح التّفاعل ومناقشة محتوى العمود على المباشر طيلة الفترة التي تفصل بين العمودين، وقد استفدت كثيرا من توجيهات وتعليقات القرّاء والمتفاعلين، بل أكثر من ذلك أصبح عدد منهم شريك فعلي في اقتراح واختيار المواضيع، وربّما كانت المقوّم والحافز لتطوير مستوى اللّغة مع الحفاظ على تيسيرها بالقدر الكافي لتصل إلى الجميع؛ باعتبارها لغة صحفية، والاعتماد على الأسلوب المباشر في كثير من الأحيان.

وتمرّ الأيام وندخل العام الخامس والعمود يصدر تباعا، ويغيب أحيانا في الحالات الخاصّة وفي العطل والضرورات، وبقي طول هذه المدّة وهو على نفس الخطّ، مع رصد لبعض الأحداث والفعاليات الثقافية المحيطة، وعدم إهمال المناسبات المهمّة التي تتزامن مع تاريخ إصدار العمود، وسيلمس القارئ الكريم ذلك جليًا عند القراءة، وليأخذ ذلك بعين الاعتبار، ولهذا تعمّدت وضع تاريخ المقالة تحت عنوانها للإحاطة بسياقها وظروف كتابتها واختيارها.

واستجابة لمطلب مُلحّ بداخلي، وإشارات بعض الأصدقاء لجمع هذه المقالات وطباعتها على شكل كتاب، وبعد توفّر العدد الذي يستوفي الكتاب من المقالات المختارة، وفحصها وتنقيحها وتنسيقها وعرضها على من ارتحت لتقييمهم ورأيهم، ها هي تؤثّث كتاب:

"شذرات ثقافية - مقالات في الثقافة والفكر والتاريخ".

وكان بالإمكان تبويب هذا الكتاب إلى ثلاثة أبواب:

.باب المقالات الثّقافية.

.باب المقالات الفكرية

.باب المقالات التّاريخية

لكن وبعد أخذ وردّ تمّ تفضيل منهج التسلسل التّاريخي للمقالات، لأنّ معظمها مرتبط بتاريخ ومناسبة، ولذلك جاءت مادّة الكتاب متتالية ومتواصلة حسب تاريخ نشرها بالجريدة، ولا علاقة بين ترتيبها وقيمتها وأهمّيتها.

وكما هو ملاحظ يوجد التّاريخ تحت المقالة، وهو تاريخ نشــرها في الجريدة هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك علاقة بين التّاريخ والمقالة، وكمثال على ذلك سيجد القارئ الكريم موضوع:

"الشّهيد في بلد الشّهداء"

قد نُشر يوم: 18 فيفري 2018، أي بمناسبة اليوم الوطنيّ للشّهيد، ويبدو هذا أفضل حتّى يكون القارئ مهيأ ذهنيا لتقبّل الموضوع في سياقه التّاريخي والمناسباتي، ويقف على علّة كتابة المقال والظروف المحيطة به.

وفي الأخيـــر ومهما كان مســتوى هذا العمل، فالكتابة شــهادة وخلود، فما نكتبه اليوم هو شـاهد عصـرنا، وصـورة ناصـعة واضـحة عن طبيعة ثقافة الزّمن الذي أُنشــئت فيه، وهي خلود لأنّها تخلّد قناعاتنا وعصـــارة أفكارنا ما دامت الأيّام بالنّاس، وتنقل تجاربنا للأجيال القادمة، ومهما كانت قيمة ما نكتبه اليوم، فإنّه سيستمدّ قوّته أكثــر من تقادمه التّاريخي، وسيأخذ حقّه بالدّراسة بعد زمن غيــر زمانه وبكلّ موضوعية بسبب التّباعد الزّمني بين المنشئ للنّص، وبين النّص كمادّة خالصة يتمّ التّعامل معها بعيدًا عن مُنشئِها.

نأمل أن يكون هذا الكتاب لبنة جديدة في بناء الصّــرح الثّقافي، وإضــافة تثري المكتبة المحلّية والوطنية، وأن تعمّ فوائده، وتنفع عوائده.

بن علي محمد الصالح

24 أفريل 2020

قيمة التّراث في شهر التّراث

24 أفريل 2016

ونحن نحتفل بشهر التّراث الذي يبدأ من الثّامن عشر من شهر أفريل الذي يصادف اليوم العالمي للمعالم والمو اقع الأثرية، وينتهي يوم الثّامن عشر من شهر ماي اليوم العالمي للمتاحف، لا بدّ أن نثمّن العمل الجميل الذي أقرّه المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتّربية والعلوم والثّقافة سنة 1972 لحماية التّراث الإنساني، لكن أجمل منه أن يُستوحى شعار الاحتفالية في الجز ائر لهذه السّنة من صميم الو اقع المعيش "التّراث الثّقافي قيمة اقتصادية".

وقبل أن يكون التّراث قيمة اقتصادية فهو مقوّم من مقوّمات أيّ أمّة، ودليل هويتها، والعاكس لشخصيتها، وشاهد تاريخها، ورمز مجدها وعر اقتها وتميّزها، وبمفهومه الأشمل فالتّراث والورث والإرث والميراث هي كل ما وُرث، وقيل: الورث والميراث في المال، والإرث في الحسب، والخلاصة أن الورث والإرث والميراث والتّراث هي كلمات لمفهوم واحد، تعني كل ما ورث و انتقل من السّابق إلى اللاّحق من مال وعلم وحسب ونسب ونحو ذلك[1].

ويمكن أن نميّز بين شقّين في التّراث؛ التّراث المادّي هو ما خلفه الأجداد من منشآت ثابتة كالمساجد والقصور والحصون والقلاع والأبراج والحمّامات ونحوها، كما لا نغفل الآثار المنقولة كالأدوات والأو اني والتّحف، والتّراث الطبيعي كالجبال والأنهار ومو اقع الجمال الطبيعية كيفما كانت.

أمّا التّراث اللامادي - المعنوي - فيشمل العادات والتقاليد والفلكلور الشّعبي كالأشعار والحكايات والأمثال والألغاز والملاحم والسير والأساطير والأغاني والأهازيج والفنون الشّعبية ومختلف فنون القول.

وإذا كان لكلّ حضارة مظاهر أساسية تقوم عليها، وهي المظهر السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثّقافي؛ فإنّ أخلد هذه المظاهر و أبقاها هو المظهر

1 ينظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط03، سنة 1414 هـ، ج02، ص 200.

الثّقافي المنضوي تحته التّــراث خاصّة في شقّه المادّي الذي يقف صامدًا وشاهدًا وحاملاً لهويّة الأمّة وتاريخها.

فمن الطبيعي أن يكون تراثنا رمز عزّتنا، ومنبع مفاخرنا، ومصـــدر من مصادر تاريخنا، لكنّ النظرة الدّونية للتّراث عند البعض كرّست لثقافة اللامبالاة، والوصـول إلى حدّ تهميشــه وتصـنيفه ضـمن بقايا الماضـي الذي تجاوزه الزّمن ولا يصلح لبناء المستقبل، وحين نقلب الصّورة يمكن أن ندرك قيمة التّـراث فيما فعله المسـتعمر ضـمن خطّة مُمنهجة لمحو وطمس تراث الأمّة الجزائرية، وتحويل معالمها المعمارية إلى كنائس ومرابض للخيول وثكنات عســكرية، والعبث بالتّراث المعنوي وسـرقته والتّقليل من شـأنه تحت أسـماء متعدّدة، كسـبيل وحيد لإدخال الشّـعب الجزائري في طريق دون معالم، وحينها يتمكّن من بســط نفوذه ويقود ويســود على شعب مُجتثّ الجذور كما يزعم ويخطّط.

ولما كان التّــراث بهذه الأهمّية، فإنّها ستزداد أهمّيته لو تمكنّا فعلا من جعل التّــراث قيمة اقتصـادية؛ في عالم يحكمه الاقتصـاد ويتصـارع من أجله، ولأصـبح التّــراث محميًّا ومرمّمًا مِمّا يُنتجه، حين يتحوّل هذا التّـــراث إلى مورد اقتصـادي حقيقي، بعوائده المباشـرة وغيـــر المباشـرة، فالمناطق التّراثية والأثرية هي مواطن جذب ســياحية وعمرانية وثقافية تتحرّك من حولها عجلة التّنمية وتســهم في امتصـاص اليد العاملة في مجال الخدمات السّـياحية، واليد العاملة التّـــي تطلب كفاف العيش، واليد العاملة الحرفية والفنّية، التي توظّف التّـراث في أعمال تُلفت أنظار النّاس.

فعندما نصـل فعلا لأن يكون التّـــراث قيمة اقتصـادية حينها لا نخاف على التّـــراث بمختلف أصـنافه من التّلف والضّـياع والاندثار، وتترسّخ في الأذهان بأنّه مُنتج للثـــروة مثله مثل المصـــنع والمنجم والأرض ونحوها، وما ينتفع به الجميع ويضمن قوت الجميع يحرسه ويقف لبقائه الجميع.

حرّية التّعبير. تربية، ثقافة، وأخلاق

02 ماي 2016

عندما أقرّت الجمعية العامّة للأمم المتّحدة سنة 1993 يوم الثّالث من شهر ماي كيوم عالمي لحرّية التّعبير والصّحافة، بناء على توصية اعتمدتها الدّورة السّادسة والعشرون للمؤتمر العام لليونسكو، لترقية حرّية التّعبير والرّأي والإبداع، ومنذ ذلك الوقت ورغم شمولية وفضفضة مصطلح "حرّية التّعبير" فإنّ التّركيز يتمّ على حرّية التّعبير في الصحافة، بل حصره البعض باسم "اليوم العالمي للصّحافة" وربّما يرجع ذلك إلى النّداء الذي وجّهه الصّحافيون الأفارقة عام 1991 من مدينة ويندهوك - عاصمة ناميبيا - المنادي بحرّية وتعدّدية واستقلال وسائل الإعلام، وعرف هـ النّداء بـ "إعلان ويندهوك".

لكنّ حرّية التّعبير لا تقتصر على الصّحافة وحدها، بل هي حقّ أساسي مكفول للجميع بموجب كلّ الشّرائع والقوانين، وقبل ظهور المنّظمات الدّولية الرّاعية للحقوق والواجبات، ها هو الفيلسوف البريطاني "جون ستيوارت ميل" (1806- 1873) يطالب بحرّية التّعبير منذ منتصف القرن التّاسع عشر، ويضع تصوّرًا شاملاً لهذا الموضوع في كتابه المعروف "عن الحرّية"، وأشهر ما جاء فيه من مبادئ: "إنّ البشر جميعًا لو اجتمعوا على رأيّ، وخالفهم في هذا الرّأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، بنفس القدر الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتّى لو كانت له القوّة والسّلطة"[1].

وقبل أن نجعل لحرّية التّعبير يومًا أو نفرضها بالقانون، كان من الأفضل أن تكون حرّية الرّأي والتّعبير للصّحافة ولغير الصّحافة قيمة تربوية، تبدأ مع سنّ الطفولة وتتدرّج مع عمر الإنسان، لأنّ محاولة غرسها وتكريسها في مناسبة ما، وفي مرحلة من العمر يكون الإنسان قد تطّبع فيها بطبائع وتكوّنت معالم شخصيته،

---

1 أمارتيا سن: السلام والمجتمع الديمقراطي، ترجمة: روز شوملي مصلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت، ط01، سنة 2016، ص 183.

وتثبّتت فيها مدى ممارسته لحرّية التّعبيــر وتقبّله للرّأي الآخر، يبقى مجرّد محاولة قد تنجح نسبيًا وقد يخيب فيها المسعى.

فالطّفل الذي يسمع في البيت مائة "لا" و"نعم" واحدة طيلة اليوم، والطّفل الذي يُؤمر بالسّكوت وعدم الإدلاء بر أيه بحجّة صغر سنّه، والطّفل الذي تُمارس عليه الوصاية والرّقابة المشدّدة بدل التوجيه والإقناع والتّحصين، والطّفل الذي يُؤنّب ويُوبّخ حين يخطئ ولا يُثمّن صوابه حين يُصيب، والتّلميذ الذي يقهره معلّمه بالسّكوت ويطلب منه أن يكون صنمًا في القسم، والتّلميذ الذي يُرَصّ ويُحشى بالمعلومات وإن ناقش فيها و أبدى رأيه أُعتبر متمرّدًا إن لم يوصف بسوء الأدب، والطّالب الذي تُسلط عليه العقوبة لأنّه اختلف رأيه عن رأي أستاذه في قضية حوارية ما، أو يُغمط حقّه لأنّه أجاب إجابة صحيحة بطريقة تختلف عن طريقة الأستاذ، كلّ هؤلاء لا يمكن أن تتجذّر حرّية التّعبيـر والرّأي والفكر والإبداع في تكوين شخصياتهم لتصبح فطرية الممارسة، عفوية التّطبيق، مُتجلّية ظاهرة في كلّ حركاتهم وسكناتهم وسلوك من سلوكاتهم.

ومهما اجتهدنا في إشاعة جوّ التحرّر في الرّأي والتّعبيـر، ومهما غرسنا ذلك في النفوس كقيمة تربوية، فهل تنجح على مستوى التّطبيق؟ في مجتمع فيه تقاليد وأعراف تحاصر أكثـر من التّـي تناصر، وفيه آذان تترصّد وتسمع أكثـر من العيون التّـي تقرأ، وعقول لا تحلّل وتناقش ما يخالفها من رأي، فتكون النّتيجة الاتّهام بالتمرّد والمروق وحتّى التّخوين والزّندقة أحيانا.

أمّا على المستوى الإعلامي فهل حرّية التّعبيـر تعني عند البعض التجرّد من المسؤولية والأخلاق؟ ليتحوّل هذا الحقّ لإشاعة الفوضى، وزرع الفتن، وتكريس ثقافة الحقد والكراهية، وإحياء النّعرات القبلية والعرقية والجهوية، وإذكاء الاختلافات المذهبية، وقذف النّاس بغيـر حقّ، والافتراء عليهم دون دليل، والسّطو على قيمهم العامّة، وعدم احترام مشاعرهم، والازدراء بما يحبّون ويؤمنون، والتّقليل من شأنهم واحتقار أفكارهم، والتّهوين من انجازاتهم، والتّشكيك في تاريخهم، وتقزيم عظمائهم، والاستهزاء برموزهم ومفاخرهم وأمجادهم، بل ذهب

البعض إلى الإشادة وتفخيم من نختلف معه، ويعتبرنا العدو الأكبر له لتوسيع الهوة بيننا وبينه، وتعميق الخلاف.

وهل حرّية التّعبير تعني عند البعض استعمال كلمات نابية وسوقية في وسائل الإعلام المختلفة؟ لنسمع ونقرأ في العناوين البارزة شكلاً ولونًا كلمات هي في الأصل تُدين من استعملها وتوحي إلى ما ينضح به صدره، مثل: "بهدله"، "سحقه"، "ضربه تحت الحزام"، "هاجمه"، "ضربه الضربة القاضية"، "منافق"، "شيّات"، "كذّاب"، "بيّاع"، "وصولي"، "لئيم" و"خائن" ونحوها من الكلمات السّوقية.

وهل تمخّضت حرّية التّعبير فأنجبت لنا حصصًا هدفها تسخين المتحاورين ليصلوا فيها إلى السِباب والشِتام والتّراشق بأبشع الأوصاف، ويصل فيها المُحاور إلى النّجاح حين يقذف أحد المتحاورين الآخر بكأس الماء، ويتصاعد نجاح المُحاور ليصل قمّته حين يُحوّل الفضاء إلى حلبة ملاكمة تُقلب فيه الطّاولة ويتعالى الصّراخ والصّياح، فنعطي بذلك لأطفالنا وشبابنا درسًا رائعًا - عفوا زائغًا - في حرّية التّعبير، وسلوك التّحاور، وتبادل الرّأي، وأدب الاختلاف.

إنّ حرّية التّعبير والرّأي في رأيّي قد تنجح بترسيم يوم يخصّها، وبالاحتفاليات التّحسيسية وسنّ القوانين، لكن يكتمل نجاحها عندما تُغرس في نفوس النّشء بالتّربية والاقتداء لتصبح ثقافة سائدة عند المُرسل والمُتلقّي، ومبدأ من مبادئ إعلامنا وفكرنا وإبداعنا ومختلف مناحي حياتنا، ونصل قمّة التّحضّر والإنسانية عندما تصبح حرّية التّعبير والرّأي تصدر من نفوس شريفة، وسرائر نظيفة، تحبّ الخير، وتحترم الغير، يوجّهها الأدب، وتقودها الأخلاق.

وبقياس يدعو إلى شيء من الغرابة، فإنّنا نُقيّد من حرّية العصفور ونضعه في القفص ليس كُرهًا واحتقارًا له؛ بل لنتمتّع بجمال ألوانه وعذوبة صوته، وهكذا بعض البشر وجب تقييد حرّية تعبيرهم وضبطها بالرّوادع ليصبح كلامهم عذبًا ورأيهم صائبًا وعادلاً لا يظلم أحدًا.

متى كانت الجرائم تصنع الحضارة والثّقافة؟

08 ماي 2016

تحت اسم التّعمير والتّمدّن والتّحضّر دخلت فرنسا إلى الجزائر وأطلقوا على ذلك استعمارًا، لكن واقع الحال كان دمارًا، وما وقع على الأرض كان تقويضًا لما بُني، وطمسًا للهويّة، ومحوًا للثّقافة، ومحاولة لنسف الحضارة.

وما كانت فرنسا لتصدّر الحضارة والتّمدّن والثّقافة الرّاقية وهي تمارس النّقيض، وما كان الشّعب الجزائري ليقبل بمدنية الدّخيل، وهو يملك - أي الشّعب الجزائري - معالم طريقه ومقوّمات الأمّة في أكمل مفهومها.

- وهل أعطت فرنسا المثل لتُلفت انتباه من طمحوا لمزيد من الرّقي الثّقافي والفكري؟
- وهل كانت يد فرنسا بيضاء نقية لتحوّل الشّياطين إلى ملائكة كما تتصوّر؟
- وهل كانت ممارستها على الأرض إعمارًا وإثمارًا؟ أو على الأقلّ المحافظة على ما وُجد عليها من مقدّرات مختلفة.
- وهل تدفّقت الرّحمات من صدور الجنرالات والجلادين الفرنسيين فحنّت لهم قلوب الجزائريين؟

لقد مارست فرنسا الدّمار، ولطخت تاريخها بالعار، وأثبتت أنها تسير نحو الانحدار، كما وصفها فيلسوفها "جان بول سارتر" (1905 - 1980) في كتابه الشهير "عارنا في الجزائر" بقوله:

"لقد حكموا علينا في الخارج بأنّنا شعب نسير في طريق الانحلال والانحدار منذ عام 1929 في رأي بعضهم وفي رأي الآخرين منذ عام 1918"[1].

لكنّ الصّواب أنّ الانحدار بدأ منذ اللّحظة الأولى، فالشّواهد كثيرة التّي تدين فرنسا وتفضح همجيتها، وتثبت انحطاطها، وتكشف ممارستها للخراب والفناء، منذ أن اغتصبت أرض الجزائر سنة 1830 بدأ التّنفيذ في أبشع صوره، ومن أكبر مجازرها، مجزرة مدينة البليدة يوم 26 نوفمبر 1830، حين أباد الضّابط "كلوزال" السّكان الذين بلغ عددهم آنذاك حوالي ألفي ساكن، وإبادة قبيلة "العوفية" بوادي الحرّاش ومصادرة ممتلكاتها يومي 06 و07 أفريل 1832 من طرف الجنرال "دي روفيغو"، وقبيلة بني صبيح سنة 1844، من طرف الجنرال

1 جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ ورقم الطبعة، ص 40.

"كافينياك"، أما القائد "بيليسيه" فقد أفنى قبيلة أولاد رياح اختناقا وحرقا في غار الحراشيش وكان عددهم أكثر من ألف فرد، بجبال الظهرة يومي 19 و20 جوان 1845، وما فعله الجنرال "هيربيون" وجنوده في واحة الزّعاطشة يوم 29 نوفمبر 1849، يندى له الجبين، فما سلم منهم الإنسان ولا الحيوان ولا واحات النّخيل، وفوق كل هذا أعدموا أكثر من ألف وخمسمائة على رأسهم الشيخ بوزيّان و ابنه[1].

أمّا الهمجية في أكمل صورها والانحطاط الحضاري الأكبر فقد تجلّى بأوضح مشاهده في أحداث الثّامن من ماي سنة 1945، كردّة فعل على مظاهرات سلمية هي حقّ مشروع وبتأطير من زعماء الحركة الوطنية، مغتنمين فرصة الاحتفال بعيد العمّال و انتهاء الحرب العالمية الثّانية، لمطالبة فرنسا بالوفاء بوعودها المتمثّلة في إعطاء الجزائريين استقلالهم مقابل مشاركتهم في الحرب إجباريًا، فكان الردّ ممنهجًا، القتل والتّدمير، الإعدام الجماعي، قَنبلة القرى والمداشر والأرياف وتسويتها على الأرض، والاعتقالات وحملات النّفي التي استمرت لمدّة أسبوع بمعظم مدن الشّرق الجزائري، و أبشع من ذلك كلّه راحت فرنسا تبرّر جريمتها وتقلّل من عدد الشّهداء وتعتبر أنّ عدد 45000 شهيدًا هو تهويل ومبالغة، ولم تكن مجزرة الثّامن من ماي هي الأخيرة.

وإن كانت المسؤولية القانونية حول جرائم الحرب وفق ما جاء به القانون الدّولي، يعرفها جيّدًا أهل القانون والاختصاص وهم من يتابعونها، فهناك مسؤولية معنوية تاريخية إنسانية حضارية يعرفها جيّدًا عقلاء النّاس، وأهل الضّمائر الحيّة، والمتشبّعون بالقيم الإنسانية الفاضلة، وهم من يتابعونها في محكمة التّاريخ وعبر التّاريخ ووفق المعايير التّي تعكس حضارة ومستوى ثقافة من ارتكب الجرائم.

فهل مرتكب الجرائم له من الذّوق السّليم والحسّ المرهف والثّقافة والرّقي ما يؤسّس لحضارة إنسانية؟

وهل يمكن أن يكون مُنظّرًا ومُصدّرًا للحرّية والفكر الحرّ وحقوق الإنسان؟

وهل عنده من الشّجاعة أن يتحدّث عن الحضارة والتّمدّن والتّأسيس لثقافة راقية مستنيرة؟

---

1 ينظر بشير بلاح: كرونولوجيا الجزائر 1830 إلى 2000، دار دزاير أنفو ـــ الجزائر، ط01، سنة 2013، الصفحات: 11، 15، 44، 51.

والجواب: هو السّؤال: متى كانت الجرائم تصنع الحضارة والثّقافة؟

بُناة الثّقافة والحضارة

15 ماي 2016

إنّ الذّين صنعوا الأمجاد وأسّسوا لحضارات متوازنة وأرسوا مقوّمات الثّقافة الرّاقية، هم طينة من البشر متشبّعة بالقيم الإنسانية: كالحقّ، الإخلاص، الرّحمة، الخير، حبّ الجمال، الذّوق الرّفيع، والمشاعر المرهفة، لأنّ طبيعة أيّ حضارة وتطوّرها وديمومتها من طبيعة القيم والأسس التّي بنيت عليها.

فمن امتلأ قلبه بالرّحمة، و اتّسم بذوق رفيع لن يكون مِعول هدم، ولن يرض بالأذى لأحد، ولن يكون من المصفّقين لليد التّي تنتج الخراب، فكيف يكون من صُنّاعه؟

فمثل هذه النّفس تريد أن تضمن حقّ الحياة للجميع، تريد العدل والإنصاف، تريد السّلام والأمن والآمان، تريد البناء، تريد الإعمار، تريد الثّقافة والتّنوير، تريد الحضارة.

وفي تاريخنا المضيء يجسّدها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، حين بعث يزيد بن أبي سفيان على رأس جيش إلى الشّام، وأوصاه:

"لا تقتلوا صبيًا، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، ولا مريضًا، ولا راهبًا، ولا تقطعوا مثمرًا، ولا تخرّبوا عامرًا، ولا تذبحوا بعيرًا ولا بقرة إلا لمأكل، ولا تغرقوا نخلاً، ولا تحرقوه"[1].

ولو تفنّن أهل التّشريع وأرباب المنظّمات الحقوقية والدّولية اليوم لإيجاد ميثاق حرب مثل الذي وضعه سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه، ما وجدوه، وإن اجتهدوا سوف لن يضمن ميثاقهم ما ضَمِنه أبو بكر.

وفي عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، جسّدها عمرو بن العاص حين أسّس إحدى العواصم الإسلامية، مدينة "الفُسطاط" سنة 641 م بجانب حصن

---

1 البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، سنة 2003، ج09، ص 153.

بابليون وعلى أطراف القاهرة اليوم، وقد بُنيت هذه المدينة بحسّ القائد المرهف ورقّة مشاعره ورحمته بحمامة، فبعدما فتح عمرو حصن بابليون أراد رفع "الفُسطاط" - والفُسطاط في اللّغة هو الخيمة - والمسير نحو الإسكندرية لإتمام فتح مصر، فإذا بحمامة فرّخت في أعلاه فأمر أن لا يقضّ الفُسطاط وأوصى أحد رجاله بحماية الحمامة، وعندما رجع إلى المكان وجد الحمامة قد أخذت فراخها وطارت، فاستبشر خيرًا وبنى مدينته التي سمّاها الفُسطاط.

فالأخلاق والقيم الإنسانية هي التّي تبني الحضارة التّي تسود، والثّقافة التّي تقود، فترتقي الأوطان، ويكرّم فيها الإنسان، ويتجلّى فيها المُعمّر، ويختفي فيها المُدمّر، والفرق شاسع شساعة الأرض عن السّماء، بين من يعمّر ومن يدمّر.

والسؤال الكبير: أين نصنّف ما يشهده عالمنا اليوم؟

أوطان تُخرّب، وأرواح تُزهق، و إنسانية تُهان، وكرامة تُهدر، وعمائر تُهدم، وأموال تُنهب، ومهما كانت الدّوافع والمبرّرات، فهل هؤلاء بُناة ثقافة وفكر وحضارة؟

مثقّفو الصّورة التّذكارية

22 ماي 2016

من طبيعة العمل الثّقافي أنّه عمل إبداعي يمارسه أهل المواهب، ويتقنه أهل الـمَلكات، ويستمرّ فيه أصحاب النّفس الطّويل، ويحرص عليه من آمنوا به كوسيلة لبناء مجتمع ينطلق من قِيمه ومقوّمات حضارته، وكلّهم قناعة بأنّ الإنسان بدون ثقافة هو إنسان بدون هوّية، وأنّ العمل بحقل الثّقافة هو أن تزرع البذور الطيّبة ولا تنتظر حصادها لنفسك بل انتظر حصادها للجميع، ولا يُجنى من حقل الثّقافة المكاسب ولا المناصب ولا السّلطة ولا الجاه.

ولذلك نجد اللاّهثون وراء المال والمغانم هم أبعد النّاس عن الثّقافة إلا النّزر اليسير منهم، وما أجمل أن يتمّ الجمع والتّزاوج بين المال والثّقافة، فيتثقّف المال بالثّقافة، وتنتعش الثّقافة بالمال!

لكن اليوم تبدّل الحال فغدت الثّقافة بمكاسبها، وحام حول حماها من ظنّوا أنّهم جهابذة الأدب، و أقطاب الإعلام، وفطاحل الفكر، وهم لا يملكون من هذه الألقاب إلّا ما توهّموه في رؤوسهم، واستغفلوا به بعض الغافلين فاعتقدوا أنّهم كذلك، وفي حقيقة أمرهم هم صيّادو اللّحظة الأخيرة، والمهرولون لقطف الثّمرة حين نُضجها، بعدما غرسها الغير ورعاها وسقاها حتّى آتت أُكلها.

وفي غمرة سير الفعل الثّقافي يتناسى هؤلاء جهود رجال الخفاء، أصحاب الفكرة، والمهيئون لها وصولا إلى التّنفيذ بعد وقت تُنهك فيه القُوى، ويطول فيه العمل، والعقول فيه تكلّ، والنّفوس فيه تملّ، ورغم ذلك تجدهم أكثر النّاس فرحًا وارتياحًا عندما تُكلّل جهودهم بالنّجاح وترى أعينهم الفعل الثّقافي يتحوّل من مجرّد فكرة ليتجسّد و اقعًا في الو اقع.

وحينها يصبح هؤلاء الجنود أكثر النّاس أحقّية بالشّكر والعرفان والتّكريم، فهم لا يطلبون المكاسب، بل هم في حاجة إلى كلمة طيّبة تُحفّزهم، ولفتة كريمة للاستمرار تدفعهم، وإشادة بما قدّموه من جهد جهيد، ليلتزموا بتقديم المزيد.

لكنّ ما يحدث أنّهم يُحرمون من أبســط حقّ لهم، حين يزاحمهم صــيّادو اللّحظة الأخيــرة بتصـدّرهم للصّـورة التّذكارية التّــي يُختم بها الفعل الثّقافي، ثمّ ينشرونها هنا وهناك في مو اقع التّواصل الاجتماعي، فيصبح الطفيليّ الحريص على مواعيد الغداء والعشـاء، وموعد التقاط الصّـورة التّذكارية، صـانع للفعل الثّقافي ومن طلائع المجنّـدين لإنجـاحـه في نظر من يســتغفلونهم، وربّمـا نلمس لهم بعض الأعذار، ففي الأصـل ليس لهم ما يقدّمونه للأنشـطة الثّقافية، بل ليس لهم القدرة على فهم بعض الأعمال الثّقافية، وأرادوا أن يكونوا من المثقّفين اللّامعين.

وليس عيبًا أن يسـعى الإنسـان بأن يكون في صـفّ المثقّفين، لكنّ العيب أن يختصـر مراحل الوصــول، فيســطو على جهود الآخرين، ويغمط حقوق أصـحاب الحقّ، ويقطف ثمرة لم يتعب في إنباتها ورعايتها، بدخوله ضــمن مثقّفي الصّــورة التّذكارية!

ويتحقّق حلم البطل محمّد بلوزداد!

29 ماي 2016

محمّد بلوزداد هذا الشّاب اليافع الطّموح الـمُحبّ لوطنه ولدينه، تقلّد أعظم مسؤولية وهي قيادة المنظّمة الخاصّة بتكليف من حزب الشّعب الجزائري سنة 1947، حين قرّر الحزب خلال مؤتمره في شهر فيفري إنشاء منظّمة سرّية تحضيرًا للكفاح المسلّح وكان عمره آنذاك لا يتجاوز الثّالثة والعشرين سنة.

وقد قاد محمّد بلوزداد المنظّمة الخاصّة بثبات وعزيمة إلى غاية سنة 1949 حين أصيب بمرض السّل، وتمّ نقله إلى باريس للعلاج باسم مستعار، وكان يزوره بعض قادة الحركة الوطنية والأصدقاء، وفي إحدى الزّيارات طلب منه صديق. والأرجح أنه المناضل أحمد بودة ـــ أن يفصح له عمّا يرغب، لكي يحضره له من الجزائر في الزّيارة القادمة.

- فردّ محمّد: إنّ ما أرغب فيه ليس من السّهل أن تحقّقه لي.

- فقال الصّديق: لا يغلى عليك شيء، وألحّ عليه في السّؤال.

- فأجابه محمّد: أريد أن أسمع صوت الآذان هنا في فرنسا[1].

وتوفي محمّد بلوزداد يوم الرّابع عشر من جانفي سنة 1952، ولم يشارك في الثّورة التّي هيأ وأسّس لها، لكن قام بواجبه، ونال نصيبه من قهر فرنسا، حين طاردته في الجبال والأحراش و"الدّواوير"[2] طيلة ترأسّه للمنظّمة الخاصّة، ويكفيه فخرًا أنّه كان يحلم بتحرير الجزائر، و"أسلمة" فرنسا.

واندلعت الثّورة التّحريرية، واستقلّت الجزائر، وهُزمت فرنسا الاستعمارية، لكنّها لم تنس ما حلم به البطل الشّاب، وما زالت تخاف من الآذان، وما زالت ترى على كل مئذنة يوجد محمّد بلوزداد.

---

1 ينظر جريدة البصائر، ركن رجال ومواقف ـــ محمد بلوزداد، عدد: 07 صفر 1438، الموافق لـ 07 نوفمبر 2016.

2 الدواوير: جمع دوّار، وهو محلّة صغيرة تتضمَّن عددا من الخيام ومن زرائب الماشية ينصبها العرب الرّحّل وبعض البنايات البسيطة، يمكن ترتيبها عمرانيا تحت القرية أو الدشرة.

فليس غريبا أن نسمع ونرى الحملة التّي يتعرّض لها مسجد الجزائر الأعظم من طرف أوساط فرنسية، أقلقها هذا الصّرح كأكبر رمز إسلامي سيثبّت الجزائر أكثر في مسارها الحضاري الطبيعي الذي ناضل من أجله البطل محمّد بلوزداد ومن سلكوا دربه، أقلقها هذا الصّرح لأنّه وفي نظرهم سيمحو رمزية كنيسة السيّدة الإفريقية المعتلية لهضبة زغّارة ببولوغين، التّي بناها المبشّر الفرنسي "لويس أنطوان بافي" كرمز للجزائر.

لا يروق لفرنسا الاستعمارية أن ترى أكبر ثالث مسجد في العالم يتجسّد على أرض الواقع وبمرسوم تنفيذي سيادي، وبقاعة صلاة تتّسع لمائة وعشرين ألف مصلّ، ودار للقرآن تتّسع لثلاثمئة مقعد لطلبة ما بعد التّدرّج، ومكتبة تتسع لألفي مقعد، ومركز إسلامي ثقافي، وقاعة محاضرات، ومتحف للفنّ والتّراث الإسلامي، ومركز للأبحاث حول تاريخ الجزائر، وعدّة ملاحق أخرى ضخمة منها الإدارية والتّجارية والتّرفيهية[1].

لكن الظاهر أنّ فرنسا الاستعمارية أكثر ما يخيفها مئذنة مسجد الجزائر الأعظم كأعلى مئذنة في العالم، خاصّة بعدما بدأت ترتفع ويرتسم ظلّها على بحر يصل طرفها الجنوبي، فهي ترى أن هذه المئذنة عربون وفاء لدرب البطل محمّد بلوزداد ومن سار على نهجه و اقتفى أثره، وما زالت لم تنس حلمه، بأن يسمع الآذان في فرنسا، لكن ماذا ستفعل وقد تحقّق حلم البطل محمّد بلوزداد؟

1 ينظر جريدة الحوار: مسجد الجزائر الأعظم. . القصة الكاملة (ملف)، عدد: 20 نوفمبر 2016.

التّربية البيئيّة

05 جوان 2016

حسب برنامج الأمم المتّحدة لشؤون البيئة فإنّ التّربية البيئية هي "العملية التّعليمية التّـــي تهدف إلى تنمية وعي المواطنين بالبيئة والمشــكلات المتعلقة بها، وتزويـدهم بـالمعرفـة والمهـارات والاتّجـاهـات، وكـذا تحمّـل المســؤوليـة الفرديـة والجماعية اتّجاه حلّ المشـكلات المعاصـرة، ومن ناحية أخرى العمل على منع ظهور مشكلات جديدة"[1].

وبقدر ما تهدف التّربية البيئية لإدراك العلاقة التـي تربط الإنسان بمحيطه وكيفية تعامله معها، فإنّها ستسهم في تحسين مستوى معاشه وراحته وضمان حياة كريمة للأجيال القادمة، من خلال المحافظة واستغلال المحيط ومقدراته الطبيعية اسـتغلالاً رشـيدًا، لأنّ ما وصلنا إليه اليوم من اسـتغلال فاحش للثـــروات وتحطيم للبيئة ينذر بكارثة مستقبلية أكبر مما يعيش عالمنا اليوم.

ولذلك تعالت أصـوات هنا وهناك تطالب بإيجاد حلّ لأزمة البيئة، أسـاسـه الإنســان ومنهجه تعميم وتطبيق التّربية البيئيّة لأنّها وحدها الكفيلة بتزويد النّشء وإكســـابهم الوعي المتجـذّر، والحسّ الرّفيع، والتـأقلم مع المحيط ومشـــكلاتـه، وتمنحهم المعارف والخبـــرات التـــي تساعدهم على تحديد المشـاكل، كما تحصّنهم بجملة من القيم والسّلوكيات التـــي تترسّخ بالجانب الوجداني للشّخصية الفردية والجمعية.

وعندما نذكر التّربية البيئيّة تقفز إلى أذهاننا المدرســة، وهل ســتكون مادة دراســية تدخل ضــمن برنامج العملية التّعليمية؟ ويا حبّذا لو تكون، وقد فكّرت في هذا الشأن العديد من المجتمعات، لكنّ كثافة المواد التي تثقل كاهل المتعلّم حالت دون ذلك عند البعض، فاتّجهت نحو الحلول البديلة كالأنشــطة الموازية وتشـجيع

---

1 كرم علي حافظ: الإعلام وقضايا البيئة، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط01، سنة 2017، ص 21.

النّوادي العلمية البيئيّة وسائر الأنشطة في المؤسّسات المكمّلة، وإدخال مواضيع البيئة ضمن الكتب المدرسية.

ودون إغفال دور المدرسة، فإنّ التّربية البيئيّة أساسها الأوّل الأسرة باعتبارها البيئة التي ينشأ فيها الطّفل، فإن سلمت هذه البيئة الضيّقة انعكست على شعور الطّفل وطبعت سلوكه أو العكس، خاصّة في سنّ ما قبل السّادسة أي مرحلة التّربية بالقدوة، فيكفي أن تضع الأمّ سلّة في البيت لتجد بيتها نظيفا ومريحا، وعلّمت ابنها سلوكًا حضاريًا راقيًا، ويكفي للأب أن لا يبذّر الماء وأن لا يلوّثه ليعطي درسًا عمليًا صامتًا، ويكفي للأخ الأكبر أن يغرس زهرة أو شجيرة في أصيص على شُرفة البيت ليتأثّر إخوته بصنيعه ويغرس فيهم حبّ الشّجرة ورعاية النّبات.

إنّ الطفل الذي اكتسب حاسّة الجمال والذّوق الرّفيع وقيم النّظافة والحفاظ على البيئة وترشيد الاستهلاك في البيت من طرف عائلته، سينعكس ما اكتسبه حتما على الشّارع ويتدرّج إلى الحيّ ثمّ يمتدّ إلى أبعد من ذلك، وسيؤثّر في أترابه ويكسبون ما كسب، وحينها يأتي دور بقية المؤسّسات لإرساء وتعميق ثقافة البيئة وإكمال دور الأسرة.

الفنّان.. في يومه الوطنيّ

12 جوان 2016

جميل جدًّا أن يكون للفنّان يوم وطنـــي، وأجمل منه أن يرتبط هذا اليوم بتاريخ استشهاد الفنّان "علي معاشي" يوم الثّامن من جوان سنة 1958 بساحة "كارنو" - ساحة الشّهداء حاليا - بمدينة تيارت، وعمره لا يتعدّى الحادية والثّلاثين سنة، وهو نموذج الفنّان المناضل الذي سخّر فنّه لخدمة وطنه برو ائعه الفنّية منها:

"يا بابور"، "تحت سماء الجز ائر"، "طريق وهران"، و"أنغام الجز ائر"...

فنّان يحمل في صدره همّ البناء، ويجعل من خدمة أمّته ووطنه قضية مركزية تدفعه وتحرّكه، فهو جدير بالاحتفاء والتّكريم، لأنّ الفنّان إذا صدق بحسّه، و أنتج بوعيه، و أبدع بما يخدم القيم الجمالية والإنسانية؛ أصبح من صُنّاع الحضارة ومن المخلّدين لها في جانبها الثّقافي، فوجب تحفيزه للمساهمة في التّأسيس لمجتمع تستيقظ فيه المشاعر والأحاسيس، ويرتقي فيه الذّوق والحسّ الجمالي الذي يدفعه لإدراك المحيط والتأمّل والتّفكير العميق، عكس ما يرتسم في أذهان النّاس، أنّ الفنّان هو الشّخص المرتبط بالهرج والمرج والعبث والانحطاط الخُلقي، وأنّ لقب الفنّان مقتصر على الـمُغنّي الذي لا يملك مؤهلا، ويعجز عن إجراء حوار سليم في لغته وبنيته، وللنّاس أكثر من عذر لأنّ وسائل الإعلام رسّخت فيهم الجانب السّلبي للفنّ، و أبرزت النّموذج السّيئ من الفنّانين، مع عدم إنكارنا لوجود هذا النّوع من الفنّ والفنّانين وهم قِلّة.

وهنا يتبادر سؤال إلى الذّهن: من هو الفنّان إذن؟ والجواب: الفنّان هو كلّ شخص قادر على إثارة عاطفة الجمال لدى الإنسان، وله القدرة على الإبداع والتّأسيس، فإن لم يكن كذلك فليس فنّانًا ولا ينتج الفنّ الجميل بمختلف أصنافه: فنّ الكلام، فنّ الأنغام، فنّ الأشكال، فنّ الألوان والخطوط، وفنّ الحركات.

وأنّ كلّ مبدع ينتج ما يمتّعنا وما يثير الدّهشة في نفوسنا ويوقظ الحسّ الجمالي الكامن فينا سواء كان إنتاجًا معنويًا أو ماديًا فهو فنّان، فالنّجار فنّان،

الحدّاد فنّان، البستاني فنّان، البنّاء فنّان، النحّات فنّان، الشّاعر فنّان، الموسيقي فنّان، والمطرب فنّان...

فإذا انطبقت هذه المقاييس على شخص فهو فنّان استحقّ التّكريم والتّقدير، ويوم واحد أطلقوا عليه "اليوم الوطنيّ للفنّان" قليل عليه، ومن واجبنا أن نحتفي به كلّ يوم، والأصل أنّ الفنّان المبدع الصّالح النّافع يحتفي به المجتمع كلّ يوم وكلّ ساعة من خلال ما يقدّمه من خدمة إبداعية راقية.

ومن النّاحية الرّسمية فإنّ تكريم الفنّان ما زال منقوصًا، والفنّان مجهول الهوّية لا يملك "بطاقة الفنّان" التي تثبت أهليته لممارسة الفنّ، وما زال يتخبّط في مشاكله الاجتماعية المختلفة، وما زال منسيًّا ومهمّشًا وهو في قمّة عطائه، ويُلتفت إليه في حالات ضعفه كالمرض والكبر، وينال حظّه من الشّهرة والتّعريف في الأيّام الأولى بعد وفاته ثمّ يُنسى، وما زال الفنّان يقطع مئات الكيلومترات وأحيانا الآلاف ليصل إلى مقرّ الدّيوان الوطني لحقوق التّأليف والحقوق المجاورة ليسجّل ويحمي أعماله، وهو في أحيان كثيرة لا يملك ثمن الرّحلة، وإن ملكها فقد اقتطعها من قوت من يعول، وكان من الممكن أن يكون ملحقًا أو ممثّلا للدّيوان في كلّ مديرية ثقافة ولائية لتوفير الجهد والوقت، ورغم كلّ هذا فإنّ اليوم الوطني للفنّان يبقى لمسة من لمسات الوفاء، فهنيئا للفنّان في يومه الوطنيّ.

فنّ التّضحية

19 جوان 2016

التّضحية هي بذل الأغلى من أجل الهدف الأسمى، كبذل النّفس، والمال، والوقت. . .، لكن أعلى مراتب التّضحية هي التّضحية بالنّفس، يقول الشاعر مسلم بن الوليد:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ، إِذْ ضَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا. . . وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ. [1]

ولمّا كان الجود بالنّفس أعلى مراتب الجود، فإنّ ما يُجاد له ومن أجله سيكون في أعلى مراتب ما نحبّ، وفي هرم التّصنيف يأتي الوطن، والوطن هو كل شيء في حياة الشّرفاء، تصبح النّفس رخيصة من أجل الذّود عنه وإعلاء قيمه ومقوّماته.

وعلى أرض الواقع فقد فعلها سيّد الشّرفاء وأوّل شهداء المقصلة في الجزائر الشّهيد أحمد زبانة، فقد أعطانا درسًا في فنّ التّضحية بالنّفس، حين قال: "إنّما الموت في سبيل الله حياة لا نهاية لها، والموت في سبيل الوطن إلا واجب".

الشهيد أحمد زبانة قبل ستّين سنة أي يوم التّاسع عشر من جوان سنة 1956 وفي حدود السّاعة الرّابعة صباحًا يقتحم حرّاس سجن سركاجي زنزانته وهو يقرأ القرآن، ويواجههم بأعلى درجات الثّبات، ويُساق نحو المقصلة ويردّد بصوت عال:

"أنّني مسرور جدًّا أن أكون أوّل جزائري يصعد المقصلة، بوجودنا أو بغيرنا تعيش الجزائر حرّة مستقلة"[2]، أما لسان الحال:

اشْنقُونِي، فلستُ أخْشَى حِبَالاً. . . واصْلبُونِي فَلستُ أخشَى حدِيدًا[3].

---

1 ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، سنة 1996، ج2، ص 279.

2 تاريخ الجزائر 1830- 1962، قرص من إنتاج المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، باب التراجم، سنة 2002.

3 مفدي زكرياء: اللهب المقدس، موفم للنشر – الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، سنة 2007، ص 18.

وقبل تنفيذ الحكم يترك لنا الشّهيد أحمد زبانة أبلغ درس في فنّ التّضحية، وأرقى المشاعر الإنسانية في رسالته الأخيرة المُزلزلة التي وجهها إلى أمّه و أقاربه، والتي يقول فيها:

"أقاربي الأعزّاء، أمّي العزيزة: أكتب إليكم، ولست أدري أتكون هذه الرّسالة هي الأخيرة... الله أعلم وحده، فإن أصابتني مصيبة كيفما كانت فلا تيأسوا من رحمة الله. إنّ الموت في سبيل الله حياة لا نهاية لها، والموت في سبيل الوطن إلا واجب، وقد أدّيتم واجبكم حيث ضحّيتم بأعزّ مخلوق لكم، ولا تبكوني بل افتخروا بي. وفي الختام تقبلوا تحية ابن وأخ كان دائما يحبّكم وكنتم دائما تحبّونه، ولعلها آخر تحية منّي إليكم، و إنّي أقدّمها إليك يا أمّي وإليك يا أبي، وإلى نورة والهوّاري وحليمة والحبيب وفاطمة وخيرة وصالح ودنيا وإليك يا أخي العزيز عبد القادر، وإلى جميع من يشارككم أحزانكم. الله أكبر وهو القائم بالقسط وحده"[1].

ابنكم وأخوكم الذي يعانقكم بكلّ فؤاده .

فهل يوجد في قاموس التّضحية والشّجاعة أبلغ ممّا قاله أحمد زبانة: "والموت في سبيل الوطن إلّا واجب"؟ وهل يوجد ما هو أبلغ وأشدّ وقعا على النّفس من هذه الوصية: "ولا تبكوني بل افتخروا بي"؟ لنكتشف أنّ التّضحية فنّ عظيم لا يتقنه كلّ النّاس.

1 تاريخ الجزائر 1830- 1962، المرجع السابق.

النّقد وصناعة المُبدع

26 جوان 2016

النّقد في أبسط معانيه الاصطلاحية هو تفحّص الشّيء وتمييز الجيّد من الرّديء، وإن تعدّدت وجهات النّقد ومناهجه و أنواعه؛ فإنّ إطاره العام هو البحث عن سلبيات و إيجابيات أفعال أو إبداعات أو قرارات الإنسان، أمّا أدبيًا فالنّقد هو عمل يمارسه النّاقد للكشف عن مواطن الجمال أو القبح في الأعمال الأدبية وموازنتها ومطابقتها مع موازين ومقاييس الإبداع المتعارف عليها، والهدف هو تقويم وتثمين العمل الأدبي والإبداعي عموما.

وللنّقد أسس ومقوّمات متّفق عليها، وشروط وجب أن تتوفّر في النّاقد منها: الموضوعية، شمولية وسعة الاطلاع، المرونة، القدرة على التّحليل، الحسّ المرهف والذّوق الرّفيع، وبالرّغم من ذلك فإنّ أهمّ قاعدة في النّقد هي قاعدة الحياد والمهنية والبعد عن الشّخصنة، فالنّقد هو تحليل وتشريح العمل الإبداعي كمنتوج، وكإضافة إلى الجهد الإنساني من أجل ترسيخ القيم الإنسانية، وإشاعة البهجة، ونشر الجمال وتقويم النّفس، فإن حقّق العمل الإبداعي هذه القيم، فلا يهمّ من أنتجه ولا تهمّ وجهة نظره و أفكاره ومذهبه ومعتقده.

والنّاقد الحقّ هو من يتعامل مع عمل إبداعي دون أن يبحث عن صاحبه، على الأقل في المرحلة الأولى، ليضيف قيمة ومصداقية لمنتوج، أو يقوّمه ليتدارك ما شابه من نقص فيرتقي.

لكن من غرائب هذا الزّمن أن ظهرت شطحات نقدية لشطحات أدبية عجيبة؛ جعلت ممن يرصف كلمات متنافرة لا علاقة لأوّلها بآخرها، ولا معناها بمبناها، ولا حركاتها بموسيقاها شاعرًا قديرًا متمكّنًا من صنعته، مرهفًا في إحساسه، ومن حشا صفحاته وسوّدها بكلمات متباينة فارغة لا تحمل إشكالاً ولا حبكًا ولا جمالاً، قصّاصًا بارعًا وأديبًا ألمعيا.

وفرّخ وتكاثر هذا النوع من الشّعراء والأدباء وراح البعض منهم يتطاول على أهل الفنّ والصّنعة من حُذّاق الأدب، وبتزكية ممن يتوهّمون أنّهم أرباب النّقد،

وبتطبيل المطبّلين أصحاب الأغراض المشبوهة الذين لا يفقهون من الإبداع إلا اسمه، ومن النّقد ولو رسمه، والأغرب من هذا كلّه أن وجدوا بعض المجلّات والجرائد السّاعية إلى تسويد صفحاتها، وتنضيد أعمدتها لتنشر لهم وتجعل خربشاتهم مادّة أساسية لأركانها الأدبية والثّقافية، والمؤكّد أنّ هذه الجرائد تنشر العمل دون قراءته، ولو تمّت القراءة وعرض العمل على أهل النّقد والاختصاص لتمّ رفض نشره، وهكذا رُسم انطباع في أذهان النّاس أنّ ما يُنشر يمثّل الإبداع الأدبي، لكن الفطرة السّليمة ترفض أن يكون العمل الأدبي بهذا الشّكل الهزيل الخالي من أيّ قيمة جمالية ولمسة فنّية، وحرارة عاطفية، وشحنة وجدانية، فيولد نصًّا أدبيًا باردًا لا يملك مقوّمات التأثير في المتلقّي.

وللخروج من معضلة النّقد الساذج والذّاتي المُحابي المتحيّز الذي أوجد هذا الأدب الهزيل، فكّر بعض المنظّرين في إيجاد مناهج وأساليب نقدية جديدة تتمحور حول النّص كنصّ مغلق، ومنها نظرية "موت المؤلّف" التي جاء بها النّاقد والمنظّر الفرنسي رولان بارت (1915- 1980) حيث يرفض أساليب القراءة والنّقد التي تعتمد على جوانب من هوّية المؤلف لاستخراج المعنى من العمل.

وقد تُسهم هذه النّظرية في تفعيل دور النّاقد الحقيقي الذي يتعامل مع النّص دون البحث عن صاحبه، فنتحوّل من قراءة المُبدع إلى قراءة الإبداع، وتصحيح مسارات النّقد، فنتحول من النّقد من أجل النّقد إلى النقد البنّاء الذي يُقوّم الإبداع ويصنع المُبدع.

العلم وثقافتنا الشّعبية

10 جويلية 2016

بالرّغم من فارق السّن بيني وبين صديقي الحاج محمّد الذي قارب عمره القرن، إلا أنّني لا أحسّ بأنّي أحدّث شيخًا، بل أتحدّث مع شاب مثقّف وموسوعة تاريخية وتراثية. فما طلبته ممّا لم تخطّه الأقلام وتسعه بطون الكتب؛ وجدته عنده وبكلّ يسر وسهولة، ولذلك لا أضيّع دقيقة دون سؤال أو نبش في التّاريخ حين أجالسه.

جئته زائرًا كعادتي قبل عيد الفطر بأيّام قلائل، وبعد أداء واجب التّحية، بادرني بالقول: "رمضان كامل" - أي ثلاثون يومًا - ولذلك فالعيد سيكون يوم الأربعاء، وسألته سريعا: وكيف عرفت ذلك؟

- فقال: تيقّنت من ذلك ليلة اكتمال القمر، وواصل كلامه وهو واثق ممّا يقول، وإن لم يكن العيد يوم الأربعاء نكون قد أكلنا يومًا من رمضان.

- فقلت له متعجّبًا: هذا العلم لا أتقنه لكن سأتأكّد من كلامك عندما أسمع و أقرأ ما يقوله علماء الفلك!

- فقال لي: أنا أحدّثك بالتّجربة! أكثر من خمسين سنة من عمري و أنا في ملكوت الله أراقب الطبيعة و أترصّد حركة النّجوم والقمر وخصائص الأيّام ومواصفات الفصول، فلا مدينة تنسيني وتشغلني وتفتن رؤيتي، ولا كهرباء يحجب عنّي ملاحظة السّماء، لأنّ حياتنا في البادية مرتبطة بالسّماء وما تجود به من مطر، والأرض وما تنبت من كلأ، فكان لزامًا أن نحاول معرفة أحوال الطّقس التي تسهم في انتعاش أرزاقنا وتُحسّن أحوالنا.

ولُمت نفسي، فالرّجل يحدّثني بهذه الثّقة، وبهذا الكمّ الهائل من التّجريب، و أنا أقول له سأتأكّد من كلامك بالرّجوع إلى علماء الفلك، لكنّني سرعان ما تداركت وقلت له:

- وكيف تعرف أحوال الطّقس؟ و أنا أعلم أنّ درجة الحرارة ستكون مرتفعة جدّا؛ حسبما أعلنت نشرة الأحوال الجوّية.

- فقال: هناك إشارة توحي بأنّ اليوم سيكون شديد الحرارة، فقلت له مسرعًا: وما الإشارة؟ وكيف عرفت ذلك؟

- فقال: هناك قاعدة أعرفها منذ كنت شابًّا تقول: "فِي الصّبَاحِ يُحرّكُ الشَّعْرةَ، وفِي القَايْلَة يُكَرْكِبُ البَعْرَة" بمعنى أن ريح الشّهيلي – القبلاوي - يتنسّم صباحًا في حركة هادئة جدًّا تداعب الشّعر، وحينما يصل القيلولة يشتدّ حرّه وتتسارع حركته حتّى يدحرج بعرة البعير في الصّحراء، زد على ذلك أنّ القمر البارحة توحي بأنّ اليوم سيكون ساخنًا.

- فقلت له: كيف؟

- قال: لونها مُحمرّومتوهج ويحيط بها "الرّدم" أي ضباب يشبه السّراب، وواصل لكن من طبيعة الشّهيلي أنّه يخفت بعد العصر ويفقد شدّته، ويقولون: "الغَرْبِي يبَاتْ ويعَشّي البَنَاتْ" أي أن ريح الشّهيلي يضعف عندما يقترب اللّيل فتتمكّن البنات من إشعال النّار وتحضير العشاء قديما في البادية، وراح الرّجل في حديث طويل يعطيني خصائص كل فصل وما يحدث فيه، ويسرد لي تجارب مارسها وعايشها.

فتعجّبت مما يملكه من علم لم تحمله طيّات الكتب، ولا يتقنه كثير من النّاس، بل وبعض العلماء المتخصّصين؛ خاصّة وقد تعلّق الأمر بشأن محلّي، وازداد تعجّبي عندما وجدت كلامه منطقيًا وصحيحًا على أرض الو اقع، وتيقّنت أنّ التّجربة معيار أساسي لكلّ علم يدرس الو اقع، وكما جاء في المنهج العلمي أنّ التّجربة هي مجموعة أفعال أو ملاحظات ورصد تتم ضمن سياق حلّ مسألة معيّنة، أو تساؤل لدعم أو تكذيب فرضية، أو بحث علمي يتعلق بظاهرة ما، غالبا تكون طبيعية.

وقلت في نفسي أليس ما قام به صديقي الحاج محمّد هو ضمن المنهج العلمي المبني على التّجربة؟ أليست ثقافتنا الشّعبية غنية بحقائق علمية مثبتة وفق المنهج التّجريبي؟ أليست ثقافتنا الشّعبية لها خبرات جديرة بالدّراسة والتّأصيل ويمكن أن يستفاد منها علميًا؟

نشأ العلم ملاكا طاهرًا

17 جويلية 2016

لقد كرّم الله سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل، الذي يمثّل النّور المهتدَى به، والميزان الذي يزن الأفعال والسّلوكات والأشياء لتميّيز جميلها عن قبيحها، محمودها عن مذمومها، وما ينفع منها وما يضرّ.

وبهذا العقل أحدث الإنسان ثورة لتسخير الطّبيعة لصالحه، وارتقى به إلى أعلى درجات العلم والمعرفة، وإلى آخر صيحات الإبداع والابتكار، وأصبحت عبقرية الإنسان لا حدود ولا قيود لها، ولا نستغرب لو تحوّلت هذه العبقرية من عبقرية البناء والتّعمير إلى عبقرية للتّخريب والدّمار عندما تتجرّد من إنسانيتها وتفقد أخلاقياتها.

وفي المسار العلمي للقرن العشرين كانت نقطة التّحوّل التي سقطت بها عبقرية الإنسان حين تمّ تفجير أوّل قنبلة نووية للاختبار يوم السّادس عشر من جويلية سنة 1945 بولاية "نيو مكسيكو" بأمريكا، وقد نجد ما يبرّر هذا الفعل حين يقف عند هذا الحدّ، باعتباره اختبارًا علميًّا، ونجاحًا لتجربة أراد أن يثبت العقل البشري قدرته وتحدّيه.

لكن وبعد أقل من شهر يعيش العالم انحدارًا أخلاقيًّا، حين سقطت أولى منتجات عبقرية التّخريب على مدينة "هيروشيما" يوم السّادس من أوت سنة 1945، ثم تسقط شقيقتها بعد ثلاثة أيّام على مدينة "ناكازاكي" يوم التّاسع من أوت سنة 1945، وكانت حصيلة هاتين القنبلتين النّوويتين إبادة جمع كبير من البشر أثناء لحظة الانفجار، وما يقارب ضعفي هذا العدد بعد سنوات من آثار الإشعاع كما جاء في بعض الإحصائيات، وبها يكون العالم قد شاهد حجم الكارثة والخراب لكي لا يتكرّر نفس الفعل في غير هذا المكان والزّمان.

لكنّ التّاريخ يعيد نفسه، وكأنّ فرنسا تحتفل بذكرى بهيجة، ففي نفس الموسم وبعد سنوات أي يوم الخامس عشر من جويلية سنة 1957 تنشئ مركز "رقّان" للأبحاث والتّجارب النّووية، لتروي عطشها وتشبع غريزة الخراب بتفجير

أوّل قنبلة نووية يوم الثّالث عشر من فيفري سنة 1960 والتـي أطلق عليها "اليربوع الأزرق"، ثمّ تلتها "اليربوع الأبيض" و"اليربوع الأحمر" ثمّ القنبلة الرّابعة والأخيـرة "اليربوع الأخضر" يوم 25 من أفريل سنة 1961[1].

وبقدر حجم ضحايا هذه التّفجيـرات لحظة تنفيذها فإنّ هؤلاء الخبـراء يعلمون أنّ الآثار المستقبليّة المترتّبة عن ذلك تصـل إلى 4500 سـنة والإشـعاعات النّووية تفعل فعلتها في الإنسان والحيوان والنّبات والطّبيعة عموما.

ومن أجل التحاق فرنسـا بالنّادي النّووي وإظهار عظمتها تجرّد العلم من الأخلاق، وتوجه مسـار الإبداع من خدمة البشـرية إلى تدميرها، وتحوّلت عبقرية البناء إلى عبقرية للهدم.

وإذا فقد العلم أخلاقياته فإنّه يصـبح للضّـرر أقرب، وللفسـاد أخدم، وللانحطاط أدنى، ولا يُرجى نفعه، ولا ننتظر منه أن يكون معول تأسّـيس لحضـارة تسود وتقود، وصدق الشاعر حافظ إبراهيم حين قال:

لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدَه... ما لم يتوّج ربُّه بخلاقِ

والعلمُ إن لم تكتنفهُ شمائلٌ... تُعْليهِ كان مطيةَ الإخفاقِ[2]

وما يشـهده عالمنا اليوم كانت نقطة بدايته يوم تمّ الفصـل بين العلم والأخلاق، يوم أهمل الإبداع العلمـي معيار النّفع والضـرّ، وتغاضـى عن خدمة الإنسان في أحيان كثيـرة، فتغيّـر مسار العلم وتحوّل من ملاك طاهر إلى شيطان رجيم، كما قال الشّاعر محمّد العيد آل خليفة:

نشأ العلمُ ملاكًا طاهرًا... واستحالَ اليّومَ شيطانًا رجيمَا.

أصبَحَ اليَومَ جحيمًا بعدمَا... كانَ بِالأمسِ على الأرضِ نعِيمَا[3]

---

1 المركز الوطني للدراسـات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954: التجارب النووية الفرنسـية في الجزائر، دراسات وبحوث وشهادات، ط1، سنة 2000، ص 40.

2 حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم: ضبط وتعليق وتصحيح: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط03، سنة 1987، ص 280.

3 محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، الشـركة الوطنية للنشـر والتوزيع ـــ الجزائر، ط01، سنة 1979، ص 336.

"الفيس بوك".. هل هو مرآة لشخصيتنا؟

24 جويلية 2016

بينما كنت أسعى مسرعًا لتلبية بعض طلبات البيت في السّوق المركزي، استوقفني صديق وركنني بشارع عتيق، وطلب منّي أن أسمعه، ورغم اعتذاراتي المتتالية إلا أنّه أصرّ على أن أسمعه، وأنّ ما سيحكيه لي في غاية الأهمّية، وقال:

ـــ لو تكرّمت صديقي أكتب ما سأحكيه، و أنشره كيفما تشاء، لأزيح همًّا يضايق صدري من جهة، ولعلّني أفيد النّاس ممّا وقفت عليه شخصيًّا من جهة أخرى.

أذعنت لطلبه وتهيّأت للمفاجأة، و انطلق الرّجل يحكي فقال:

ـ توفي جاري وترك ثلاث بنات وولد ذكر، ونظرًا لطيبته وحسن معاملته لي تعهّدت ذرّيته مثلما أتعهّد ذرّيتي، ومرّت الأيام وكبروا، وتخرّجت بنت المرحوم الكبرى من الجامعة، وتقدّم شاب لخطبتها، فأسرعت لتأخذ رأيّي وتطلب منّي أن أتقصّى أثر الشّاب في أصله وفصله وأخلاقه، ووجدت نفسي أحلّ محلّ المرحوم والدها، وأكلّف بمهمّة عظيمة ثقيلة جسيمة لم يسبق لي أن كُلفت بمثلها، لكنّ الثّقة التي وُضعت في شخصي، والحبّ الذي أكنّه للمرحوم، وواجب الوفاء له، آليت على نفسي أن أتحمّل المسؤولية وأسعى بكلّ ما أوتيت من قوّة لأجتهد فيما فيه سعادة الفتاة، وسلكت النّهج التّقليدي المتعارف بين النّاس؛ أن اتصل بجاره "فلان"، وصديقه "فلان"، والشّيخ "الفلاني" الذي يعرف الحسب والنسب، وجمعت ما يمكن جمعه حول الخاطب، وبدأت أضع الموازين لأرجّح بين محاسنه ومساوئه، وبين ما يقرّبه للقبول به، وما يبعده لأبرّر به الرّفض، وهو ما جعلني أدخل دوّامة من الهواجس المُخيفة خاصّة فيما تعلّق بخصوصيات المعني - أي الخاطب - وما زاد من قلقي أنّ أمّ الفتاة كانت تطلب منّي سرعة الفصل في الموضوع، لأنّها مثلي تمامًا لم تتعوّد، وهذه تجربتها الأولى.

يقول: وبعد تفكير عميق اهتديت إلى فكرة مثيرة، وهي أن أبحث عن الشّاب في "الفيس بوك" وبالفعل وجدت له حسابًا باسمه وصورته وتيقّنت من ذلك جيّدًا، ورحت أتابع كلّ منشوراته وتعليقاته وصداقاته وكلّ حركاته وسكناته،

فلمست بأنّه لا يتورّع عن السبّ والشّتم والقذف والاتّهام في ردوده، ولا يهاب الغيبة والمسّ بأعراض النّاس مع سـوء الظنّ بهم أحيانا، وعدم تقبّل رأي من يخالفه في أحيان كثيرة، ولا يخاف من أحكام التّجنّي أي أحكام التّعميم، ومن محاسبة النّاس فكأنّه موكل من الله لينوبه في حسـابهم على الأرض، ولم أجد عند هذا الشّـاب ما يوحي بأنّه سـيحاسـب نفسـه ويراجع سـلوكاته و أفعاله، وأخوف ما أخاف منه أن يعتقد بداخله بأنّه من المصلحين و أنّه سينال أجرًا كزبد البحر على ما يقوم به.

و أحسست براحة عظيمة بأنّني نجحت في تكوين رأيّ حوله، تمثّل في رفضه وعدم تزويجه الفتاة، لأنّ صفاته هذه ستنعكس حتمًا على عشيرة عمره، وسوف لن ترتاح مع مريض مزاج محتاج إلى علاج، وبلّغت ما تيقّنت منه إلى أمّ الفتاة، وبرّرت قرار الرّفض، لكنّ أمّ الفتاة لم تأخذ بقولي ووجدت من رجّح لها كفّة القبول وتمكّن من إقناعها، وزوّجت ابنتها وشـعارها "لا يوجد إنسـان كامل فالكمال لله وحده"، وما هي إلا أيّام قليلة حتّى أصبحت الفتاة تفضّل بيت أمّها عن بيت زوجها، وبدأت القطيعة بينهما إلى أن انتهت بالطلاق.

سـكت محدثّي وطأطأ رأسـه لكي لا أرى دمعته، لكن شـهقاته كشـفته، و اكتشفت مدى حبّه ووفائه لجاره المرحوم.

وفي ظلّ هذا الانكسار والصّمت الذي خيّم فوق رأسينا، تذكّرت سؤالا كنت دائما أسأله لنفسي: هل "الفيس بوك" هو فعلا مرآة لشخصيتنا؟ وفي نفس اللحظة أيقنت أنّ ما حكاه لي صديقي، هو الجواب الكافي والبلسم الشّافي!

وجهة نظر يابانية

31 جويلية 2016

لفت انتباهي كتاب "العرب وجهة نظر يابانية" للمفكّر الياباني المستعرب "نوبوأكي نوتوهارا"، وقرّرت أن اقرأه قراءة متأنّية، لأنّه وببساطة يعتبر ملخّص لوجهة نظر الآخر للعرب وأحوالهم، ويختلف الأمر عندما تكون وجهة نظر يابانية، على الأقلّ وحسب رأيي المتواضع، أنّها لا تتّسم بالعدوانية، ولا تعدّ محاولة لفهمنا والسّيطرة علينا هذا من جهة، ومن جهة ثانية لأنّ اليابان تشبهنا إلى حدّ كبير فيما عاشته من مأساة الحرب العالمية الثّانية، وكيف نهضت بتجربتها الهادئة الرّزينة، التي ستنعكس حتمًا على وجهة نظرها للآخر.

ومن المفيد أن نعلم أوّلا أنّ "نوبوأكي نوتوهارا" عاش حوالي أربعين عامًا بين العرب، دارسًا ومدرّسًا للغة العربية وآدابها، ومترجمًا لكثير من الأعمال الأدبية العربية إلى اليابانية، وقد لخّص وجهة نظره في كتابه هذا، الذي صدر سنة 2003، وتضمّن جملة من الآراء والانطباعات المهمّة لا يتّسع المقام هنا للتّفصيل فيها.

لكنّ المثير للدّهشة ما أورده المؤلّف حول الملكية العامّة في العالم العربي، حين يقول في الصّفحة الثّانية والثّلاثين:

"لقد فهمت أنّ كلّ ما يخصّ الملكية العامّة يعامله النّاس كأنّه عدو، فينتقمون منه، ولذلك نجد المقاعد في الحدائق العامّة مكسّرة أو مخلوعة، ونجد معظم مصابيح الشّوارع محطّمة، كما أنّ دورات المياه العامّة قذرة بصورة لا توصف، وحتّى المباني الحكومية فقد لحق بها كل أنواع التّخريب الممكنة، لقد فكّرت طويلا في ظاهرة تخريب الممتلكات العامّة، وفهمت أنّ المواطن العربي يقرن بين الأملاك العامّة والسّلطة، وهو نفسيًا في لا وعيه على الأقلّ ينتقم سلبيًا من السّلطة القمعية فيدمّر بانتقامه وطنه ومجتمعه بدلا من أنّ يدمّر السّلطة نفسها"[1].

---

1 نوبوأكي نوتوهارا: العرب وجهة نظريابانية، منشورات الجمل. ألمانيا. ط1، سنة 2003، ص 32.

ويقرّ المؤلف أنّ هـذه الظـاهرة كـانـت موجودة في المجتمع اليـابـاني وقـد اختفت، ولكنّها لم تختف منذ زمن طويل، أي إلـــى ما بعد الحرب العالمية الثّانية بسنوات، ويقول:

"ولكنّنا انتصـــرنا عليها وتحرّرنا منها وعرفنا مســـؤوليتنا عن الملكية العامّة معرفة جيّدة"[1].

ولا يمثّل هذا انطباعًا أو وجهة نظر بل يمثّل الجزء الأكبــــر من الحقيقة، بالنّظر إلى ما يحدث في و اقعنا، وهذه الحقيقة ليست ظاهرة مستعصية يستحيل علاجها، بل هي ظاهرة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتحرّر الفكري، واســتنارة العقول، ومدى تحمّل المسؤولية تجاه الجماعة، ومغالبة النّفس وكبحها لاحتـرام المجتمع في فكره وملكيته وقيمه ورموزه والتّضـحية من أجل ذلك، بعيدًا عن ربط المجتمع بالسّلطة، لأنّ السّلطة مآلها التّغييـر والزّوال، أمّا المجتمع خالد بخلود الدّولة، وإن ارتقى وتماســك المجتمع وأصــبح أمّة فإنّ أمر السّــلطة لم يعد مهمًّا كثيــرًا، وستنخفض فيه حدّة التشنّج الذي يؤدّي إلى الانتقام سلبيًا من السّلطة بتخريب الممتلكات العامّة من خلال الرّبط بينهما.

والحلّ الأمثل يتجسّــد في ترســيخ ثقافة فهم المصــطلحات، لكي نفرّق بين: الوطن، الدّولة، الشّــعب، الأمّة، والسّــلطة، لكي لا يســقط وطن، وتنهار دولة، ونضعف شعب، ونحطّم أمّة، في صراع غير مدروس مع سلطة.

---

1 نوبو أكي نوتوهارا: المرجع السابق، ص 32.

أمّ المعارك في وادي سوف

07 أوت 2016

بنظرة موضــوعية لمنطقة وادي ســوف ســنتأكّد أنّ هذه الأرض الرّملية الجرداء القاحلة لا تســاعد على خوض المعارك النّاجحة، فلا جبال، ولا مخابئ، ولا أشجار كثيفة، ولا بســاط حجري صلب تختفي فيه آثار المجاهدين، ولا مناخ ملائم، ولا قرب من المقرّات الكبــرى لقيادة الثّورة، وزد على هذا كلّه الحكم العســكري المباشــر، وبالرغم من كلّ هذا لم تتخلّف منطقة وادي ســوف عند اندلاع الثّورة، فقد كان مبرمجًا فيها عمليات عســكرية ليلة الفاتح من نوفمبر لولا ســجن بعض القادة، وبخروجهم تمّت أوّل معركة، وهي معركة حاســي خليفة يوم: 17 نوفمبر 1954، ثمّ معركة صحن الرّتم يوم: 15 مارس 1955، لتأتي بعدها معركة هود شيكة أيام: 08 و09 و10 أوت 1955، ولم تنته معارك جيش التّحرير في وادي ســوف بهذه المعركة.

إلا أنّ المعركة الأخيــرة؛ هي معركة ناجحة بكلّ المقاييس وأوّل نجاح لها أنّها جاءت في عزّ الصّــيف، وأنّها حصــدت أكبــر قدر ممكن من مقدّرات العدو، حوالي 150 قتيلا، و51 جريحا، وإســقاط 4 طائرات مقاتلة، وحرق 5 ســيارات عســكرية، وأنّها فكّت الحصــار عن منطقة الأوراس، حين اشــتدّ الخناق عليها وبتخطيط من الضبّاط الفرنسيين تحت إشراف الحاكم العام "روجــي ليونارد"، حينها استنجد القائد البشير شيحاني بالمناطق المجاورة لفكّ الحصار، فكانت هجومات الشّمال القســنطيني في الجهة الشّــمالية، أمّا في الجهة الجنوبية للأوراس فقد اختيــرت منطقة وادي ســوف؛ حين أرســل القائد شــيحاني في آخر شــهر جويلية 1955مجموعات قتالية متطوّعة بقيادة الشّهيد "حمّه لخضر"، والتــي وصلت إلى أرض ســوف في أوائل شــهر أوت 1955، وتمّ اكتشــاف المجموعات ومتابعتها، وقد اختار الشّــهيد "حمّه لخضــر" هود شــيكة كمكان محصّــن بالنّخيل والكيفان ليخوض معركة الشّرف التي استشهد فيها أكثر من ثلاثين مجاهدًا، ونجاة مجاهد واحد وآخر اُعتبِر من الشّهداء لكن كتب الله له حياة جديدة.

لكنّ أكبـــر نصـر حقّقته هذه المعركة بعد فكّ الحصـار عن الأوراس ولفت الانتباه للصّـحراء، أنّها كسـرت شـوكة السـفّاح "جاك سـوسـتال" الذي عُين في منتصف شهر فيفري سنة 1955 حاكمًا عامًّا على الجزائر، وخصّيصًا للقضاء عن الثّورة وإخماد جذوتها، لكنّ معركة هود شـيكة أخمدت جذوته ليجد نفسـه راكعًا ذليلاً يندب حظّه، وينـزل إلى أرض وادي سوف مبهوتًا رفقة كبار ضبّاطه ليقف على حجم خسـائره ويبكي قتلاه، وهزيمته الأكبـر أنّ نكسـته سـجّلها الشّـعر الثّوري الجزائري لتخلد بخلود الأجيال، يقول مفدي زكرياء في إلياذة الجزائر:

أننسَى ثلاثة أيّامِ نَحسٍ... وسوستالُ يندبُ في النَّائحينَ

وأخضرُ يحصدُ حُمرَ الحوا... صلِ فيها، ويقطعُ منها الوتينَ[1]

أمّا على المستوى المحلّي فلا يوجد شاعر في الفصيح أو الشّعبي إلا وكانت "أمّ المعارك" - معركة هود شيكة - وبطلها "حمّه لخضر" موضوعًا لقصيدته، خاصّة الشّـعراء الشّـعبيين الذين عايشـوا المعركة ووصـفوها أمثال: الشّـاعرة فاطمة منصوري، والشّـاعر عبد الرزّاق شـوشـاني، فضلا عن الشّـعراء الشّـباب الذين لم يحضروا المعركة لكن مجدّوها وخلدّوها في أشعارهم.

1 مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، ط1، سنة 1987، ص 76.

اليوم الوطنيّ للشّعر.. وحال الشّعر عندنا!

14 أوت 2016

عندما نتحدّث عن الشّعر الجزائري الذي خدم وواكب مسيرة الثّورة والتحرّر يتبادر إلى أذهاننا وعلى الفور الشّاعر الفذّ مفدي زكرياء كرمز من رموز النّضال بمختلف الوسائل، بالنّفس والمال والقلم، وهو من حباه الله بمناقب وخصال قلّما تجتمع عند شاعر آخر، وهي: الموهبة، الإخلاص، حبّ الوطن، سعة الثّقافة والإطلاع، والصّبر، فليس غريبًا أن يقدّم للوطن وللأدب الجزائري وللإنسانية جمعاء ما يعجز البعض عن تقديمه، وما يجعلنا نكنّ له كلّ هذا التقدير والاحترام، ويكفيه شرفًا لقب: "شاعر الثّورة الجزائرية".

ودون الدّخول في التّفاصيل في حياته فهو أشهر من نار على علم، لكن هناك محطّات لابدّ من الوقوف عندها، وأوّلها بدايته وهو في عمر الزّهور تفتّقت موهبته ليهدينا أوّل روائعه "إلى الريفيين" التي نشرها في جريدتي "لسان الشّعب" وجريدة "الصّواب" التّونسيتين سنة 1925، ثمّ في جريدة "اللّواء" و"الأخبار" المصريتين[1]، وهي قصيدة من البّحر المتقارب، ولدت كبيرة كبر موهبة الشّاعر، ولا تقلّ شأنًا عن باقي قصائده في آخر حياته الحبلى بالعديد من الإنجازات العظيمة، منها: كمّ هائل من الأناشيد الوطنية، ديوان اللّهب المقدّس سنة 1961، تحت ظلال الزّيتون سنة 1966، إلياذة الجزائر في ألف بيت وبيت سنة 1972، من وحي الأطلس سنة 1976، وأمجادنا تتكلّم سنة 2003.

والملفت للانتباه أنّ أغلب أعمال الشّاعر مفدي زكرياء منذ بدأ الشّعر وعمره سبعة عشر سنة إلى غاية وفاته وعمره يقارب السّبعين سنة تكاد تكون في نفس المستوى، وتحمل نفس الموضوع ونفس الهمّ، وفي نفس الاتّجاه الثّوري التّحرّري الوطني، وبنفس الأسلوب التّقليدي العمودي، وهذا يدلّ على أنّه شاعر

---

1 مفدي زكرياء: أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمعه وحققه: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء. الجزائر، ط1، سنة 2003، ص 01.

متمكّن من صـنعته، متحكّم فيها ومقتنع بما يقول، وواثق من نفسـه، ومتيقّن بأنّه صاحب رسالة، وأنّ شعره ثورة قلم موازية لثورة البندقية.

ولذلك كلّه جاء اليوم الوطني للشّـعر تخليدًا لذكرى وفاة شـاعر الثّورة مفدي زكرياء[1]، ونحن نحتفل بهذا اليوم سنويًا منذ ترسيمه، فكيف هو حال الشّعر عندنا؟ وهل ما زال الشّعر رساليًا مثلما كان عند شاعر الثّورة؟

والجواب: أنّ بعض الشّعر لم يعد شعرًا، وبعضه لا يخرج عن لملمة لشتات كلمات لا رابط بينها إلا ما تخيّله واضعها، وتفلسـف بعضـهم حتّـى غدا شـعرهم غموضًـا وطلاسـما، وتملّص بعضـهم من قواعد الشّـعر وراحوا يتحايلون تحت مسمّيات منها "الشّعر الحرّ" وهو بريء من تحريفاتهم فالشّعر الحرّ أو شعر التفعيلة له قواعده وضـوابطه، وقد فهمنا شـعر بدر شـاكر السـيّاب وشـعر نازك الملائكة وفدوى طوقان وإبداعات نزّار قبّاني ومحمود درويش وهم أرباب الشّـعر الحرّ، ولم نفهم هؤلاء الجُدد، واختبأ البعض تحت مسـمّيات عديدة منها: القصـيدة النّثرية، وشـعر العبث، والشّـعر الحداثي، والخواطر الشّـعرية. .، وأصـبح ميلاد القصـيدة أسهل من ميلاد جملة مفيدة، وميلاد الشّاعر "من السَّمَاء يطِيحْ فَـايِدْ" كما يقول المثل الشّعبي، وميلاد ديوان تكفيه سهرة، لكنّ طباعته مشقّة لنفور دور النّشر من طبعه، إلّا إذا كان على كاهل صـاحبه، بعدما تفطّنوا إلى ركود هذه الدّواوين في رفوف المكتبات وعزوف النّاس عن شـرائها، فلو كان شـاعر الثّورة الجزائرية بيننا لأعلن ثورة شـعرية جديدة على هذه التيّارات الحداثية المفرطة، والشـطحات الشّعرية المتنطّعة التي لا تحمل مضمونا ولا رسالة.

ولا يعنـي هذا أنّنا نرفض التّجديد والإبداع الشّـعري، لأنّ ما قد نرفضـه اليوم قد يكون مدرسـةً ومنهجًا شـعريًا في الغد، لكن نرفض هذه التنطّع الشّـعري الذي شوّه الشّعر.

---

1 توفي مفدي زكرياء يوم الأربعاء 2 رمضـان 1397هـــ، الموافق ليوم 17 أوت 1977م، بتونس، ونقل جثمانه إلى الجزائر، ليدفن بمسقط رأسه ببني يزقن ولاية غرداية .

الجرّافة الشّاهد

21 أوت 2016

جميل أن تقرأ التّاريخ، وجميل أن تقف على التّاريخ، والأجمل أن تلمس التّاريخ، والأجمل من ذلك كلّه أن يحدثك ويناجيك التّاريخ، ومن أجل تحقيق ذلك نُصبت المعالم، وحُفظت الشّواهد المادّية واللامادّية، وجُسّدت الأحداث التّاريخية بطرق متنوّعة لضمان خلودها ونقلها للأجيال القادمة.

ولست هنا لأتحدّث على سرد تاريخي لحدث، فإنّ ذلك من اختصاص المؤرّخين، لكن سأتحدّث عن خواطر ومشاعر تنتاب الإنسان عندما يقف أمام معلم يكاد ينطق ويتحدّث ويختصر الحدث.

فجريمة ملعب مدينة سكيكدة لا يمكن تجاهل بعض تفاصيلها ونحن نعيش ذكرى يوم المجاهد، وهو الملعب الذي عرف مجزرة جاءت كردّ فعل من طرف السّلطات الاستعمارية على هجمات الشّمال القسنطيني التي جرت في وضح النّهار واكتسحت أغلب مدن الشّرق وحقّقت نتائج باهرة منها فكّ الحصار على الأوراس، ورفع معنويات جنود جيش التّحرير، وإثبات أنّ الثّورة تنظيم محكم وليست مجرّد عمليات معزولة وقطّاع طرق كما تدّعي فرنسا.

وبقدر النّجاح الذي حقّقته هجمات الشّمال القسنطيني، بقدر ما كانت ردّة فعل السّلطات الاستعمارية همجية وفاقت كلّ الحدود، ولعلّ أشهر جرائمها ما حدث في ملعب مدينة "Philippe Ville" آنذاك، حيث تمّ جمع ما يزيد عن ألف وخمس مائة من الأبرياء في الملعب، وقتلهم ودفنهم جماعيا في خنادق حُفرت بواسطة جرّافة؛ هذه الجرّافة ما زالت محفوظة ومنتصبة كشاهد على الحدث في الجهة الغربية على مدخل ملعب 20 أوت 1955 حاليًا.

في الأسبوع الماضي زرت الملعب ووقفت طويلا أمام الجرّافة وأنا استرجع من خلالها صور المشهد المرعب، لكن سرعان ما تدخّل خيالي المُفرط حيث جعلني اسمع كلامًا للجرّافة، وهي تبرّئ نفسها وتقول:

ـــ "ما صُنعنا نحن الجرّافات لنرتكب الجرائم؟ شاهد، كم جرّافة مثلي تستصلح الأرض البور، وتمنح الخيــــر والحياة للنّاس، وتعمّر الأرض الجرداء، وتحفر الأرض لبناء أســاســات العمائر، وتُكوّم التّـــراب لحجز الماء في السّــدود، وتحفر الأخاديد لحماية الأوطان والحدود؟

إنّه حظّي التّعيس جعلنـــي أطأطأ رأســي هنا وأظلّ حبيســة هذه القاعدة الإسمنتية، إلى متــى و أنا هنا أمثّل صورة الوحشية والدّمار؟ إلى متــى و أنا في نظر النّاس مجرمة قاتلة، هكذا يراني النّاس وينســون من صــنعوا القتل والهمجية، العار ليس عاري سيّدي، العار عار من استعملني".

واستيقظت من غفوة خيالي فلمحت لوحة من الرّخام كتب عليها:

"بســم الله الرّحمان الرّحيم، هذه الجرّافة اســتعملت لدفن آلاف ضحايا مجزرة 20 أوت 1955م"، وتأكّدت بذلك أنّ الجاني هو من اســتعمل الجرّافة، وأنّها لو نطقت لقالت: "أنا بريئة ومســتعدّة أن اعتذر للضــحايا وذويهم"، وكأنّ الحديد يمكن أن يرقّ ويلين، أمّا من استعملوا الحديد فقلوبهم كالحديد أو أشدّ قسوة، لن تلين، ولن ترقّ، ولن تحسّ، ولن يستيقظ لهم ضمير، فكيف لهم أن يعتذروا؟

وبالرّغم من فواجع التّاريخ الاستعماري التــي لا تُنسى، وهمجية الدّخلاء، تستمرّ إرادة الحياة والإعمار ويسمّى المركّب الرّياضي لمدينة سكيكدة ب- "20 أوت 1955" ليخلّد ذكرى ثلاثة أيام أذلّت المستعمر، كان قائدها الشّهيد زيغود يوسف، وتتصاعد من حول المركّب العمارات والمباني وتطلّ عليه لتؤكّد أنّنا شعب يبنــي ولا يهدم، شعب يريد السّلام ويأبى الاستسلام.

مولود قاسم.. رجل المواقف*

28 أوت 2016

اعتـــرف في البداية أنّ عمودًا صـغيرًا مثل هذا لن يفي الرّجل حقّه، وربّما سوف نُسيء له وبحسن نيّة، لأنّ مولود قاسم نايت بلقاسم قد ترك آثارًا ومواقف لا تستوعبها صغار الكتب، لكن من باب أضعف الإيمان ونحن في ذكرى رحيله الرّابعة والعشرين؛ أي توفي يوم السّابع والعشرين من أوت سنة 1992 وجب علينا أن نقف عند بعض مواقفه ومآثره الكثيـــرة، والتـــي أثبت فيها الولاء للجزائر ولمبادئها وقيمها.

فالمرحوم مولود قاسم ولد يوم السّادس من جانفي سنة 1927 بقرية بلعيال من بلدية آقبو ولاية بجاية، وبمسجد القرية بدأ مشواره الدّراسي، ثمّ بجامع الزّيتونة سنة 1946، ثمّ بالقاهرة سنة 1951، ثمّ بجامعة باريس سنة 1954 تحضيرًا لشهادة الدّكتوراه، التـي تخلّى عنها استجابة لنداء الإضراب الذي دعا إليه اتحّاد الطلبة المسلمين، كما تخلّى عن كلّ مشاريعه الدّراسية من أجل الجزائر، دون أن يقطع مشواره التّعليمي.

بعد الاستقلال تولّى عدّة مناصب منها مديرًا بوزارة الخارجية، ووزيرًا للتّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية، ومستشارًا لرئيس الجمهورية، ورئيسًا للمجلس الأعلى للّغة العربية، ومن أهمّ صفات الرّجل أنّه يتقن حوالي تسع لغات عالمية، ويدافع دفاعًا مستميتًا عن اللّغة العربية.

---

* اعتمدت في كتابة هذه المقالة على:

ــ أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم: حياته و آثاره، شهادات ومواقف، دار الأمة ــ الجزائر، سنة 1997.

ــ تاجي إسماعيل: مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية 1927 ــ 1992، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، السنة الجامعية 2006. 2007.

.شريط وثائقي حول مولود قاسم نايت بلقاسم، بثته قناة "كنال ألجيري" .

أمّا الجزائر فكانت تسري في شرايينه وينبض بها قلبه، وجسّد هذا العشق والوله بالبحث في تاريخها وإثبات كيان الأمّة الجزائرية وتاريخها العميق والمتجذّر بكتابه الشّهير "شخصية الجزائر الدّولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830"، كما كان فارسًا من فرسان ملتقيات الفكر الإسلامي باقتراحه لمحاورها التي تهدف لخدمة تاريخ وتراث وأصالة ومآثر الجزائر.

ويُعرف عن المرحوم مولود قاسم أنّه شديد الحساسية والغضب عندما يتعلّق الأمر بالجزائر وسيادتها وتاريخها، فعندما قال الرّئيس الفرنسي الأسبق "فاليري جيسكار ديستان" جملته التي كانت سببا من أسباب فشل زيارته للجزائر "فرنسا التّاريخية تمدّ يدها للجزائر الفتية" حينها انتفض المرحوم مولود قاسم وقال للرّئيس الرّاحل هوّاري بومدين: "إنه يشتمنا".

ومن مواقفه الصّلبة دفاعًا عن مكانة الجزائر، أثناء زيارته سنة 1971 إلى روسيا تفطّن في المطار إلى أنّ مستقبله موظّف من موظفي وزارة الخارجية، فلم ينزل من الطّائرة وخاطبهم قائلا:

"لن أدخل بلادكم إلّا إذا كان مستقبلي في مرتبة وزير"، وما كان ذلك انتصارًا لشخصه ومكانته، بل هو انتصار للجزائر، معتبرًا ذلك انتقاصًا واستخفافًا بمكانة الجزائر، وعاد فورا إلى الجزائر ثمّ قدّم استقالته للرّئيس الرّاحل هوّاري بومدين الذي رفضها على الفور.

ومن فرط حبّه للجزائر سمّى ابنه "يوغرطة" وابنته "الجزائر" وكان يخاطبها ويداعبها ويقول لها:

"يا جزائريا شقيّة لو لم يكن اسمك الجزائر لأعطيتك طريحة".

هذه نماذج من مواقف المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم تجاه الجزائر، وها قد رحل إلى مثواه الأخير وترك لنا الأثر الطيّب، والأفعال الخالصة المخلصة للوطن ومبادئه وقيمه، كما ترك مؤلفات أهمّها:

. الجزائر- باللغة الألمانية.

. إنية وأصالة.

.أصالية أم انفصالية

.ردود الفعل الأوّلية على غرّة أوّل نوفمبر.

.شخصية الجزائر الدّولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830.

فرحمه الله وجعل الجنّة مثواه.

عيد الخريف

04 سبتمبر 2016

الخريف في منطقة وادي سوف مرتبط في الأذهان بالخير والنّماء والانتعاش واعتدال الطّقس، لكونها منطقة يصعب تحمّل صيفها الحار؛ في زمن لم تكن فيه وسائل الحياة متوفّرة مثل توفّرها اليوم، كما أنّ الخريف مرتبط ارتباطًا وثيقًا ب-"الغوط"[1] وغلّة النّخيل، وحتّى لغويًا: أنّ الْخُرفَة مَا يُجتنى من الْفَوَاكِه فِي الخريف وفي الحديث "النَّخْلَة خُرفَة الصَّائِم"، والْخَرُوفة: النخلة الَّتِي يأْخذها الرَّجُلُ للخُرْفَة يَلقُطُ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرُّطَب، والْخُرفة: مَا يُخْتَرَفُ مِنَ النَّخْلِ حِينَ يُدْرِكُ ثَمَرَهُ[2]، فعندما يدخل "غشت"[3] يقولون: "فِي غُشِتْ مِنْ كُلْ نَخْلَهْ عِشِتْ" أي أنّ كلّ أنواع النّخيل تكون قد نضجت، والنّخيل في حاضرة سوف هو مصدر الرّزق الأوّل، مع شيء من التّجارة والرّعي، فمن النّاحية الاقتصادية يعتبر غنيًا من ملك عددا من النّخيل، واجتماعيًا لا تكتمل مكانة الرّجل بين النّاس إلا بامتلاكه للنّخيل، ومن لطائف ما سمعنا، أنّ الرّجل قديما إذا تقدّم لخطبة فتاة عَمَد إلى إلصاق شيء من التّمر على جُبّته لإثبات ملكيته للنّخيل، وهكذا يتمّ قبوله على الفور باعتباره رجلاً

---

1 الغوط: جاء في لسان العرب، أغواط جمع غَوْطٍ بالفتح لغة في الغائط، وغيطان، وغائط لأنه غاط في الأرض أي دخل فيها، والغَوْطُ: عمق الأرض الأبعد، قال أبو حنيفة: من بواطن الأرض المنبتة الغيطان، الواحد منها غائطٌ، وكل ما انحدر في الأرض فقد غاط، وغاط في الشيء يغوط ويغيط: دخل فيه. يقال: هذا رمل تغوط فيه الأقدام، وغاط الرّجل في الوادي يغوط إذا غاب فيه، والغَوْطة: الوهدة في الأرض المطمئنة.
ويصطلح على الغوط وجمعه "غيطان" أو "غواطين" عند أهل وادي سوف بأنّه غابة نخيل في مكان منخفض قريب من الماء لضمان وصول جذور النّخيل للماء والاعتماد على نفسه في السّقي، وتُعرف هذه الآلية بـ "نخيل البعلي" ومنهم من يسميها "غوط البعلي"، وعند العامّة تسمّى "الغوط" أو "الهود" والأصحّ الغوط.

2 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط03، سنة 1414هـ، ج09، ص 65.

3 غشت: حسب التّقويم الفلاحي الشّعبي، يبدأ يوم 14 أوت إلى يوم 13 سبتمبر.

مكافحًا لا يعرف الكسل و"عَامِرْ" أي حكيم في تسيير شؤونه الاقتصادية، ولا يمكن لهذا الصّنف من الرّجال أن تعرف زوجته الخصاصة.

وحسب التّقويم الشّعبي الفلاحي وتقويم "غيلان"[1] أنّ يوم الثّلاثين من أوت هو أوّل يوم في الخريف، وبعد أن تمرّ عشـرون يومًا على طلوع "المرزم"[2] ويقولون في ذلك: "إِذَا طَلَعْ الْـمِرْزِمْ هِزْ قَشَّكْ وَاَعْزَمْ فِي دَارْ الصِّيفْ مَا بَقَى مَصِيفْ"، والمعنى أنّه بدخول الخريف تدبّ الحركة من جديد، ويَجِدُّ الجادّون في السّـعي وراء الرّزق، وتنطلق عملية جنـي التّمور في هبّات تضـامنية عائلية وموّسـعة، وينتعش سـوق التّمور، وتتحرّك ورشـات البناء "العوّانة"[3] ومن خلالها أفران الجبس التّقليدية، كما تكثـر أفراح الزّواج التّـي يُفضّل أن تكون في فتـرة اعتدال طقس الخريف، فلا يحتاجون إلى كثير الماء كما في الصّيف، ولا كثرة الأغطية والأفرشة كما في الشتّاء.

فليس غريبا أن يُرحب بالخريف كموسـم للحركة والكسـب والتّحصـيل والتّضـامن، وليس غريبا أن يتجسّـد هذا التّرحيب في عيد شـعبي يطلق عليه أهل وادي سـوف "عيد الخريف"، يقام شـكرًا لله سـبحانه وتعالى على ما رزق عباده من خيـرات، ويقتـرن هذا العيد بمظاهر تقليدية وتضـامنية تبعث على الرّاحة والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وتتلاشـى فيها الفوارق الاجتماعية، وتسـود روح الأخوة والفرح والتّسـلية، عندما يخرج الجميع يوم عيد الخريف إلى سـاحة "الْـمَنْحَرْ"[4]؛ لنحر جمل أو ناقة يشتريها سكّان القرية أو الحـيّ ويتقاسمونها بالعدل بين العائلات، فلا أحد يبيت ليلته دون أكل حصّته من اللّحم، فإن كان ميسورًا دفع من ماله، وإن كان معسرًا دفع أهل البرّ ما يلزم أن يُدفع.

---

1 غيلان: اسـم لرجل يصـفه أهل البادية بإتقانه وخبرته في الحسـاب ومعرفة الطقس والمواسـم، والظاهر أنه شخصية أسطورية لا وجود لها في الواقع.

2 المرزم: نجم يظهر في الصّيف بين اليوم السّبعين والخامس والسّبعين حسب التّقويم الشّعبي الفلاحي.

3 العوّانة: عملية تضامنية بين الجيران والأقارب من أجل بناء المسكن.

4 المنحر: وهو المكان الذي تنحر فيه الإبل والمواشـي، وكان في القديم منحر معلوم في كلّ قرية من قرى وادي سوف.

ويعدّ هذا الاجتماع فرصة ثمينة للتآخي والتآزروعقد مجالس الصّلح وفضّ النزاعات الاجتماعية والفلاحية، وتدارس قضايا الوضع العام وما يحتاجه السكّان من ضــروريات، وجدولة وتوزيع حملات التّضــامن "العوّانة" و"القطع" أي جنـــي محصـــول التّمور، كما لا تغيب فيه بعض الأمور التّنظيميّة العامّة مثل: مو اقيت الزّواج والتّنسيق بينها، وتقنين المهور، وقضايا الميــراث، وبعض المعاملات التّجارية ونحوها.

وإن يرى البعض أنّ هذه المظاهر الاجتماعية؛ ما هي إلا مظاهر تر اثية لا تؤسّس لأيّ إطار اجتماعي، فهي في الأصل نوع من النّظام الاجتماعي الذي ساد وقاد المجتمع في منطقة وادي ســوف لعدّة قرون ابتداء من ظهور "نظام الجماعة" في بدايات القرن السّـادس عشـر، والذي بدأ في الأفول بظهور التّطور الإداري ووسـائل الحكم الجديدة، مع طغيان الحياة المدنية، والتوسّـع الجغرافي والتحوّل الاجتماعي بالمنطقة.

أمّا أشــهر الأكلات الشّــعبية في عيد الخريف فسـيدتها "الهبيتة" وهي مرق الكسكسي بلحم الجمل وكثيــر من خضر اليقطين "الكابو"، و"رفيس" التّمر بسمن الماعز، ومشروب "الوزوازة"[1] الذي يُصنع مما تبقّى من تمر العُولة[2] الذي دخل عليه محصول السّنة الجديدة.

[1] الوزوازة: مشروب تقليدي شعبي تصنعه النّساء في البيوت في الصيف والخريف بمنطقة وادي سوف، مادّته الأساسية تمر الغرس مع حوالي أربعين عشبة من الأعشاب الطبّية ذات المذاق المنعش، والوزوازة لها فوائد صحّية كثيرة، و أكبر فو ائدها تغذي الجسم وتقاوم العطش والحرارة.

2 العولة: ما يذخر النّاس من تمر للسنة، يعوّل عليه كغذاء في حال ظهور المجاعة والخصاصة في الغذاء.

أيّها المُعلّم الفاضل!. .

11 سبتمبر 2016

الأكيد والمؤكّد أنّ صناعة البشر صناعة معقدة تحتاج من الأفكار والخطط والأساليب أكثر ممّا تحتاجه أثقل وأدقّ الصّناعات، ففي الأولى نحن نتعامل مع مادّة وروح، مع كيان وإحساس، مع وجدان وعقل، مع متلقّ ومتفاعل، أمّا في الثّانية فنحن نتعامل مع مادّة صمّاء هندسها العقل البشري وطوّعها كيفما يشاء لتفي بالغرض، وهذا العقل هو في الأصل تشكّل و أنتج بقدر كبير جدّا في مؤسسات التّعليم على يد مهندس يستسهل البعض مهمّته، ولا يمنحونه قدره وتبجيله بحجم يعادل حجم ما يبذله في مهمّته، ومع قداسة المهمّة الموكلة إليه، إنّه المُعلّم!

فأوّل شرف ناله المعلّم هو حمله لصفة من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"[1]، ومن الشّرف أيضا؛ أنّ كلّ أمانة مكلّف صاحبها بأن يوصلها كما هي دون زيادة أو نقصان، وإلا أعتبر خائنا لها، إلاّ المعلّم فقد وُضعت بين يديه الأمانة - و أيّة أمانة - إنّهم فلذات أكبادنا، لقد أودعناه أوعية خاوية فيرجعها أوعية مملوءة بالمعارف والفضائل، أودعناه صفحات بيضاء ليكتب عليها ما يشاء ويرجعها لنا صفحات تطفح بما كتب عليها من مقوّمات الحقّ والخير والجمال والأخلاق الرّفيعة، وبوجه أكمل لقد أودعناه أطفالنا فيرجعهم لنا رجالا.

أيّها المعلّم الفاضل: فإن أردت النّجاح في مهمّتك، والافتخار بأنّك تصنع رجال الأمّة ومستقبلها، فتذكّر أنّ أوّل خطوة في النّجاح أن تكون مقتنعا ومحبًّا لمهنتك، وأن تحبّ من تُعلمه حبّك لابنك ليحبّك حبّه لأبيه، فإنّنا نطمح إلى مدرسة

1 أبو الحسين مسلم: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل ـ بيروت، ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت، دط، دت، ج04، ص 187.

يدقّ الحبّ أبوابها، والإحسان واللّين والرّفق أعتابها، وإنّ مدرسة كهذه سيكون النّجاح حليفها، ومعلّم كهذا سيكون مفخرة تلاميذه ومجتمعه.

أيّها المعلّم الفاضل: إنّ البشاشة واللّطف مع التّلميذ يجعله ينقاد إليك بيسر، ويطيع أمرك دون شدّة أو غلظة، ويتأسّى بحركاتك وسكناتك وبأفعالك قبل أقوالك، فيصبح وقع أفعالك عنده أعلى صوتا من أقوالك، ويتأدّب بسيرتك وسلوكك قبل أن يتأدّب بلسانك، حتّى يصبح كالإسفنجة يمتصّ أيّ ماء وُضع فيه، فكن له الماء العذب الزّلال ولا تكن له الماء القذر الآسن.

أيّها المعلّم الفاضل: إنّ الكلمة الطيّبة لها سحر يتسلّل إلى نفس التّلميذ وتفعل ما عجز عن فعله التّأنيب والعقاب، وترفع درجتك في نظره إلى درجة التّعظيم والتّوقير، فيزداد منك قربا، وتنمو عنده شهوة التّعلم، ويحسّ بلذّة ما تمنحه له من معارف، والنّصيحة على إنفراد تُعلي شأنك وشأنه، وتصنع له من الحياء ولو كان ظاهرا، إرضاءً لك ومكافأة على ما قدّمت له دون إهانة، وتُثبِّت شخصيته وكيانه، وتصبح ثقته بنفسه شيمته وعنوانه، فلا يتردّد في الفعل، ولا يتلكّك في القول، فيمتلك من الشّجاعة الأدبية ما يجعله قادر على مواجهة المواقف.

أيّها المعلّم الفاضل: إنّ الهدية مهما قلّ شأنها في نظرك؛ فإنّها كبيرة ثمينة مُبْهِجة عند التّلميذ، فإن نالها منك فإنّه يُناولك قلبه، ويفتح لك عقله، ويبدي لك استعداده، ويظهر لك قبوله وتقبّله، ويتمنّى لو أن الحصّة معك تطول وتطول، فلتكن هديتك بسيطة؛ قد تكون قلما يختلف عن قلمه، أو ملصقا مزخرفا للكرّاس يكتب عليه اسمه، وقد تكون حبّة حلوى جافّة زهيدة الثّمن، وقد تكون هديتك أبسط من ذلك في ثمنها وأغلى في قيمتها، مسح بيدك على رأسه فينقاد نحوك ويتودّد إليك فتكون المعلّم العطوف، والأب الحنون، والرّفيق المحبوب، والصّديق المخلص، وحينها نهنئك بنجاحك أيّها المعلّم الفاضل.

رسالة إلى تلاميذي الأعزاء

18 سبتمبر 2016

كتبت هذه الرّسالة بعد إحالتي على التّقاعد المسبق؛ وكان ذلك ابتداء من يوم الفاتح من سبتمبر سنة 2016، وعند الدّخول المدرسي لنفس السّنة في أوائل شهر سبتمبر، حضرت للدّخول المدرسي كولي، ووقفت أمام تلاميذي ولم أستطع أن أصمد أمام المشهد وأنا لم أعد أستاذا لهم، فغادرت سريعا، وكتبت لهم هذه الرّسالة التي واسيت بها نفسي، وقد بادر السّيد المدير إلى طبعها وتوزيعها على التّلاميذ، وإليكم نصّ الرّسالة:

كم أحبّكم، وكم اشتقت إليكم..

أكتب إليكم وأنا لم أتمالك نفسي تلاميذي الأعزّاء وأنتم كالملائكة نَقاوة وطُهرا، وكالفراشات الجميلة بلباسكم الجديد فرحين مستبشرين بعودتكم المدرسيّة تتسابقون على المكان الأوّل، لكنّني تألّمت كثيرا عندما وجدت نفسي بعيدا عنكم، ولم أنظر إلى وجوهكم الصَبُوحة البريئة، وبسماتكم التّي تعلو وجوهكم كالفجر الجميل حين انبلاجه.

لم أتمالك نفسي صغاري الأعزّاء حين رأيتكم تلعبون وتمرحون أمام باب المتوسّطة، تنتظرون الدّخول، وحين تصطفّون في ساحتها وأنتم متراصّون أشبه بباقات الورد، تفوح منكم رائحة العطور من كلّ الأصناف والألوان، ما أروعكم وأنتم تستعرضون ملابسكم الجديدة، وأحذيتكم الفاخرة، وتتباهون بمحافظكم، وتبرزون تسريحات أشعاركم، ليتني كنت معكم لأرى ما يسرّكم وما تفتخرون به، ليتني كنت معكم لأمُرّ عليكم واحدا تلو الآخر مهنّئا لكم، وماسحا بيدي على رأس كل واحد منكم ما استطعت، وأنتم كالعادة تلقون تلك التّحية العطرة التّي قلّما سمعت نظيرا لها بما تحمله من صدق وحبّ.

ما أروعكم أيّها الصغار وأعناقكم مُشرئبة وعيونكم شاخصة تتفحصّون الأساتذة المارّين من حولكم، وكأنّهم الزّعماء على البساط الأحمر، ومن سيكون له شرف تدريسكم، لكن ما أتعسني و أنا لست منهم، ولن أمرّ أمامكم ولن استمتع بالنّظر إلى عيونكم المتألقّة الجميلة.

ما أروعكم أيّها الصّغار حين تعودون إلى بيوتكم، وتحدّثون أمّهاتكم و آبائكم عن الأساتذة وما قالوه لكم، و أنتم أكثر فرحا بمن تبسّم لكم وضحك معكم، وأحسستم معه بالرّاحة والأمن والأمان فجعلتم منه الأب الجديد، ثم تُعدّدونهم بأسمائهم وتخصّصاتهم وما طلب كلّ منهم من أدوات لمادّته، لكن ما أتعسني! لم يذكرني أحد منكم، ولن أنال شرف الأبوة، ولن أكون رفيقا لكم في رحلتكم الممتعة.

اشتقت إليكم حقّا. . اشتقت إلى شغبكم وضجيجكم، وإلى تدافعكم نحوي في المصطبة و أيديكم مرفوعة كلّ يريد أن يثبت ذاته، وأن يكون الـمُجيب الصّحيح لأبتسم في وجهه وأشكره، ليزداد طول عنقه ويتباهى بنفسه كالطّاووس.

اشتقت إلى تسابقكم على مسح السبّورة، أو إحضار دفتر القسم، أو فتح النّافذة، أو تنظيف القسم، أو تقديم أبسط خدمة لتثبتوا ولاءكم لي، فأحسّ بأنّني ملك من أعظم ملوك الأرض أحكم مملكة تطفح بالبراءة والصّدق والسّلام.

تلاميذي الأعزّاء: تألّمت كثيرا حين علمت أنّكم تسألون عنّي وعن سرّ غيابي، وكم تمنّيت أن لا أغيب عنكم وأن لا أخسر سببا من أسباب سعادتي، وأن أزيد إلى عمري أطوارا جديدة حين أراكم كلّ صباح وكلّ مساء، وحين تتحلّقون من حولي وتتعالى أصواتكم في مخاطبتي فلا أحد منكم يترك الفرصة للآخر، وما أحلى تلك اللحظات و أنتم تتمسّكون ببقائي بينكم، وكلّما تقدّمت خطوة تلاحقونني وتحاصرونني، فما أجمل ملاحقتكم وما أروع حصاركم!

تلاميذي الأعزّاء: لقد علّمتكم ما وهبني الله من معارف واجتهدت في ذلك أيّما اجتهاد، لكنّني تعلّمت منكم أشياء لم أجدها عند غيركم، تعلّمت منكم المعنى الحقيقي للصّدق، والحبّ، والعفوية، تعلّمت منكم المعنى العميق للصّبر والحلم وتمالك النّفس قبل أن يسيطر الغضب، تعلّمت منكم كيف أغضب ولا تتفطنون

لغضبي؟ تعلّمت منكم كيف أنحنـــي إليكم و أنا في قمّة العزّة والأنفة؟ تعلّمت منكم كيف أكون قاضيا عادلا بينكم حين تتناوشـون على كرسيّ أو قلم أو ما شـابه؟ وحين تقع بينكم شـحناء ونقاش لأكون قريبا ومُقرّبا من الطرفين، تعلّمت منكم العدل في أســمى معانيه و أنا أنظر إليكم بعين المســاواة، القوي منكم والضّــعيف، المجتهد والكسـول، المنضبط والمشـاغب، وكلّــي يقين أنّ كلّ واحد منكم قد وهبه الله مَلَكة سوف يكتشفها وينتفع بها وينفع غيره.

تلاميذي الأعزّاء: كم أحبّكم، لكنّنـي اكتشفت الآن فقط أنّني أحبّكم حقّا، وعندما أحببتكم حقّا أجد قضاء الله وقدره يباعد بيني وبينكم، وليس لي عزاء غيـر أملي أن أراكم المســتقبل الحـالم والــــمُزهر للبلاد والعباد، أرى فيكم الطّبيـب والمهندس والفلاح والنجّار والسّائق. .، والمفيد منكم حيثما حلّ وكيفما كان.

تلاميـذي الأعزّاء: اثبتوا كمـا عهـدتكم، نموذجـا في الخلق والعمـل والكـدّ والاجتهاد، وتذكّروا أنّ النّجاح مفخرة لكم ولأوليائكم ولأســاتذتكم ولمؤســـســـتكم ولبلـدكم، وأنّ للنجـاح طعمـا لـذيذا لا يعرف نكهته إلّا النّاجحون، أو الـذين حرموا من النّجاح.

تلاميذي الأعزّاء: تقبلوا تحيّات أسـتاذ مضـطرّ بأن يفارقكم بعينه ويحضـر معكم دائما بقلبه ومشـاعره، فلن ينساكم ويتمنّى لكم النّجاح والصّلاح والفلاح.

الوطن وقاموس الشّارع

25 سبتمبر 2016

فـي السّنة الماضية وفي مثل هذا الوقت كتبت مقالا صغيرا بمناسبة ذكرى الإعلان عن ميلاد الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية، الذي كان بتاريخ: 25 سبتمبر 1962، من باب الإشادة بالوطن وتاريخه ومآثره وأمجاده واعترافا بمجهودات رجاله، وكان لابدّ من الوقوف عند هذه المحطّة الهامّة من المحطّات المضيئة في مسيرة الجزائر، وهل يوجد ما هو أهمّ من ميلاد دولة الجزائر، و انبعاث أمّة بعد استعمارها لأكثر من قرن وربع؟

وقد وصفني أحدهم - ويقول أنّه من المثقّفين - بأنّني صاحب "شيتة" ولم ألق بالا لوصفه، ولم انزعج من ذلك لأنّه وببساطة يعبّر ويترجم لمستواه وما بداخله هذا من جهة، ومن جهة ثانية لأنّني أتحدّث عن وطن وأمجّد تاريخه، ولست أمجّد شخصا تقرّبا وتزلّفا وتلميعا له وهو لا يستحقّ ذلك، ولست هنا في موقع الردّ، بل أشكره جزيل الشّكر لأنّه أثارني لأبحث عن معنى كلمة "شيتة" هذه الكلمة السّوقية الـمُبتذلة التّي وُظفت في غير موضعها وفي أحيان كثيرة لتكميم الأفواه، والنّيل ممّن نختلف معه في الفكرة والرّأي وإسكاته، والمؤسف أنّ هذه الكلمة وصلت إلى المنابر الإعلامية المختلفة التّي سقطت في وحل قاموس الشّارع.

فوجدت معناها اللغوي - أي الشّيتة - أنّها فرشاة الأسنان، وأنّها أداة من خشب أو غيره تحمل شعيرات دقيقة تستعمل لتنقية الملابس وحكّها لإزالة ما علق بها من وسخ و أتربة، أمّا مفهومها في سياقها السّوسيو- ثقافي أو بالأحرى التّهكمي السّياسي فهي التّزلف والتقرّب في ذلّ ومهانة من شخص للانتفاع من خدماته، مع تلميعه وتبييضه وصقل صورته حتّى ينال رضاه، كما تصقل "شيتة" الإسكافي حذاء الزبون ليتمثّل مشهد العبد والسّيد، فهي مرتبطة بمن لهم سلطة وقدرة على قضاء الحاجات، وبآخرين يتزلّفون منهم لقضاء مآربهم.

فهل الإشادة بالوطن وبقيمه وتاريخه ومبادئه الأساسية الكبرى وترسّيخها، واستنهاض الهمم لمحبّته والمحافظة عليه "شيتة" بمفهومها السّوقي السّياسي؟ وهل الإشادة بمحطّة نصر وتألّق للوطن مثل الإعلان عن ميلاد الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية يعتبر "شيتة"؟ وهل خُدّام الوطن ومن ضحُّوا من أجله أصحاب "شيتة"؟

أمر خطير جدّا أن نختزل الوطن في أشخاص، وأخطر منه أن نرى الوطن فيهم ومنهم، ليصبح تمجيد الوطن في أذهان البعض هو تمجيد لمسؤولين فيه، وتصبح رفعة الوطن حين يستقيمون، وسقوط الوطن والاستخفاف به حين يستخفّون أو يفسدون، وأنّ أيّ تثمين وإشادة بالوطن هي "شيتة" لهؤلاء الأشخاص كما يرى من اختلط عليهم الأمر، أو أن ننتقم من الوطن ومقوّماته اعتقادا منّا أننا ننتقم من أناس في السّلطة.

وتحضرني هنا مقولة للمفكّر الياباني المستعرب "نوبواكي نوتوهارا" يقول فيها: "وفهمت أنّ المواطن العربي يقرن بين الأملاك العامّة والسّلطة، وهو نفسيا في لا وعيه على الأقل ينتقم سلبيا من السّلطة القمعية فيدمّر بانتقامه وطنه ومجتمعه بدلا من أن يدمّر السّلطة نفسها"[1].

حقّا إنّنا في حاجة ماسّة لأن نختار مصطلحاتنا بدقّة لنفرّق بين الوطن كقيمة ثابتة، والسّلطة التي يمكن أن يتزلّف لها البعض، وأن نميّز بين "الشّيتة" في سياقها السّوسيو- ثقافي التهكّمي، و"الشّيتة" بمفهومها اللّغوي؛ الذي يجعلنا نفكر بجدّية بأن يحمل كلّ واحد منّا "شيتة" كبيرة لننظّف عقول من لا يفرّقون بين الوطن كقيمة عليا ثابتة، وبين مسؤول فيه متحوّل زائل لا محالة، وأن نحمل "شيتة" أكبر لنلمّع ونبيّض بها الوطن وكل ما تعلّق به.

1 نوبوأكي نوتوهارا: العرب وجهة نظريابانية، منشورات الجمل. ألمانيا. ط1، سنة 2003، ص 32.

التّقويم الهجري في حياتنا

02 أكتوبر 2016

التّقويم الهجري كما يدلّ عنه اسـمه هو التّقويم الذي اعتمده الخليفة عمر بن الخطّاب، وجعل أساسه هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كحدث إسلامي بارز وفارق، والذي حدث يوم 12 ربيع الأول الموافق لـ 24 سبتمبر 622 م.

وهو تقويم يعتمد على الميقات القمري الذي وصفه عزّ وجلّ في القرآن الكريم: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)[1]، وقد كانت بدايته يوم الفاتح من محرّم السنة الأولى للهجرة، الموافق للسّادس عشر من جويلية سنة 622م، وقد تمّ الإجماع بأن يكون محرّم هو أوّل شهر له، باعتباره شهر يحرم القتال فيه، وشهر الحجّ، وليس كما يظنّ البعض أنّ التّقويم الهجري يبدأ من تاريخ الهجرة.

أما تركيبته الشّهرية تتكوّن من اثني عشر شهرا مرتّبة: محرّم، صفر، ربيع الأوّل، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان، رمضان، شوّال، ذو القعدة، وذو الحجّة، وهي تسميات وضعها العرب لهذه الأشهر قبل بعثة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأكثر من مائة وخمسين سنة.

ولعلّ الهيمنة الاستعمارية هي من جعلتنا نغفل عن التّقويم الهجري ونتعامل بالتّقويم الميلادي، رغم حاجتنا الماسّة له لارتباط المناسك والعبادات به، لتجدنا نهرول نحو هذا التّقويم كلما اقتربت مناسبة دينية، أو حين وضع جدول للمواقيت أو رزنامة فنضطرّ إلى البحث فيه ومعرفة أدقّ تفاصيله، ثم نطويه كما هو مطويّ من قبل في حياتنا، فلا عجب ولا غرابة أن نوجّه سؤالا بسيطا مثل: في أي سنة هجرية نحن الآن؟ أو: في أي شهر هجري نحن الآن؟ أو: رتّب أشهر التّقويم

1 سورة التوبة، الآية رقم: 36.

الهجري؟ لنكتشف المفاجأة؛ وأنّ الإجابات الصحيحة قليلة، وربّما تأتي بعد تفكير وتلعثم كبيرين.

أمّا على المستوى الشّعبي فالأمر مختلف تماما، فأغلب الـمُزكّين يعتمدون التّقويم الهجري وينتظرون أوّل محرّم أو الشّهر الذي اعتمدوه كبداية للعدّ وعادة ما يكون شهر رمضان، وأغلب البدو والعوام لا يعرفون ميقاتا غير ميقات حركة القمر، فالجدّات والأمهات ما زلن يؤرّخن للحامل بالتّقويم الهجري - القمري - وحين عجزن عن حفظ الأشهر العربية الهجرية أسّسن لبديل ذكي سهّلن به الـمُشكل؛ فأطلقن على شهر محرّم (المحروم أو عاشوراء، لوجود يوم عاشوراء به)، صفر (تومها، أي توأم عاشوراء)، ربيع الأوّل (المولد، أي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ربيع الآخر (ربيب المولد، أي الأخ غير الشّقيق له)، جمادى الأولى (أمّنا عيشة الأوّل أو عائشة الخافية، نسبة إلى أمّنا عائشة رضي الله عنها)، جمادى الآخر (أمّنا عيشة الثّاني أو عائشة الظّاهرة، وهي أيضا نسبة إلى أمّنا عائشة رضي الله عنها)، أمّا رجب وشعبان ورمضان فينطقونها كما هي لسهولتها من جهة ولكثرة تداولها في مسمّيات المواليد الذكور، أمّا شوّال (العيد الصّغير، لوقوع عيد الفطر به)، ذو القعدة (بين لعياد لوجوده بين عيد الفطر وعيد الأضحى)، وذو الحجّة (العيد الكبير، لوقوع عيد الأضحى به)، ومهما كانت الوسيلة المستعملة فإنّهن عرفن كيف يحافظن على تقويم يحمل تاريخ ومو اقيت مناسك تعبّدية في حياتنا، ويعتبر من أهمّ مقوّمات تر اثنا الدّيني الذي يربطنا بمحطّات كبيرة في تاريخنا الإسلامي.

وفي الثّقافة الرّسمية لا توجد حجّة لتجاهل هذا التّقويم، لكونه أصبح ميسّرًا ومتاحًا لنا في معظم وسائل الاتّصال والإعلام وجميع وسائلنا الـمُرقمنة، والظّاهر أنّه بالاستيقاظ من غفوتنا مع ترك تهاوننا وتفريطنا والاجتهاد والعزيمة سوف نجعل من التّقويم الهجري تقويما ملازما لنا في حياتنا.

سيدي عبد الرزّاق ويوم المعلّم

16 أكتوبر 2016

في سنة 1994 تمّ ترسيم اليوم الخامس من أكتوبر يوما عالميّا للمعلّم، إحياءً لذكرى توقيع التّوصية المشتركة الصّادرة عن منظّمة العمل الدّولية، ومنظّمة الأمم المتّحدة للتّربية والعلوم والثّقافة "اليونسكو" في عام 1966 والمتعلّقة بأوضاع المعلّمين، فماذا عن وضع المعلّمين قبل أن يعرف العالم هذه التّوصيات والهيئات والمنظّمات والنّقابات ونحوها؟

وما شَهِدته وما تيسّر لي أن أتكلّم فيه، وضع معلّمي بالسّنة الأولى ابتدائي في بداية سبعينيات القرن الماضي، وهو "سيدي عبد الرزّاق"، حيث كان خارج مجال التّغطية، فقد اختار أن يعمل بقرية معزولة يربطها بالمدينة طريق هي أشبه بطريق قوافل الإبل، لا تقطعها إلّا الحافلة بل الشّاحنة الصّغيرة الوحيدة "سافيام" ذات الدّفع الرّباعي، والتي تحمل كلّ شيء، البشر، الغنم، التّمر، الحشّان - فسائل النّخيل - وما تتخيّله وما لم تتخيّله، ومحظوظ من وجد فيها مكانا للذّهاب والإيّاب.

لكنّ "سيدي عبد الرزّاق" كان مختلفا عن الركّاب ببضاعته البسيطة التي لا تتعدّى الورق المقوّى المسطّر لتحضير المذكّرات، وبعض مستلزمات بيته، وعلى رأسها حجرات "الكربون" لتشغيل مصباح "الكّانكي" وعدد من قضبان الشّمع التي تمثّل كهرباء ذلك الزّمن، وشيء من البسكويت والحلوى هي جوائزلنا، وهي هدايا تمييزية للتّلاميذ الأيتام و أبناء الذين سحقهم الفقر، ولو أنّ الفقر كان عامّا حينها، لكن يمكن أن يصنّف إلى درجات.

"سيدي عبد الرزّاق" كان مختلفا عن بقية المعلّمين لأنّه يحفظ القرآن ويُتقنه رسمًا ونطقًا، فهو من كان يدير مدرسة لتعليم القرآن في "الرديّف" بتونس؛ عندما كانت عائلته مناضلة ومهاجرة هناك، مختلف لأنّه لا يحمل العصا ويعوّضها بمسطرة خشبية يستعملها للشّرح والإشارة، مختلف لأنّه سبق أحدث النّظريات

التّربوية الحديثة؛ التـــي تحثّ على منع العقاب والضّـرب، مختلف بطيبته ولينه وحلمه، فما رأينا منه غضـبا مُفرطا، ولا كلاما تأباه النّفس، ولا حركات مُشـينة مُنفّرة، مختلف لأنّه يعرف كلّ خبايا حياتنا الاجتماعية ويعرف عنّا أدقّ التّفاصيل، ليحسن التّعامل معنا حالة بحالة، مختلف لأنّه كان يصنع الوسائل التّعليمية بيده وإمكانياته الذّاتية، ما زلت أتذكّر أوّل مشـهد تمثيلي للحافلة، حين صـنع دوّاسـات ومقودا وثبّته في ثقب المحبـرة بالطاولة، وعيّن زميلنا "سـعد" سـائقا وزميلنا "عبد القادر" محصّلا وبقيتنا نمثّل الرّكاب، وهكذا فهمنا معنى ووظيفة الحافلة التي لا نعرفها ولم نركبها إلا بعد ثماني سنوات عندما دخلت أوّل مرّة إلى قريتنا.

هل تعلمون أنّ "سيدي عبد الرزّاق" كان لا يعرف مديرية التّربية و أين تقع؟ ولا مدير التّربية ومن يكون؟ ولا يعرف القانون الأساسي الخاص بالموظّفين المنتمين للأسـلاك الخاصّـة بالتّربية الوطنية؟ ولا يعرف قرارات التّرقية والإدماج؟ ولا يعرف منحة الجنوب والامتياز؟ ولا يعرف منحة تثمين الخبـرة والمردودية وما كان على شـاكلتها؟ ولا يعرف النقابات المسـتقلة للقطاع ولا يحتاجها؟ ولو حضـر إلى زماننا لجزم أنّ الإضـراب عبث، وربما أفتـى بأنّه كفر ومروق عن الدّين، وهل يؤمن بالإضـراب من يدرّسـنا بالنّهار، ويدرّس الشّـيوخ والعجائز ليلا على ضـوء الشـموع ليفكّ أمّيتهم؟

لو حضـر "سـيدي عبد الرزّاق" لزماننا وشـهد معنا اليوم العالميّ للمعلّم لما التفت إليه أحد وما يكرّمه أحد، مثله مثل المعلّمين الذين يرابطون في القرى والمداشر اليوم، في حين يكرّم البعض كلّ سنة أو تدور التّكريمات بحاشيتهم.

لكنّ "سـيدي عبد الرزّاق" أكرمه الله بحبّ النّاس، ونال وسـام اسـتحقاق معلّق في قلوب كلّ الذين درّسهم، وكلّ الذين شهدوا له بالإخلاص، وما أكثر المعلّمين أمثاله! وإن كان قد رحل عنّا جسـما فما زال بيننا روحا، وما زالت الأجيال تُلحق له الخير والصّدقة الجارية وهو في قبره، رحمه الله.

الثّقافة الفاعلة

23 أكتوبر 2016

الثّقافة مُقوّم أساسي من مقوّمات أيّ مسار نهضوي، وركن ركين في أيّ بناء حضاري، وميـزان دقيق لقياس درجة رقـيّ الجماعة فكريا وأدبيا وفنّيا واجتماعيا، وتُمكّنها من رسم معالم نمط حياة فاعلة تختارها، ووضع الطّابع العام الذي يضمن تواصــل مقوّماتها وقيّمها كالعقائد واللّغة والسّــلوك والمبادئ والتّجارب والعادات والتّقاليد والقوانين والأعراف ونحوها.

وعندما كانت الثّقافة بهذه الأهمّية باعتبارها مظهرا أساسيّا من مظاهر أيّ حضــارة، ولا يمكن فصـلها عن الحركية العامّة لأيّ مجتمع أو أمّة، وجب أن تكون الثّقافة فاعلة، فما هي الثّقافة الفاعلة وكيف نؤسّس لها؟

وفي تصوّري أنّ الثّقافة الفاعلة هي الثّقافة التـي تنطلق من نقطة مَنْشَئِها، وتتمسّك بأصالتها، ولا تهمل خصـوصية المكان والزّمان، وأن تتفاعل مع محيطها، ولا تتغاضى عن المحيط الأوسع لتستفيد ممّا يخدمها ويتلاءم مع خطّها وطبيعتها، دون قبول التّطبيع والتّهجين مع الثّقافات السّائدة عند أهلها، وأكثـر من ذلك كلّه أن تكون مؤثّرة تـأثيرا واضــحا في رســم وتـأطير الخطّ العـام للمجتمع وحركيته في جانبه الفكري والحضـاري، وأن لا تسـتغني كلّ سـياسـات سـير الحياة العامّة عنها، وأن لا تنجح هذه السّياسات إن هي أغفلت هذا النّوع من الثّقافة، ونكون بذلك قد وصلنا إلى "سلطة الثّقافة" وسيادة الثّقافة أو السّيادة الثّقافية.

ونحن نطمح للوصـول إلى هذا النّوع من الثّقافة، والثّقافة عندنا يُنظر إليها في الغالب على أنّها مجموعة الممارسـات والأنشـطة التـــي يقوم بها ثلّة من النّاس لا يمتّون للمجتمع بأيّ صـــلة، لأنّهم يتموقعون في أبراج لا يمكن أن يصـلها عـامّة النّاس، ويصــنعون ثقافة لا تســتند إلى ما يؤمن به هؤلاء العامّة أحيانا، ولا تُراعى

فيها رؤيتهم ونظرتهم للحياة، ولا تنزل إلى مستواهم، ولا تحترم أفكارهم، ولا تهل ممّا أنتجوا مهما كان متواضعا، ولا تستثمر تراثهم الأدبي والشفهي المتواتر، والنّتيجة أنّها لا تلامس وجدانهم، ولا تدغدغ شعورهم، ولا تعبّر عن همومهم، ولا ترصد طموحاتهم وآمالهم، فيرون أنها ثقافة بعيدة عنهم لا تحرّك اهتمامهم، ولا تلفت انتباههم، ولا تثير إعجابهم، ولا تغيّر شيئا في حياتهم، فهل هذه ثقافة فاعلة؟

وعلينا أن نعترف أنّ الثّقافة كمنظومة في زماننا أصبحت صناعة معقّدة تتداخل فيها عدّة أطراف، كثير منها يهدف إلى صناعة ثقافة عابرة لا تصمد، وتوجيه أنظار النّاس إلى قيم سطحية لا تسمن ولا تغني من جوع، لكن أهمّ عنصر كما أرى في هذه المنظومة هو المثقّف ونوع الثّقافة التي يسعى إلى تكريسها، والمثقّف الذي ينظر إلى وجوده بالإطار الثّقافي انتماء أو ممارسة على أنّه امتياز وتفوّق سيؤدي به ودون شعور إلى بناء جدار بينه وبين المجتمع الذي خرج منه، فيتغيّر خطابه وينقلب سلوكه وفق نظرته الجديدة إلى ذاته، أو العكس حيث يصاب سريعا بـ"الاتكالية" ويجد نفسه قد دخل مرحلة التشاكي والتباكي منتظرا الوصاية لتدعمه قبل أن ينتج، فهل المطلوب من الوصاية أن تمسك يده ليكتب قصيدة أو يرسم لوحة أو يؤلّف كتابا أو نحو ذلك، والأصل أنّ المثّقف الفاعل هو من ينتج خدمة للمجتمع، ليكون المجتمع وفيًّا له ولأعماله في الحين وبعد حين، ودليلنا أنّ كلّ إنتاج ثقافي قيّم نال حظّه في آنه، وشهرته في زمن غير زمن مُنتجه، وأغلب الأعمال النّاجحة طُبعت ونُشرت بعد وفاة مُنشئِها، و أكثر الأفكار تحوّلت إلى مناهج وفلسفات رائدة بالتقادم الزّمني، أو باستباق فكر المُنشئ لعصره.

فهل النّخبة التي اختارت لنفسها مكانا قصيّا، واجتماعا نقيّا صفيّا للمثقّفين دون غيرهم، ودون النّظر إلى عامّة النّاس ومشاركتهم والنزول إليهم، يمكنها أن تؤسّس لثقافة فاعلة؟ بل الثّقافة الفاعلة تستمدّ فعاليتها من عمق المجتمع، وروح الزّمان والمكان؛ لتعيش وتؤثر في كلّ زمان ومكان.

ثورة بسطاء. . لكنّهم عظماء

30 أكتوبر 2016

عندما قال الشّهيد العربي بن مهيدي: "ألقوا بالثّورة إلى الشّارع فسيحتضنها الشّعب" كان يدرك جيّدا طينة الشّعب الجزائري، ومدى حبّه لوطنه، واستعداده لتقديم الغالي والنّفيس من أجله، وحين انطلقت الثّورة في الفاتح من نوفمبر أكّد وصدّق ميدان المعركة ما ذهب إليه الشّهيد بن مهيدي، وإن كان هذا يحيلنا إلى ما يملك الشّهيد بن مهيدي من تبصّر وذكاء وفهم لنفسية شعب خرج منه وعاش فيه، فإنّه يحيلنا أيضا إلى مدى الانسجام بين القادة والمنظّرين والمخطّطين للثّورة وبين عامّة الفاعلين فيها ولها، وواقعية هذه الثّورة كثورة قاعدية نبعت من قناعة وإيمان الجميع مهما كانت مستوياتهم ومراتبهم ومشاربهم.

ولعلّ أهمّ ميزة في الثّورة الجزائرية أنّها ثورة ناضجة لكونها ترسّخت في أذهان الشّعب بما يكفي من زمن وتجارب في الأساليب والوسائل النّضالية بمختلف أصنافها، كما ساهم في ترسيخها ممارسة المستعمر لأبشع صور التّقتيل والتّعذيب والهدم والتّشريد والإفساد في كلّ شيء، ونموذج ذلك أحداث الثّامن ماي سنة 1945 التي كانت الحدث الفصل للمتردّدين في الشّروع للإعداد للثّورة، فسادت قناعة جماعية شعبية قاعدية بأنّ الثّورة هي الحلّ الوحيد والأوحد.

ومن أجل ذلك بدأ العمل منذ سنة 1947 بإنشاء المنّظمة الخاصّة التي أعدّت الجانب المادّي ولم تهمل الجانب النّفسي؛ الذي هيأ كلّ الشّرائح الاجتماعية المؤمنة بالحرّية والاستقلال بأن تكون في الصفّ الأوّل، فليس غريبا أن نجد أغلب المجاهدين وأعضاء جيش التّحرير من الطبقات البسيطة الفقيرة التي لم تنل حظّها من التّعلم، أو التي فكّت أمّيتها في الكتاتيب المحليّة بالقرى والمداشر، لكنّها

تملك من النّضج والثّقافة وفهم الواقع والتّضحية من أجل الأمّة ومقوّماتها والوطن واستقلاله ما لم تملكه بعض من النّخب، ولا أدلّ على ذلك أنّ الواحد منهم يترك أسرته في ظروف مُزرية من حيث المسكن والمأكل والمشرب، ويلتحق بالجبال مودّعا إيّاهم الوداع الأبدي لتيقّنه بإدراج اسمه ضمن قائمة الشّهداء وهو طموحه ومسعاه، ورغم عزيمته ويقينه أنّ الجزائر ستستقلّ به أو بغيره، بقدر يقينه بعدم حضوره لهذه اللّحظة، وإن حضر لها سوف يكون سعيدا ككلّ الجزائريين، بل سيكون أسعدهم لأنّه أدّى الواجب كاملا تجاه الله والوطن، ولم يكن يفكّر لحظتها في المغانم والمكاسب والمناصب، كما يظنّ البعض ممن لم يحضروا الثّورة، لكن علينا أن نقرّ ولا ننكر حقّهم في كفاف العيش وحفظ الكرامة من بلدهم المستقلّ الذي ينعم بالخيرات.

فالبسطاء الذين صنعوا ثورة عظيمة وصل صداها لكل التوّاقين للحرّية في العالم، وسطّروا تاريخا مُوشّما بالدّماء أصبح مرجعا لكلّ من أراد أن يجيد فنّ التّضحية والفداء؛ هم عظماء أتقنوا فنّ الثّورة، ووضعوا أسس علم تحرير الأوطان، ورسموا معالم طريق الحرّية والاستقلال، وجعلوا الجزائر قبلة للثّوار، كما قال الزّعيم الغيني "أميركال كابرال":

"إذا كانت روما قبلة المسيحيين، ومكّة قبلة المسلمين، فإنّ الجزائر تبقى قبلة الثّوار والأحرار"[1].

---

1 نذير بالقرون:. . ولأنك جلول ملايكة، جريدة صوت الأحرار، بتاريخ: 29 أوت 2015.

الملامح الثّقافية في بيان أوّل نوفمبر

06 نوفمبر 2016

يعتبــر بيان الفاتح من نوفمبر سنة 1954 شهادة ميلاد لثورة عظيمة، أنهت حـالـة من الاختلاف في الرّأي، وتعـدّد وجهـات النّظر، ووضــعـت حـدّا لكلّ تردّد وهواجس الخوف، وقطعت الشّك باليقين، ورسـمت معالم طريق للوحدة والكفاح المسلّح وأنهت الحالة الاستعمارية.

ورغم مجيء هذا البيـان في ظرف اســتثنـائي، وحـالـة ثوريـة قـد تتغلّـب فيها عـاطفـة الحمـاســة، والنّظرة إلى الهـدف الـوحيـد والأوحـد وهو تحرير واســتقلال الجزائر، إلاّ أنّه لم يغفل الجوانب الأسـاسـية في توصـيف الواقع ورسـم سـياسـة للكفاح المسـلّح، ووضـع مقوّمات دولة ما بعد الاسـتقلال، فكان بذلك النّص الأوّل المؤسّس للدّولة الجزائرية الحديثة.

كما لم يُغفل بيان أول نوفمبر جملة من الملامح الثّقافية التي ستميّز المرحلة الآنية حين صــدر وما بعدها، ولعلّ أوّلها تزامنه في التّوقيت مع حدث هـام حدّد المرجعية الثّقافية العامّة له، فقد صادف الفاتح من نوفمبر المولد النبوي الشّريف ربيع الأول 1374هـ، ولا غرابة في ذلك وأهمّ خطّ من الخطوط العريضة للبيان:

"إقامة الدّولة الجزائرية الدّيمقراطية الاجتماعية ذات السّــيادة ضـــمن إطار المبادئ الإسلامية"[1].

فالأمر واضــح لا غبار عليه، وهو اعتماد الإســلام منهجا، ومن البديهي أن تكون الثّقافة السّائدة من نفس المشرب.

1 نص بيان أول نوفمبر، إصدار وزارة المجاهدين.

كما تضـمّنت أوّل جملة منه قيمة من قيم ثقافة التّواضـع والاعتــراف بمحدودية اجتهاد البشر وأنّ الكمال لله وحده، وقبول الرّأي الآخر، وأنّ الشّعب هو السيّد وهو من يصدر الحكم، عندما يقول:

"أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا ــ نعنـي الشّعب بصفة عامّة، والمناضلون بصفة خاصّة ــ"[1]، وحين يتحدّث البيان عن الاستقلال الوطني، وبعد إقامة الدّولة الجزائرية الدّيمقراطية يأتي المقوّم الثّاني لها وهو:

"احترام جميع الحرّيات الأساسية دون تمييز عرقيّ أو دينيّ"[2].

ويهدف من ذلك إلى تأسّيس ثقافة المواطنة والانتماء للدّولة وممارسة الحرّيات دون مراعاة العرق أو الدّين، وفي ذلك اعتــراف بالتّنوع الثّقافي والحقّ في ممارسته وحرّية المعتقد.

وفي أهدافه الخارجية يطمح البيان إلى:

"تحقيق وحدة شـمال إفريقيا فـي داخل إطارها الطّبيعي العربي والإسلامي"[3]. وهو ما تصبو إليه كلّ شعوب شمال إفريقيا في نضالها، خاصّة عندما كانت تعيش نفس الحالة الاستعمارية وتخوض كفاحها المشـترك، لكن بيان أوّل نوفمبر حدّد المرجعية العربية وبأكثر شـمولية الإسـلامية، وقد جمع بين هذه الشّعوب الدّين والأصل واللّغة والتّاريخ والجغرافيا والعادات والتّقاليد ثقافيا، ثمّ التّنسيق لاحقا من أجل استقلال البلدان سياسيّا وثوريّا.

كما ركّز البيان على الجانب الثّقافي كفارق أساسي بين الجزائر وفرنسا حين طالبها بالاعتراف بالجنسـية الجزائرية بطريقة علنية ورسـمية، وأن تلغي كلّ الأقاويل والقرارات والقوانين التـي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التّاريخ والجغرافيا واللّغة والدّين والعادات للشّعب الجزائري .

1 المرجع نفسه.

2 المرجع نفسه.

3 المرجع نفسه.

الثّقافة والسّياحة في البلدان المغاربية

13 نوفمبر 2016

انعقد الملتقى المغاربي حول دور الإعلام في تفعيل الثّقافة والسّياحة في البلدان المغاربية يوم العاشر من نوفمبر من طرف إدارة "الجديد اليومي" والجريدة تحتفل بعيد تأسيسها العاشر، وأهمّ إشكالية يعالجها الملتقى التّكامل الثّقافي والسّياحي المغاربي عامّة ودور الإعلام على الخصوص للنّهوض بذلك، وكانت كلّ المحاور تتناول هذا الجانب في شقّه النّظري والميداني، وقد اجتهد جمع من الباحثين والدّارسين من الجزائر وتونس وليبيا لإيجاد حلول واقعية ملموسة، بعدما شخّصوا العوائق التي تحول دون ما نطمح إليه من تفاعل ثقافي وسياحي بين الأشقّاء.

وعلى أرض الواقع نجد ما يجمعنا ثقافيّا وسياحيّا أكثر مما يباعد بيننا، ويكفي هنا أن نأخذ كمثال لذلك، منطقة وادي سوف بالجزائر والجنوب الغربي التّونسي المحاذي لها، لنجد التّداخل الجغرافي المتناظر الذي يطبع المنطقتين بطابع التّطابق البيئي الصّحراوي والاقتصادي والبشري والسّلوكي، وهذا سينعكس حتما على طبيعة تكوين الإنسان وتأسيس ملامحه الوجدانية ومقوّمات ثقافته التي سوف لن تبتعد كثيرا عن نظيرتها، وكذلك التّشابه الكبير في عناصر الجذب السّياحي وصناعة السّياحة.

وعلينا أن نعترف أنّ المعيار الثّقافي الحقيقي هو ما تنجزه العامّة من ثقافة مادّية أو لامادّية في نشاط يومي روتيني هو من طبيعة عملها المعاشي والتّرفيهي لتكون المنطلق لأيّ تأثيث ثقافي ولأي تأسّيس سياحي، فما يعرف عند بعضهم بالفلكلور أو ما يمكن أن نسميه بـ "الثّقافة الفرجوية" هي من تلفت الانتباه؛ وهي الثّقافة التي تجرّمعها السّياحة، وأحسن موطن يمكن أن تتجسّد فيها، هي البوادي

المشتركة بين البلدين، التـي تزخر بجملة من المظاهر الجاذبة، فحياة البادية بكل ما فيها من عجائبية وما تعتمده في صيرورة حياتها وضمان معاشها، وما تعبّـــر به عمّا يختلج بالوجدان ومظاهر الفرح، كافية بأن تُبهر من لا يعرفها.

أمّا إذا ذهبنا إلى ما يُمارس من فعل ثقافي حقيقي وبســيط دون أدنى تكلّف وتجمّل، فإنّ الأدب الشّــعبي بمختلف أصــنافه، والصّــناعة التّقليدية، ومجمل العادات والتّقاليد، ومواســم البهجة والتّرفيه، وطبيعة العمارة ونمط المســكن والمعاش، كلّها تمثّل الثّقافة الأصــيلة المتجذّرة والمتميّـــزة التـــي هي مطلب لمن لا يعرفها داخليا وخارجيا، وتتبادل فيها كل من الثّقافة والسّياحة الدّور.

وفي رأيّي لا يمكن إيجاد أيّ دور للثّقافة والسّــياحة إذا لم نســتثمر ثقافة العامّة البكر مع ما يتاح من مظاهر للتّجديد والتّطوير في تظاهرات مؤطرة بالمكان والزّمان، وربّما لن أجد مثالا في المنطقة أحســن من "المهرجان الدّولي للصّـحراء بدوز" - معتمدية دوز، ولاية قبلّي - التّونســية، وهو في هذه السّــنة يصــل إلى دورته التّاسـعة والأربعين، والذي اســتثمر الثّقافة المحلّية والفنون الشّـعبية من مختلف المناطق المغاربية في لوحات فرجة وفنطازيا، دون إهمال جوانب الثّقافة الرّســمية كفنون الأداء والطرب والفنون التّشــكيلية ونحوها، وفي ســياق مماثل "مهرجان عرس البادية" بمنطقة الطّالب العربي الجزائرية تأسّــس كتجربة توظف الثّقافة الشّعبية للجذب السّياحي، لكن وبكل أسف لم يكتب له الاستمرار.

وبمثّل هذه الفعاليات تُجْبَـرُ وسائل الإعلام بمختلف صنوفها على النّـزول والنّقل والنّشر، ولعب دور الدّاعم والدّاعي والــمُشهر ثقافيّا وسياحيّا، ولا أدلّ على ذلك ما تشـهده منطقة "دوز" أثناء إقامة مهرجانها من توافد لأثقل وسـائل الإعلام العالمية، وحتّـى عمالقة السّينما الذين أنتجوا أعمالا و أفلاما بها، مثل: "العيش في الجنّة"، و"السّماء تحت الصّحراء"، وغيرهما.

... دفاعا عن التّاريخ

20 نوفمبر 2016

ونحن نعيش شـــهر الثّورة والكفاح، لفت انتباهي كتاب موضـــوعه معارك وعمليات جيش التّحرير من سنة 1954 إلى 1962، وفي اعتقادي سيكون ملمّا شاملا لجميع المعارك وفي كل شبر من الجزائر، لأنّ الأمر يتعلّق بنشاط جيش وطنـي تعهّد أن يخوض معاركه حيث وُجد المسـتعمر، وأن يحرّر الوطن من أقصـاه إلى أقصـاه، وقد نجح في ذلك وفعل، وسجّل التّاريخ بطولاته ومازال يسجّل.

لكن ما تفاجأت به و أنا أقلّب الصّـفحات مُسـرعا في نظرة أوّلية، صـفحة وراء أخرى لأصل إلى معارك وعمليات جيش التّحرير الوطني في منطقة وادي سوف، فلم أجد أثرا لأيّ منها، ورحت أبحث للمؤلف عن الأعذار قبل اللّوم، فلم أجد غيـــر عذر واحد، لعلّنا نحن السّـبب لأنّنا لم نقم بواجبنا في إيصـال جزء مهمّ من تاريخنا الوطني؟ ولعلّنا لم ننجح في لفت النّظر إلى أحداث تاريخية مهمّة وقعت بالمنطقة؟ ثم أعود إلى نفسي و أقول: لا أبدا، إنّ المعارك التــي خاضها جيش التحرير في وادي سـوف كان لها وقعها وصـداها، وتمّ تدوينها في كتب نُشـرت على المسـتوى الوطني، وتناولتها مجلة "أوّل نوفمبر" التـي تصدر عن المنظّمة الوطنية للمجاهدين في جملة من أعدادها، وكتب عنها أهل البحث والتّاريخ في المجلّات المتخصّـصـة، وتناولها طلبة التّاريخ بالدّراسة والتّمحيص والبحث الميداني في مختلف مذكّراتهم ورسائلهم وأطروحاتهم، فكيف غابت عن المؤلّف؟ وفي الأصـل أنّ كلّ مؤلف باحث، وإن لم يكن كذلك، فعلى الأقلّ في مادّة كتابه الذي ينوي نشره.

فكيف تغيب معركة "حاسـي خليفة" التـــي وقعت يوم 17 نوفمبر 1954؟ والتـي تعتبـر أوّل معركة - بمفهوم المعركة - في الجزائر كما يرى كثيـر من الباحثين وحجّتهم أنّ ما سبقها هي هجومات وعمليات فدائية، وكان اختلافها بتقابل جهتــي

قتال وعلى أرض جرداء، ونجاحها في القضـاء على عدد من القتلى من قوّات العدو، وقد خاضها ثلاثة عشر مجاهدا فقط.

ولا نستطيع أن نمرّ إلى أكبـر معركة قبل أن نذكر معركة "صحن الرّتم" يوم 15 مارس 1955 والتي عزّزت من مكانة الثّورة في المنطقة، وكان نتيجتها سقوط قتلى من قوات العدو، وثمانية شهداء من خيرة الشّباب.

ووصـولا إلى أكبـر معركة وهي معركة "هود شـيكة" أيّام 08 و09 و10 أوت 1955 التـي كبدّت العدو خسـائر فادحة تعدّ بالمئات، ومنحت الشّـهادة لثلاثين مجاهدا، وفكّت الحصار عن الأوراس، وكسرت شوكة السفّاح "جاك سوستال" الذي عيّن في شـهر فيفري سـنة 1955 حاكما عامّا على الجزائر، ومكلّفا بالقضـاء عن الثّورة، لكن معركة "هود شـيكة" لقّنته درسـا وأرغمته على النّـزول إلى وادي سوف ليقف على حجم خسائره ويندب رفقة ضبّاطه، كما قال عنه شاعر الثورة:

"أننسى ثلاثة أيام نحس... وسوستال يندب في النائحين"[1].

ثمّ معركة "الدّبيديبي" يوم 15 جانفي 1956 التـي أعطت نَفَسـا جديدا للنّشاط الثّوري بالمنطقة، وعدّة معارك أخرى بالشّريط الحدودي التي أمّنت طريق قوافل السّلاح للثّورة، كان آخرها معارك "بيـر رومان" الشّهيرة بداية من يوم 23 أكتوبر إلى غاية 04 نوفمبر سنة 1959، أمّا الإحصاءات الرّسمية؛ فتحصي تسعة عشر معركة، وما يقارب السّبعين حدثا وهجوما عسكريّا[2].

وما نُثبته من حقائق ليس انتصـارا للمكان والانتماء، أو تكريسـا للجهوية المُقيتة، أو تفاخرا لنظهر به المظهر المُشرّف، أو تزكية وإشباعا لهوى النّفس، بل هو تثمين لجهود رجال قدّموا أنفسـهم لله والوطن، وهو في الأخيـر "دفاعا عن التّاريخ".

---

1 مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، ط01، سنة 1987، ص 67.

2 وثائق مصدرها المنظمة الولائية للمجاهدين بالوادي، نسخة منها بين أيدينا.

العزوف عن الفعل الثّقافي

27 نوفمبر 2016

العزوف عن الفعل الثّقافي بدأ يتحوّل فعلا من موقف فردي أو موقف مجموعات لها قناعاتها الخاصّة، إلى ظاهرة طفت مؤخّرا على المشهد الثّقافي العام، والأكيد أنّ جملة من الأسباب تشترك فيها مختلف جوانب الحياة الفردية والجماعية وراء ذلك، لكن لا يمكن فصلها عن سياقها الفكري والثّقافي، وما يحيط ويتعلّق بالفعل الثّقافي نفسه، وحتّى عن الفاعلين والمنظّمين لبعض الأنشطة.

ولست هنا أتحدّث عمّا سمعت أو تداولته بعض الألسن البعيدة عن الميدان، بل أتحدّث عمّا شاهدته وعشته عن قرب ومارسته، وسأنطلق من سؤال أراه وجيها، كيف نفسّر حضور من عشرة إلى عشرين شخصا لنشاط ثقافي ولائي في مدينة يزيد تعداد سكّانها عن أربعمئة ألف نسمة؟ ألا يوجد فيها مائة من المثقّفين أو ممن يحبّون الثّقافة ويتابعون أنشطتها؟

ولن تكون الإجابة عن هذا السّؤال وافية شافية في مساحة مثل هذه، لكن سيبرّر البعض بالنّقص في الإعلام، وبرمجة الأنشطة في أوقات العمل الرّسمية، ومشاغل الحياة الكثيرة، وتوفّر المادّة الثّقافية في كلّ مكان بفضل التّكنولوجيا. . .

وفي رأيّي هناك جملة من الأسباب منها المذكورة آنفا، ومنها ما هو أهمّ، كنوعية النّشاط وموضوعه والفاعلين فيه، فما جدوى نشاط ثقافي لا يلامس وجدان المجتمع ولا يحركه ولا يقترب من همومه؟ وما جدوى نشاط لا يفهمه المتعلّمون فضلا عن الأميّين وعامّة النّاس؟ بل أحيانا لا يفهمه حتّى بعض من المثقّفين، وأحسن دليل أنّه ذات مرّة طلبت من زميل يملك نصيبا وافرا من الثّقافة، وإتقان اللّغة العربية وتدريسها، ومُتضلّع في الأدب، أن يرافقني لنشاط ثقافي أدبي فرفض طلبي قائلا:

"لا أفهمهم هؤلاء الجُدد، فإنّهم يلوُون ألسنتهم ويتكلّفون كلاما ما أحسبه من الأدب.. ولقد حضرت لهم عدّة مرّات وسمعت منهم، فما وجدت شعرهم شعرا، ولا قصّهم قصصا، ولا نثرهم نثرا"

ولحظتها حكمت على زميلي بالغرور والاستعلاء والتكبّر، ولكن سرعان ما أتراجع حين أسمع بعض القراءات الأدبية في مختلف الأصناف، عند بعض الجدد وحتّى بعض من القدامى، و أقول في نفسي إنّ زميلي مُحقّ فيما قال، وحينها لا نستغرب لعدد الحضور الذي يقارب العشرة أو يفوقها بقليل، بمن فيهم المنظّمين والفاعلين، ولسنا في حاجة إلى تدليل فالصّورة التّذكارية الجماعية الختامية التي تنشر عقب كل نشاط خير دليل، رغم ما فيها من زيادات في عدد الفضوليين والمنتهزين الفرصة ليظهروا مظهر صنّاع النّشاط.

ومن الأسباب الهامّة أيضا ما زال بعض المثقّفين ينتظرون المجتمع بأن يرتقي إليهم، وهم في أبراجهم العاجية ينظرون إليه بنظرة فوقية استعلائية، وفيهم. وهم قِلّة — من يتّهمه بالغباء والجهل، ويتجاهلون الأصل وهو أنّ المجتمع يتحرّر وينهض فكريا بجهود من نزلوا إليه من مثقّفيه ومبدعيه ومفكّريه وما أنتجوا له. وأؤكّد على ما أنتجوا له — من معارف وثقافة منه وإليه، تستلهم وتحترم قيمه ومقوّماته، ليتفاعل معها ولتكون فاعلة مؤثّرة فيه، ويومئذ سيكون المجتمع أكثر احتراما لأيّ فعل ثقافي، و أكثر تقديرا لمن أسّسوه وصنعوه، وإن وصلنا إلى هذه القناعة فإنّ أنشطتنا الثّقافية ستهجر القاعات المغلقة والأماكن الرّسمية، وتتمرّد عن من نصّبوا أنفسهم أوصياء على الثّقافة، ومن تخيّلوا أنفسهم أرباب الإبداع وجهابذة الفكر، لتصبح ثقافة عامّة تنزل إلى السّاحات، وتتناول هموم النّاس، وتعبّر عن آمالهم، فتسكن قلوبهم وتنير عقولهم فيتصالحون معها ويهرولون نحوها.

رحل حامدي وفي نفسه شيء من فنّ التّشكيل

11 ديسمبر2016

أن تكون فنّانا تشــكيليّا فذلك يعنـــي أنّك ســتتحمّل ما لم يتحمّله عامّة النّاس، وســترى بعين تختلف عما تراه أعين النّاس، ولك حسّ مرهف قد لا يملكه عامّتهم، وستحمل رسالة أثقل من رسائلهم، لأنّك وببساطة ستبدع وتقدّم جمالا يرتقي بأذو اقهم، والكلّ يبهره ما يقدّمه الفنّان التّشكيلي لأنّ حاسّة الجمال فطرية في الإنسـان لا تغادره إلا إذا فقد العقل، لكنّ و اقع الحال لا يعكس قيمة الفنّان التّشكيلي ودوره الرّيادي في الحياة عامّة والحياة الثّقافية خاصّة، ويحضرني هنا كمثال الفنّان: "عبد الله حامدي" ونحن نعيش أربعينيته، وهو الفنّان الذي عاش صامدا ومات صامتا.

فهو من الفنّانين التّشكيليين الأو ائل بالوادي، ولد يوم الجمعة السّابع من مارس ســنة 1952م بمدينة الدّبيلة، أين تربّى ودرس المرحلة الابتدائية، ثمّ التحق بالمعهد الإسلامي التّابع لوزارة الأوقاف والتّعليم الأصلي بمدينة الوادي سنة 1969، وهنا بدأت تتكامل موهبته التـي اكتشفها ورعاها أستاذه المصري "صبحي دياب"، ليتخرّج من المعهد بحصوله على شهادة التّعليم الأصلي ويتوجّه نحو مهنة التّدريس ابتداء من الفاتح من شهر أكتوبر سنة 1975 إلى غاية تقاعده يوم الفاتح من شـهر أكتوبر سنة 2002، وبالرّغم من رغبته الجامحة في أن يتلقّى تكوينا فنّيا متخصّصا إلّا أنّ ظروفه لم تسعفه، خاصّة عندما التحق بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة ســنة 1981، فواصـل مسـيرته الفنّية عصـاميا معتمدا على نفسـه ومشـاركاته المتعدّدة وتواصله الدّائم مع أهل هذا الفنّ ونشاطهم الذي أسّس به قاعدة فنّية وثقافة تشكيلية مكّنته من إبداع أعمال تصنّف فنّيا ضـمن مدرسـة المنمنمات الجز ائرية التـي كان رائدها الأوّل محمّد راسم الجز ائري، والتـي تعتمد على الجمع

بين الخطّ العربي والزّخرفة، ولا تخلو من التّأثير المشرقي الواضح، ولعله انعكس من تأثير أستاذه المصري[1].

ولم يغفل الفنّان "عبد الله حامدي" بقية الأساليب والمدارس الفنّية الأخرى، فأنتج أعمالا وفق الاتّجاه الو اقعي وشيء من السّريالية، وحاول أن يتميّز في الأسلوب التّجريدي بابتكار حروف أبجدية ببصمته الخاصّة؛ سعيّا منه للإسهام في الاتّجاه الحديث في فنّ الخطّ العربي (المدرسة الحروفية) التي تتّخذ الحرف العربي كعنصر فنّي تجريدي يواكب الحركة الفنّية التّجريدية الحديثة التي يشهدها الفنّ المعاصر، كما تميّز بنشاطه ومشاركاته المتّنوعة بين المحلّية والجهوية والوطنية والدّولية خاصّة تونس والعراق.

له أربع مؤلفات لم تر النّور في الزّخرفة والخطّ التّعليمي للصّغار، وعمل لم يزل في إطار الجمع والتّجميع يتناول سير وتراجم للفنانين التّشكيليين بالوادي، والخطّ العربيّ صدر منه كتيّب الخطّ الفارسيّ فقط.

حمل الفنّان "عبد الله حامدي" همّ الفنّ التّشكيلي مبكّرا أي منذ أواخر السّبعينيات وهي فترة لم يكن فيها الفنّ من أولويات التّنمية في بلد ناشئ وحديث العهد بالاستقلال، زاد عليها تأخّر تأسّيس الاتّحاد الوطني للفنون التّشكيلية إلى بداية الثّمانينيات، وبالرّغم من ذلك وضع الفنّان "عبد الله حامدي" قدما راسخة في عالم الفنّ التّشكيلي، وأرسى تقاليد فنّ الخطّ واللّون في منطقته - الوادي - وظلّ يحلم بيوم يصبح فيه لا فنّ يعلو عن فنّ الرّيشة، بتداوله وتبسيطه وتيسيره لمن أراد فهمه أو ممارسته، لكنّ الأيّام مرّت سريعة ليباغتنا خبر وفاته يوم الخميس 27 أكتوبر سنة 2016 م، وهكذا يرحل الفنّان "عبد الله حامدي" وفي نفسه شيء من فنّ التّشكيل.

---

1 وثائق تتعلق بسيرته الذاتية استلمتها منه يوم الأحد 20 أكتوبر 2013 بقاعة المعارض بدار الثقافة بالوادي بحي الشط.

إصدارات و انتصارات

18 ديسمبر 2016

أن تطبع كتابا فأنت تخلّد فكرا، وتضمن حياة متجدّدة لمفكّر، وتحفظ أثرا يؤرّخ لأمّة، وتنقل تجربة لغيرك وترعاها، وتوصل المعلومة إلى أجيال متواترة، وتبرهن على أنّك حكيم، لأنّك وبكلّ بساطة أنت تصنع الحضارة، بل أنت تصنع أهمّ مظهر من مظاهرها الخالدة، وهو مظهرها الثّقافي الذي يدوم، والذي تحرص كلّ الأمم على صيانته والمحافظة عليه ليبقى شاهدا، أكان ذلك مادّيا أو لامادّيا؟ والدّليل ها نحن اليّوم ما زلنا نقرأ كتاب "تاريخ هيرودوت" لأبي التّاريخ "هيرودوت" الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

فأجلّ عمل ثقافي تقوم به الوصاية أو من مكنّه الله بأن يساهم ثقافيا هو طباعة ونشر الكتاب، مهما كان مستوى هذا الكتاب، فإنّ ما نراه اليوم بسيطا أو غير ذي فائدة من الكتب، سيستمدّ أهمّيته وقيمته من تقادمه، وحتما سيحمل ملامح ومؤشرات الفترة الزّمنية التي نشر فيها، ويكون صورة للمجتمع في مختلف جوانب حياته، خاصّة طبيعة فكره وثقافته التي سادت في تلك الفترة.

ومن هذا المنطلق وجب أن نثمّن ما تقوم به مديرية الثّقافة بالوادي في مبادرتها التي تفرّدت بها دون باقي ولايات الوطن في حدود ما نعلمه، وهي طبع عدد من الكتب سنويا؛ في الأدب والتّاريخ المحلّي والتّراث والثّقافة الشّعبية، بعد مراجعتها من طرف لجنة من المتخصّصين لانتقاء الأعمال التي ترتقي بالفكر والمجتمع والحفاظ على هوّيته، وقد انطلقت هذه العملية منذ سنة 2011 من طرف مدير الثّقافة آنذاك الدّكتور "حسن مرموري" بطبع ثلاثة عشر عنوانا، وتواصلت العملية إلى غاية سنة 2015 حين كُلف بمنصب أعلى بوزارة الثّقافة.

وفي تحدٍّ كبير وشحّ في التّموين أبى "إبراهيم دويّم" المدير الجديد للثّقافة والـمُنصَّب حاليا، إلا أن يواصل هذه السُنّة الحميدة ليطبع خمسة عشر عنوانا لموسم 2016، تمّ الاحتفال بإصدارها وتوزيعها يوم الثّالث عشر من الشّهر الجاري، ليكون العدد الإجمالي للعناوين الصّادرة عن المديرية مئة وخمسة.

وبهذه الإنجازات تتصــدّر ولاية الوادي الترّتيب في إنتاج الكتب والأنشــطة الثّقافية، ولا مناص للمدير الجديد "محمد الربعي سحّار" من المواصلة حتّى تبقى الوادي فـــي الرّيادة، وأن يمدّ لـه أهـل الثّقافـة والكُتّاب وجميع الفعاليات يد المساعدة ليتمكّن من ضمان استمرار العمل الثّقافي الفاعل خاصّة طباعة الكتاب.

ومن باب الإنصــاف لا يمكن أن نتجاهل الدّور الكبيـــر الذي قامت به دار الثّقافة بالوادي في طباعة الكتاب والتـــي كانت أسـبق من غيرها، حيث بدأت منذ سـنة 2006 على يد مديرها السّــابق "محمّد حامدي"، و أثرت المكتبة بعدد من الكتب التـــي ساهمت في نفض الغبار عن كثيـــر من الشّخصيات وأعلام الولاية وتاريخها القديم والحديث، و إبراز الموروث الثّقافي المحلّي، وتشـجيع أعمال التّرجمة والتّأليف و إبداعات الشّــباب الأدبية، وقد تعهّد المدير الجديد "جمال الدّين عبادي" أن تتواصـــل طباعة الكتاب ولو بالحدّ الأدنى، وقد نصّــب لذلك لجنة للقراءة لإعطاء الأولوية للمؤلفات المتّسمة بالعلمية والمنهجية والمنفعة.

وفي الحقيقة أنّ جهد مثل هذا ليس من السّهل التّخلي عنه، باعتباره إنتاج النّخبة من جهة، وباعتباره الوجه المعبّــر والـــمُضيء عن ثقافة المنطقة من جهة أخرى، وبقدر ما هو صناعة للكتاب، فإنّه في الأصل انتصار كبيـــر للثّقافة الفاعلة البنّاءة الخالدة التي تشرّف كلّ من ساهم في صناعتها حاضرا ومستقبلا.

وادي سوف والتّأسيس لفنّ الرّواية

25 ديسمبر 2016

كان من الضّروري أن نبدأ هذا العمود بما قاله الكاتب الإنجليزي "كولن هنري ولسون":

"إنّ تشجيع أولئك الذّين سيصبحون كتّابا في المستقبل أشبه بوضع السّماد في حديقة تمتلئ بالأعشاب الضّارة"[1].

أي أن تكتشف كاتبا وتشجّعه وهو بنفسه لا يدرك ما يملك أحيانا، أو أن تصنع كاتبا وتنتشله من وسط لا يؤمن به، فهو رهان ما بعده رهان، وعمل شاقّ يتطلّب من الصّبر والحذاقة ما تتطلّبه الصّناعات الدّقيقة والمعقّدة.

ويتعقّد الأمر أكثر حين يتعلّق الأمر بكتّاب يمارسون فنّا أدبيّا من أرقى الفنون السّردية وأصعبها وهم في خطواتهم الأولى، وهو فنّ الرّواية، هذا السّرد النّثري المتسلسل الذي يكبر ويطول بحجم تنوّع وتعدّد الشّخصيات والصّراع بينها والمواقف والحبكات، وبقدرة الكاتب وطول نفسه.

هذا الصّنف الأدبي اختارته الرّابطة الولائية للفكر والإبداع بالوادي ليكون موضوع مسابقتها الوطنية للرّواية القصيرة ابتداء من سنة 2011 في طبعتها الأولى، ثم سنة 2014 في طبعتها الثّانية، وقد شهدنا يوم العشرين من ديسمبر للسّنة الجارية إعلان نتائج الطّبعة الثّالثة، وقد يراها البعض بأنّها فعالية ثقافية لا تختلف عن بقية الفعاليات، لكن اختلافها بنوعية الموضوع ووجهته نحو الرّواية الفنّ الغائب عن مؤسّساتنا وجمعياتنا الثّقافية لعدم توفّر أهل الاختصاص والنقّاد في معالجته، وصعوبة توظيفه كنشاط جماهيري؛ لما يتطلبه من الدقّة والتأنّي، لأنّ الرّواية فنّ له أهله صناعة، وله جمهوره النّوعيّ احتفاءً.

ولذلك وُفّقت رابطة الفكر والإبداع حين أسّست مسابقة وطنية للرّواية القصيرة كأفضل طريقة لإدراج الرّواية ضمن الأنشطة الثّقافية الموجّهة للعامّة، ونجحت حين طبعت الرّوايات الثّلاث الفائزة في كل دورة وبمظهر فاخر وأنيق،

---

1 كولن ولسون: فن الرواية، تر: محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة 2008، ص 09.

وتميّـــــزت حين وزّعت الرّوايات الفائزة في حفل إعلان نتائج نفس الدّورة، وعدلت وأبعدت كلّ الشّكوك حين اختارت لجنة القراءة والتّحكيم من ذوي الكفاءات ومن خارج ولاية الوادي، وهكذا كان في مسارها العام ـ أي الدّورات الثلاث ـ تسع روايات كالآتي:

- رواية "بختة" للسـيّدة دويفي سـهام من المدية، رواية "عطر الدهشــة" لمحمد الأمين بن الربيع من بوسعادة، ورواية "بلقيس" لكوسة علاوة من سطيف.
- رواية "ســـيرا مويرتي" لعبد الوهاب عيســاوي من الجلفة، رواية "المتحرّر من سلطة السّواد" لابن السّايح عبد المنعم من تقرت، ورواية "باب السّبت" لعبد القادر مهداوي من البليدة.
- أمّا الدّورة الأخيـرة فكانت المرتبة الأولى لرواية "ما تشتهيه الرّوح" لعبد الرّشيد هميســي من الوادي، المرتبة الثّانية رواية "عائشـــة" لحوّاء حنكة من الوادي، والمرتبة الثّالثة رواية "زوايا الصّفر" لآسيا بودخّانة من سكيكدة.

وبقدرما أهدانا هذا الفعل الثّقافي المميّــز من روايات، بقدرما كان منبـــرا تنافســيّا لكُتّابها، ومحضـــنا لميلادها، وغربالا لصــفوتها، ومناســبة تجمع قرّاءها، ومادّة توفّرت لدارسيها ونقّادها، وأكثـــر من ذلك كلّه أنّ وادي سـوف تؤسّـس لفنّ الرّواية، وعلى أرضها نشهد ميلاد الرّوائيين.

الحقيقة والإدانة

02 جانفي 2017

الحقيقة التـي نقصدها ليست الحقيقة بمفهومها الفلسفي، بل الحقيقة التـي تعنـي في اللّغة الثبات والقطع واليقين ومخالفة المجاز، الحقيقة التـي تعنـي الحقّ والصّـدق واليقين، ونقيضـها الوهم والظنّ والكذب والبهتان والزّوروالإفك والشّـك والباطل والغلط والتّخمين والرّأي. فالحقيقة والبحث عنها مطلب فطري عند الإنسـان المتميّــز بالعقل، ويكون أكمل عقلا وأرقى فكرا عندما يعمل ويجتهد للوصـول إلى الحقيقة، والسّـاعي لها كالسّـاعي لضـوء ينيــر طريقه ويضـمن له السّلامة.

والبّاحث عن الحقيقة هو أشـبه بالبّاحث في مختبــره، الذي يوظف عقله وقلبه وجميع حواسّه وأطر افه، ويستعمل كلّ أنواع الأدوات والعتاد الذي يساعده على الوصـول إليها، ويستهلك الكثيــر من الوقت لأجلها، وكلّه عزيمة وصبر طلبا لما ينيــــر العقل ويحقّق العدل والإنصــاف، ولذلك نجد الباحثين عن الحقيقة أقلّ عددا من الذين يصـدرون أحكاما لا يســتندون فيها إلى حقائق ثابتة نتيجتها إدانات بدون دليل.

أمّا الإدانة فتعنــي إلصاق التّهمة؛ وفي القانون هي إصدار الحكم بالعقوبة بعد إثبات الجريمة على المتّهم، وعكسها البـراءة، وكلاهما - وأعني الإدانة والبـراءة - نحتاج فيها إلى البحث عن الأدلّة والسّعي وراء الحقيقة للإثبات أو النّفي.

أمّا الإدانة التــــي نقصــدها وهي توزيع التّهم دون أدلة للنيل من "فلان" أو "علّان" والإســاءة إلى ســمعته والتّقليل من شــأنه وتقزيمه، لأســباب كثيـــرة مثل: نجاحه الباهر الذي يجلب له الحســد، أو الاختلاف في الرّأي، أو الاختلاف العقدي، أو التوجّه السّياسي الــمُخالف، أو التّنافس للوصـول إلى هدف، أو لاختلال نفسي يعيشه من يوزّع الإدانات، وحتّــى طبيعة التّربية التــي تلقّاها والوسط الذي عاش فيه...

وأسهل عمل لمن تجرّد من كلّ القيم، إدانة الغير دون أدنى مسؤولية، لأنّ الإدانة لا تحتاج إلى الجهد والأدوات التي تحتاجها عملية الوصول إلى الحقيقة، فيكفي توظيف الأذن لتجمع كلّ ما تسمعه ويتمّ تصديقه، أو أن يفعل الظنّ فعلته بتوهّم بعض الصّور وتصديقها، ثمّ يأتي دور التّجسيد الفعلي للإدانة حين يتمّ نشرها نطقا، وإعادتها نقلا، فتسري سريان النّار في الهشيم، وكما يقولون: "من يريد أن يراك مخطئا، سيراك حتّى لو كان كفيفا".

فالذّي يدين غيره هو أنأى النّاس عن التّقوى والتّورّع، لأنّ أكثر النّاس ورعا من اتقّى ظلم النّاس والنّيل من أعراضهم والمساس بكرامتهم، وهو أفقر النّاس صدرا للحبّ والمحبّة، لأنّ المحبّة تحجب كلّ العيوب، وهو أبعد النّاس عن العفو والتّسامح، لأنّ التّسامح يمحو الإساءة ويريح النّفس ويطهّرها من الغلّ والحقد، وهو أصغر النّاس عقلا و أقلّهم حكمة، لأنّ أعقل النّاس وأحكمهم من يلتمس للنّاس الأعذار، وهو أكثر النّاس تكبّرا وتجبّرا، لأنّ أكثر النّاس تواضعا من يرى نفسه من العامّة ولا يفوقهم في شيء، وهو أقلّ النّاس فضلا وشأنا، لأنّ أهل الفضل والشّأن لا يستصغرون أنفسهم ولا يتمنّون للنّاس التّقزيم والسّقوط.

ويبقى الفرق شاسعا وكبيرا بين من يبحث عن الحقيقة، وبين من يبحث عن الإدانة، كالفرق بين النّاس ومعادنهم، لكنّ الحقيقة والإدانة متلازمتان، لأنّه من عرف حقيقة نفسه ورآها في مرآة صافية نقيّة، شغلته حقيقته عن إدانة غيره وتقصّي عيوبه.

وللعنف ثقافة

08 جانفي 2017

العنف هذه الكلمة المقزّزة ذات الوقع السّيئ على النّفوس الطيّبة التي تملك نصيبا من الإنسانية والرّحمة والتّحضر والذّوق السّليم، لأنّها وببساطة تُنافي الرّفق واللّيونة والانشراح والحلم والتّسامح، وإن بحثنا للعنف عن مفهوم محدّد سوف تتشعّب بنا السّبل، بين المعنى اللّغوي، والمعنى الاصطلاحي، والمعنى النّفسي، والمعنى القانوني الحقوقي...، لكنّه وفي كلّ الحالات يبقى عنفا يمقته العقلاء والحكماء وأهل الفضل والأخلاق الرّفيعة، وتمقته كلّ الشّرائع والقوانين والأعراف، كما يبقى مصطلحا منافيا للرّفق، والرّفق من صفات الله سبحانه وتعالى فهو رفيق ويحبّ الرّفق، كما جاء في حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

"إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[1].

والعنف في مفهومه العام هو سلوك لا يمتّ للتّحضّر والتّمدّن بصلة، بل يرتبط بالقهر والإكراه والعدوان، ويسقط في وحل الانحطاط والعدوانية والبدائية، وينحدر إلى أساليب الضّرب المادّي أو المعنوي، وتدمير الممتلك، والقتل ونحو ذلك، وهو ما يعرف أو يمكن أن نحصره في العنف الجسدي، فضلا عن أنواع أخرى مثل: العنف الجنسي، العنف الرّوحي، العنف السّيكولوجي، العنف المجتمعي، العنف المادّي، والعنف اللّفظي...

وفي الدّراسات النّفسية الحديثة أثبت العلم أنّ العنف ينقسم إلى نوعين: العنف الدّفاعي، والعنف الخبيث، أمّا الأوّل فهو عنف غريزي يشترك فيه الإنسان والحيوان ويهدف إلى الحفاظ على النّوع، وهو عنف غير مدمّر ومبرّر بالوجود والبقاء، فالحيوان يهاجم الفريسة لسدّ جوعته وينتهي عنفه حال الوصول إليها، فالأسد مثلا يكتفي بشاة غزال وينتهي غضبه ولا يقتل كلّ القطيع، أمّا النّوع الثّاني

---

1 رواه مسلم، ينظر النووي: رياض الصالحين، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ط1، سنة 2007، ص 207.

وهو العنف الخبيث الذي يختصّ به النّوع البشـري ويهدف إلى التّدمير والموت، وهو عنف مكتسب متغيّر الدّرجة والمكان وحتّى الزّمان وفق العوامل الثّقافية المؤثّرة في نموّه أو السّيطرة عليه.

ومهما تردّت النّواحي العامّة في الحياة والتـــي من شـأنها أن تُوَلِّد العنف الفرديّ الذي ســيتحوّل تدريجيا إلى العنف المجتمعي، فإنّ العوامل السّــياســية والاقتصادية والاجتماعية والمادّية قد تغذّي العنف لكن لا تعالجه العلاج الجذري، فعلاجه مُتكفّل به في الجانب الرّوحي ويقوم أســاســا على العامل الثّقافي، فالطّفل الذي لا يدرك معنى الحياة وليس له علاقة بجوانبها المذكورة آنفا قد يكون عنيفا، فالأكيد أنّه اكتســب العنف من الوســط بدءا بالعائلة، والشّــارع المحيط، ثمّ المدرســة، لكن في المناهج المدرسـيّة لا توجد مناهج تهدف إلى العنف، أو تدعو إليه، لكنّ الهيئة التــي تنفّذ هذه المناهج هي من تزرع العنف عن قصد أو غيــر قصد، ونعنــي هنا العنف بأنواعه الجسدي أو اللّفظي أو الإيحائي أو...، وثقافتنا التــي نعنيها ليست الثّقافة الرّسمية التــي تمارسها المؤسسات المتخصّصة لوحدها، بل الثّقافة المجتمعية العامّة التـــي عليها أن تكرّس ســلوكات التّســامح والاحتـــرام للأضــعف كالطفل والمرأة والمســتخدم ونحوه، وتلطيف الخطاب العام واختيار ما يسمو بالنّفس ويدفع للتفاؤل والابتعاد عن التّحبيط والتّثبيط والتّيئيس، والشّحن والتّهييج و إثارة عواطف القُصّــر وضــعاف النّفوس واســتغلالهم، فإن كان العنف وليد ثقافة، فإن الحدّ منه يحتاج إلى ثقافة.

الشّفاهية وشيء من تاريخنا الضّائع

15 جانفي 2017

لقد تميّـــزت المعارف الإنســـانية في بداياتها الأولى بطابعها الشّــفوي "الشّــفاهية" وســيطر هذا الطّابع في نقل الخبـــرات والإبداعات بالرّواية والنّقل والتّواتر إلى أن حدث اكتشاف الكتابة التـــي كانت مقوّم أساسي في بناء الحضارة حتّـــى قيل: "عندما وُلدت الكتابة وُلدت معها الحضـــارة"، وإن كانت الكتابة عند ظهورها هي أقرب إلى العمل الفنّي البدائي السّـــاذج مجسّـــدة في رموز ونقوش على الصّـخور والكهوف، فإنّها ســرعان ما تحوّلت إلى الوســيلة الأولى في التّواصـــل والتّدوين، ثمّ إلى طفرة كبــــرى بظهور الطباعة ووســـائل النّســخ المتعدّدة، لكنّ الشّفاهية لازمتها وأصبحت لصّيقة بها، وكلّما ذُكر المكتوب والكتابية إلا وقفزت إلى الأذهان الشّفاهية التـــي كان لها السّبق قديما، وظلّ النّاس رغم التّقدم يحنّون إلى النّص والرّواية الشّـفوية كمصـــدر من المصـــادر الهامّة في صـرح التّدوين والكتابة، وكما يقول "والترج. أونج":

"وعلى الرّغم من أنّ الاتّجاه الإنســـاني في عصـــر النّهضـــة اختـــــرع البحث النصـّي الحديث وأشـــرف على تطور طباعة نصــــوص المتون في الكتب، فقد حنّ كذلك إلى العصر القديم، وبهذا أعطى حياة جديدة للشّفاهية"[1].

وبعيدا عن مناقشــة المصطلح الذي ترنّح الباحثون يمينا ويسـارا في تحديد معالمه، فإنّ المفهوم العام والمباشـر، أن من مهام الكتابة حفظ الشّــفوي وتدوينه، وأنّ الرّواية الشّـــفوية لا يمكن إغفالها في مختلف الفنون والعلوم بل هي إحدى مصـــادر المعرفة الإنســـانية، خاصّـــة عندما يتعلق الأمر بالمعارف والفنون والآداب الجماعية التي تتّسم بالحكي كالأساطير والخرافات والأغاني وعموم تراثنا الشّعبي.

ولا يقتصـــر الأمر على الأدب الشّـعبي وعموم التّـــراث اللّامادّي باعتبار أنّ مقوّماته الكبرى المشافهة في تثبيته وتدوينه، بل تعدّاه إلى مختلف المعارف الأخرى،

1 والترج. أونج: الشفاهية والكتابية، ترجمة د. حسن البنا عز الدين، مراجعة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، الطبعة الأولى فيفري 1994، ص 173.

والمؤكّد أنّ الفنون العربية قبل ظهور الإسلام بدأت شفوية معتمدة على الرّواية المتناقلة والإسناد المتواتر أو المنقطع؛ وعلى رأسها الشّعر، ثمّ التّاريخ وغيرهما من الفنون.

وفي جوّ انبهاري بمناهج البحث الحديثة وسيطرة النّزعة "النّصّية" على عقول بعض الباحثين والدّارسين، واعتبار التّراث الشّعبي هو نتاج العامّة الشّفوي الذي لا يحمل قيما علمية ذات بال، تمّ هجر هذا الإنتاج المعرفي الجمعي المتناقل بين الأجيال والعزوف عن دراسته، لكنّه سرعان ما استيقظ البحث العلمي خلال القرن التّاسع عشر الميلادي على حقيقة جديدة مهمّة وهي التّرابط والتّداخل الكبيرين بين التّراث الشّفاهي والتّاريخ والأدب واللّغة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، ومثّلت في الأخير الحصيلة الفردية والجماعية لروح المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه، والضّامن لاستمراره الثّقافي، والحامل لثوابت هوّيته، والنّاقل لمواصفات خطّه العام وخطابه الرّوحي والفلسفي، ولا يمكن فهم هذا المجتمع دون المرور عمّا نقل و أنتج من معارف ومهارات ومعتقدات، والوقوف على كثير من الحقائق التّاريخية - هي في الأصل تواترية شفاهية - لا يفلح الباحث في فهمها وتوثيقها إلّا باللجوء إلى مختلف الوسائل التي يراها ناجعة، ولعلّ أنجعها على الإطلاق المحاورة والمقابلة والاستماع العلمي للرّواية وتحويل المسموع والمنطوق إلى نصّ مدوّن بعد دراسته وتمحيصه، وفي انتظار أن يتحقّق ذلك ضاع جزء من تاريخنا بوفاة الصّدور التي حملته خاصّة المحلّي منه.

الهزيمة يتيمة. . وللنّصر ألف أب

29 جانفي 2017

الهزيمة والنّصر كلمتان متلازمتان نطقا متوقّعتان حدوثا، لكنّهما متباعدتان في الدّلالة ومتناقضتان في المعنى، أمّا الأولى فتعني: الفشل والانكسار والنّكسة والإخفاق، وعدم تحقيق ما نصبو إليه من أهداف، والثّانية تعني: الفوز والنّجاح والوصول إلى ما نسعى إليه، وإن كانت الهزيمة يتيمة وطعمها مرّولا يتقبّلها أغلب النّاس، فإنّ للنّصر ألف أب، وله طعم لذيذ ونشوة نعجز عن وصفها.

وكلاهما أي الهزيمة والنّصر مُعرّض لهما أيّ إنسان أو أيّ جماعة أو أيّ أمّة، لكنّ السؤال الكبير: كيف نتعامل مع الهزيمة حين تكون من نصيبنا؟ وكيف نتعامل مع النّصر حين يكون حليفنا؟ .

وببساطة شديدة فإنّ الهزيمة تحدث حين يقع خلل في العوامل والأسباب التي وضعناها اجتهادا لنصل إلى النّجاح والنّصر، وأكثر النّاس كمالا وأرجحهم عقلا من يتقبّل الهزيمة ويناقش ظروف وقوعها ويتدراك مسبّباتها، ويعتبرها كبوة من الكبوات، وبداية الخطوات التي يخطوها خروجا من دائرة الفشل وصولا إلى حرم النّجاح، ولعلّ أهمّ التّجارب التي حوّلت الهزيمة إلى نصر حقيقي بعيدا عن كل شعارات الشّحن العاطفي المُهيّجة والزّائفة، ما حدث مع ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثّانية، وقراءتها الجيّدة لأسباب الهزيمة، و إقرارها بأنّ حلم التّوسع النّازي ما هو إلا وهم، وأنّ الحقيقة تستدعي مراجعة الذّات بعيدا عن توزيع التّهم على الآخرين وتحميلهم ما حدث، أو تعليق الهزيمة على شمّاعة المؤامرة، بل استثمرت عوامل نجاح الخصم، فكان العقل هو السيّد، والعلم هو السّلم لتتحقّق "المعجزة الألمانية" وتنافس ألمانيا من كان سببا في هزيمتها؛ التي كانت أشبه بالهدية الثّمينة، والتي تحوّلت فيها المحنة إلى منحة، والأمر نفسه حدث مع اليابان.

أمّا أصغر النّاس عقلا وأضعفهم حكمة هو من يرى نفسه مُنزّه عن الخطأ، يتبرّأ من الهزيمة ولا يقبلها وليس من أهلها، وفي و اقع الأمر هو من صنعها، وإن حدثت فهي مؤامرة أحيكت ضدّه، وأنّ كلّ الدّنيا عملت من أجل سقوطه، وأنّ كلّ

النّاس شياطين مَرَدة، وهو وحده الملك البــرّ الطّاهر النّقي، وفي المقابل تجده أسرع النّاس إلى تبنّي نصر الغير الذي لم يصنعه ولم يعمل له، تجده أسرع النّاس لقطف التّفاح من شجرة التّفاح التي لم يغرسها ولم يسقها ولم يتعّهدها بالرّعاية.

وإن كان كلّ فشــل يبحث عن تبرير، وكلّ فاشــل يبحث عن شــمّاعة، فإنّ للنّصـر طعم لذيذ لا يتذوّقه إلّا المنتصـر حقّا، الذي عمل واجتهد لتوفير كلّ أسـباب النّصـر، فكان النّصـر حليفه وتجسـيده على أرض الو اقع صـناعته، فما يزيده ذلك إلا ثقة في النّفس، وعلوّا في الهمّة، وكمالا في البصــيرة، ورجاحة في العقل، ولذلك نجده أكثــر النّاس اعتر افا بفضــل من ســاعده على تحقيق النّصــر، واســتثماره وتحضـيره لصـناعة النّصـر القادم، لأنّ النّفوس الرّ اقية تطمح للوقوف على القمم العالية وتعمل على أن تثبت في هذه القمم، أمّا النّفوس الواهية منشــغلة في توزيع التّهم ومعايرة الغيـر وتحميلهم مسؤولية إخفاق لم يكونوا طرفا فيه، وليس لهم من الصفات غيــر صفات السّطو على نجاحات الغيــر وتبنّيها، أو التّوهّم بأنّهم السبب الرّئيس في نصر غيـرهم، وتمظهرهم بمظهر النّاجحين والمنتصرين، لكن هيهات فمن لم يســتطع أن يصـنع نصـرا بنفســه، لن يســتطع أن يقنع النّاس بأنّه صــانع نصــر غيره، لأنّ النّاس يدركون جيّدا أنّ "الهزيمة يتيمة.. وللنصر ألف أب".

التّربية الجمالية والذّوق السّليم

05 فيفري 2017

حبّ الجمال وتذوّق كلّ جميل فطرة عند الإنسان السّليم الذي خصّه الله بالعقل للتّمييز بين الجمال والقبح، ولذلك اقترن الحسّ الجمالي بالعقل، ففاقد العقل أوّل ما يفقد حاسّة الجمال، وينعكس مباشرة على مظهره، فليس غريبا أن يتنبّه أهل العلم ويدعون إلى الموازنة بين التّربية العقلية القائمة على المنطق والحقائق المجرّدة والعمليات العقلية الدّقيقة، وبين التّربية الجمالية التي تستهدف الوجدان والمخيّلة وتربية الذّوق وتهذيب الحسّ، لتكون المحصّلة شخصية طبيعية متكاملة بتكامل جوانبها من عقل وعاطفة، ودوافع وميول، وعادات وعقائد، و أفكار ومشاعر وأحاسيس، واستعدادات وقدرات وغيرها.

ولا يمكن أن نتصوّر أو نطمح لمجتمع سليم أساسه فرد غير متكامل في بناء شخصيته، أو يقوم على أفراد يتساوى عندهم الجمال والقبح، الخير والشّر، اللّين والقسوة، الرّحمة والغلظة، الإنسانية والتوّحش، النّصرة والظلم، التّسامح والخصومة، النّظام والفوضى، الحقّ والباطل، ولا مكان عندهم على الأقل للقيم الإنسانية الكبرى - الحقّ، الخير، والجمال - التي تضمن الحدّ الأدنى لمجتمع يتعايش مع محيطه ويتوافق مع غيره.

فلا مناص من العودة إلى الاهتمام بالجانب الوجداني والحسّي والذّوق السّليم، ولا يتأتّى ذلك إلا بالرّجوع إلى التّربية الجمالية التي تستهدف تقويم السّلوك وتربية الذّوق الفنّي، وتوطيد العلاقة الجمالية مع المحيط الطبيعي والاجتماعي ومكونات الواقع المعيش، وحينها يمتلك الفرد القدرة على التّذوّق وتلقّي الأشياء بحسّ مُرهف، وتحسّس القيم الجمالية التي يعجّ بها محيطنا، طبيعية كانت، أو من الإبداع البشري؛ كالأعمال الفنية أو الحرفية ونحوها.

فتحسّس الجمال نتيجته الذّوق السّليم، الذي يرتّب مكانة الشّخص في قمّة سلم الإنسانية، ويرتقي به في مدارج النّفوس الطيّبة والسّرائر النّقية، ويصنّفه في زمرة الأخيار الذين ينفرون من القبح وتأباه أنفسهم، وممن يُشبع عالمه

الرّوحي ويحصّنه من التأثّر بالمظاهر الـمُنفّرة والسّلوكات الـمُشينة التـي لا تتصف بالجمال ولا تتضمّن أيّ قيم جمالية.

فمن اتّسـم بذوق سـليم وتشـبّع بقيم الجمال والتّناسـق والمشـاهد الفنّية الـمُريحة والممتعة لجميع الحواس، ستنعكس حتما على أغوار النّفس، وتتجسّد في خُلق قويم وسـلوك سـليم، ومظهر أنيق وتفكيـر عميق، وصـدق الأقوال وصـالح الأفعال، وحلم وتسـامح ورحمة وتصـالح، ومن تجمّعت فيه كل هذه الصـفات لا يمكن أن يصـدر منه الشـرّ والظلم والاعتداء وإشـاعة الرّعب والفوضـى والمسـاس بحقوق الآخرين، بل سيكون رحيما رقيقا حتّـى مع الحيوان وما يوجد بمحيطه حيّا وجامدا.

أمّا من تربّى في بيئة الحقد والبغض والكراهية والصّـراع والعنف ومشـاهد الفوضى، وعدم تناسـق المظاهر والأشكال والأفعال، فهو أقرب إلى ممارسـة العنف والإجرام والإرهاب بمختلف أصـنافه، ولسـنا في حاجة إلى دليل فما يعيشـه عالمنا اليوم جعل كل العقلاء والحكماء ينادون بتفعيل دور التّربية، وخاصّـة في جانبها الحسّي الوجداني الذي يساهم في صناعة الشّخص السّليم الفاعل القويم الذوّاق التوّاق لكلّ برّ وخير.

عندما تصبح الجريمة نجاحا ونصرا

12 فيفري 2017

تمرّ اليوم سبعة وخمسون سنة عن تفجير أوّل قنبلة نووية من طرف فرنسا الاستعمارية يوم 13 أفريل 1960 بمنطقة "حمّودية" التي تبعد عن "رقّان" حوالي ستّين كيلومترا، وسمّتها "اليربوع الأزرق"، وكانت قوّتها بين ستّين وسبعين كيلو طنّا - والكيلو طن يساوي ألف طن - من مادّة تي آن تي T. N. T، أي أنّها أقوى من قنبلة "هيروشيما" الذرّية بثلاث مرّات، وهي القنبلة الأولى التي استخدمت في الحرب والتي ألقتها أمريكا على مدينة "هيروشيما" اليابانية أثناء الحرب العالمية الثّانية، وبالضّبط يوم 06 أوت 1945، وكانت قوّتها عشرين كيلو طنّا.

ومن هذا التّاريخ وبعد شهرين تقريبا دخلت فرنسا السّباق المحموم نحو امتلاك السّلاح النّووي، وأصدرت حكومة "ديغول" مرسوما بتاريخ 08 أكتوبر 1945 يتضمّن تأسّيس "محافظة الطّاقة النّووية" وهي الهيئة التي توصّلت إلى اكتشاف السّر النّووي بتجنيد عدد هائل من العلماء وعلى مراحل توّجت بقرار "ديغول" القاضي بتفجير أوّل قنبلة نووية فرنسية في الثّلاثي الأوّل من سنة 1960.

وقد يقول قائل أنّ طموح فرنسا مشروع في التّحكم في السّر النّووي وامتلاك القنبلة الذرّية، لكن ليس من حقّها أن تحوّل طموحها إلى جريمة ترتكب على أرض الجزائر، واستعمال حوالي ثلاثة ألاف وخمسمائة جزائري كعمّال بسطاء ومعتقلين، فضلا عن سكان تلك المناطق وتعريضهم للإشعاع النّووي، واختيارها للصّحراء الجزائرية كحقل للتّجارب وبالتّحديد منطقة "حمّودية" بدائرة رقّان ولاية أدرار حاليا للتجارب النّووية السّطحية، ومنطقة "إين إيكّر" شمال مدينة تمنراست للتجارب النّووية الباطنية، وما زالت إلى اليوم تعيش هذه المناطق الأمراض الفتّاكة التي لم تعرف عند غيرها، ومنها سرطان الجلد والإجهاض عند النّساء والحيوانات والعقم والوفاة عند الولادة، وسقوط الشّعر والتّشوهات الخلقية، وحرق الأرض وتحويلها إلى أرض لا تصلح للزّراعة، وتدمير الثّروة الحيوانية والبيئة وتلويثها بالإشعاعات النّووية والنّفايات القاتلة.

وفي اليوم الذي شهدت فيه صحراء الجزائر الجريمة الأولى وهي تفجير قنبلة "اليربوع الأزرق"، احتفلت باريس بهذا الإنجاز العظيم الذي يصنّف فرنسا ضمن قائمة الدّول الكبرى والنّووية، وتمّ تقديم شريط مصوّر لكلّ مراحل الجريمة إلى الجنرال "ديغول" في نفس اليوم، واعتبرها أثمن هدية، وعقدت ندوة صحفية حضرها أكثر من ثلاثمائة صحفي وجمع من الأعلام وعلماء "محافظة الطّاقة النّووية" لشرح سير التّجارب والتّفجير، لتتحوّل الجريمة الإنسانية إلى نجاح باهر ونصر مبين تفتخر به فرنسا، ونسيت أنّ التّاريخ سجّل عارها، و أثبت مدى عنجهيتها ودمارها، وصحراء الجزائر ما زالت تحتفظ بهمجيتها و آثارها.

أمّا الثّورة الجزائرية وعلى لسان محمّد يزيد وزير الأخبار للحكومة المؤقّتة فقد اعتبرت التّفجير جريمة ضد الإنسانية حين يقول: "إنّ الانفجار الذرّي الفرنسي الذي تمّ في صحرائنا يوم 13 فيفري يعدّ جريمة أخرى تسجّل في قائمة الجرائم الفرنسية، إنّها جريمة ضدّ الإنسانية. . "[1]، ولكن الجريمة تتواصل وتنفّذ فرنسا ثلاثة تفجيرات أخرى سطحية وهي "اليربوع الأبيض" يوم 01 أفريل 1960، و"اليربوع الأحمر" يوم 27 أفريل 1960، و"اليربوع الأخضر" يوم 25 أفريل 1961[2]، وكلها في رقّان، وثلاثة عشر تفجيرا نوويّا باطنيّا في "إين إيكّر" بتمنراست، لتُثبِّت المفهوم الجديد للجريمة كما ترى؛ وهو النجاح والنّصر.

---

1 التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، دراسات وبحوث وشهادات: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954: ط1، سنة 2000، ص 29.

2 التجارب النووية الفرنسية في الجزائر: المرجع السابق، ص 40.

العنف يطرق أبواب المدارس

26 فيفري 2017

العنف هو سلوك يتعارض مع القيم والأخلاق العامّة للمجتمع، ويتعارض مع كل الشّرائع والقوانين والأعراف التي تسوس وتتداول في هذا المجتمع، كما تأباه الفطرة الإنسانية السّليمة التي ترفض إلحاق الضرر بالغير مهما كان شكل هذا الضرر جسديا كان أو معنويا.

ويظنّ النّاس في الغالب أنّ العنف يتجسّد في الاعتداء الجسدي المادّي الملموس، وبالفعل هو أوضح و أبرز أنواع العنف، لكن يغفلون أنواع أخرى للعنف مثل: العنف اللفظي، عنف التسلط، عنف القمع الفكري، عنف فرض الرّأي...

وإن تعدّدت نظريات تفسير العنف ووصلوا بها إلى أكثر من ستّة نظريات، إلا أنّ نظرية "التّعلم الاجتماعي" هي أكثر النّظريات استحسانا وقبولا، وتقوم على أساس أنّ تعلم العنف يتمّ بنفس الطريقة التي يتمّ بها تعلم أنماط باقي السّلوكات، أي أنّ سلوك العنف الفردي أو الجماعي هو عادة مكتسبة تنشأ لدى الفرد منذ صغره، وهو ما يجعلنا نقطع أنّ أوّل مؤسّسة تصدر العنف هي الأسرة، وأنّ المدرسة تأتي في المرتبة الثّانية فهي من تُكرّسه وتُرسّخه أو تقوم بالعكس، ولا يمكن أن نُغفل دور الشّارع والمجتمع والإعلام ونمط الثّقافة السّائدة وغيرها.

فالعنف الذي يخرج من الوسط الأسري حتما سيصل إلى الوسط المدرسي، وقد تنشئ الأسرة الطفل السّوي الذي لا يعرف العنف ولم يكتسبه، ليجد نفسه في وسط مدرسي يُمارس فيه العنف ويُحاصِر التّلاميذ من كل حدب وصوب، وإن تجاوزنا عن عنف التّلميذ مع التّلميذ، فإنّه لا يمكن أن نتجاوز عن عنف الإطار التّربوي مع التّلميذ، وهل يلتقي العنف مع التّربية؟ وهل العنف الذي ينتهك الحقوق الأساسية ويمسّ الكرامة الإنسانية يكون مصدره المؤسّسة التّربوية؟

وهل التّلميذ الذي يرى معلمّه - مع احترامي الكبير للمعلّمين - يحلّ مشكلاته داخل القسم بالغضب والثّورة والتّكسير، والكلام الذي يحطّ من القيمة

الإنسـانية، والضّـرب الذي يُولّد إحسـاسـا بالدّونية وفقدان الثّقة بالنّفس، ويؤدّي إلى الانطواء والتفرّد عن المجموعة التي تسخر بالـمُعاقب وتستصغره وقد استصغر نفسـه، سيكون تلميذا سويا؟ أم يكون تلميذا فهم درسا عمليّا ميدانيّا وتطبيقيّا في كيفية ممارســة العنف؟ وإذا كانت التّربية هدية المدرســة للأســرة، فهل يمكن أن تمنح الهدية مشوّهة؟ وإن كان التّعليم منحة المدرسة للأسرة، فهل يمكن أن تتحوّل المنحة إلى محنة؟

فلا نسـأل عن العنف عند الكبار وقد مُورس ضـدّهم العنف في الصـغر، ولا نســأل عن التســلّط والقمع المادّي والفكري عند الكبار وقد مُورس ضــدّهم في الصغر.

وفي جـانـب آخر يرى البعض - وهم قِلّة - ومن بـاب الجـدّية والصّــرامة في التّربية والتّعليم بالمدارس، أنّ الأنشــطة الثّقافية والبدنية الرّياضــية واليدوية والتّرفيه والتّسلية في المدرسة، هي مزاحمة للمواد العلمية والأساسية، وقد يتشدّد بعضهم ويراها مضيعة للوقت، ولا يعلمون مدى حبّ التّلميذ لها ومدى قدرتها على التّنفيــس وفكّ الضّغط عليه، فيصبح مناخ المدرسة روتين قاتل وكبت وقهر وملل، فيتولّد عند المتعلّمين ردّ فعل يتجسّــد في تصـرّفات عنيفة، وحينها نلوم أنفســنا لو طرق العنف أبواب مدارسنا.

سياسة تدبير الماء

05 مارس 2017

منذ القديم كان الماء سببا في احتدام الصّراع بين القبائل والشّعوب، ومحظوظ من تمكّن وسيطر على منابعه، وربّما سيحتدم الصّراع أكثر في هذا القرن الذي نعيشه بسبب أهمّية الماء ومدى كفايته للعالم؛ الذي يتزايد عدد سكانه وحجم احتياجاته، فليس غريبا أن نرى الشّعوب منذ القديم تضع سياسات لتدبير الماء، ومنها من وضع ترسانة قانونية لتسيير الماء وحفظه وطرق توزيعه وتوقيته وضمان كفايته للجميع دون إجحاف، وبطرق حسابية تقليدية منها ما هو مثبت ومدوّن ومنها ما كان عُرفيا اتفقت عليه الجماعة وسارت به الحياة في مختلف جوانبها دون خلل.

وفي محيطنا القريب عدّة تجارب و أنظمة تقليدية لتوزيع الماء ساهمت في استقرار المجتمع والدّولة وحقّقت العدالة الاجتماعية، كما حقّقت كفاية اقتصادية دون تبذير أو إسراف لهذه المادّة الحيوية، ومن أمثلة ذلك نظام "الفُقَّارَة" في الجنوب الغربي الجزائري؛ وهي عبارة عن سلسلة من الآبار موصولة ببعضها البعض، تبعد كل واحدة عن الأخرى مسافة غير منتظمة، ومرتبطة مع بعضها بسلسلة أنفاق تدعى "النفاد" من الأعلى إلى الأسفل حتّى يصل الماء إلى مكان تجمّعه ويسمّى "أغوسرو" ثم إلى حوض التّوزيع "ماجن" ومنه إلى البساتين عن طريق السّاقية[1].

كذلك نظام "الغوط" في "وادي سوف" بالجنوب الشّرقي الجزائري، وهو نظام زراعي لا يستخرج الماء من الأرض أصلا، ويعتمد على فلسفة مغايرة أساسها: إنزال المزروعات إلى الماء، بدل رفع الماء إلى المزروعات؛ وكان نظاما زراعيّا تقليديّا مقتصدا للماء وناجحا طيلة ما يزيد عن ستّة قرون، وقد لفت هذا النظام الزّراعي انتباه منظمة الأغذية والزراعة العالمية FAO منذ سنة 2004، في إطار مشروعها

---

1 للمزيد موساوي عربية: الفقارة بمنطقة توات و أثرها في حياة المجتمع ـــ دراسة تاريخية أثرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر. معهد الآثار، سنة 2007.

العـالمي الرّامي للمحـافظة على المنظومـات الفلاحيـة القـديمـة والتّقليـديـة، التـــي تكتسي قيمة تراثية عـالمية لتّصنيفها ضمن التّـراث العـالمي، وأحصت مجموعة من الأماكن في العـالم وصلت إلى 500 نظام ومعلم[1]، من بينها نظام الغوط الذي صنّفته كتـــراث عـالمي لما يكتســيه من أهمّية بيولوجية وتاريخية و اقتصــادية واجتماعية وســياحية، ورمزا من رموز الهوّية وتحدّي الطّبيعة الصّــحراوية، ومعلما من معالم النّجاعة والنّجاح والاكتفاء والتّنمية المستدامة.

وغيـــر بعيد نجد نظاما آخر في مدينة "توزر"[2] سهر على تطبيقه العالم "ابن شــباط"[3] الذي برع في تقسّــيم مياه "توزر" بنظام مُحكم ضَـمِن لهذه المدينة إعمارا مشهودا إلى اليوم.

ولا يمكن إغفال المجهود الجليل لــــ "الفرســـطائي"[4] الذي أشــتهر بكتابه: "القســمة وأصــول الأرّضِـين" كتاب في فقه العمارة الإســلامية، خصّــص فيه جانبا

1 أشـــغال ورشـــة إعادة الاعتبار للنظم الزراعية التقليدية، يوم الخميس 29 جانفي 2009، بنزل غيطان بلاص بالوادي.

2 توزر: مدينة وواحة صحراوية تقع في الجنوب الغربي التونسي، أي أنها محاذية لمنطقة وادي سوف، وهي مركز بلاد الجريد. تقع توزر في الشمال الغربي لشط الجريد وجنوبي شط الغرسة.

3 ابن شــباط: هو محمّد بن علي بن عمر المعروف بابن شــباط التوزري، ولد بتوزر ســنة 1221 م، وهو رياضــي وأديب ومؤرخ ومهندس.

4 الفرسطائي: هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، وقد عاش بين "تمولست" بضــواحي مدينة "تطاوين" التونســية و"وادي ريغ" ثم بمدينة "ورجلان" أي "ورقلة" في الجزائر، توفي بها ســنة 1110م، من مؤلفاته: كتاب القســمة وأصــول الأرضــين، كتاب الألواح، وكتاب أفعال العباد في أدب السّــلوك. (للمزيد ينظر الفرسطائي: كتاب القسمة وأصول الأرضين، جمعية التراث ــ القرارة، ط02، سنة 1997، ص 24 وما تلاها).

كبيرا لتوزيع الماء واستثماره، وبفضل جهوده هذه استقرّت وعمّرت قبائل جبل "بني بُرْكة"[1] وما جاورها من قبائل "ورْغِمَّة"[2] بمدينة "تطاوين" وأطر افها.

ومن أجل دراسة هذه المآثر والتي معظمها قد صنّف ضمن التّراث العالمي، والبحث في إمكانية اســـتثمارها من جديد على الأقل من النّاحية السّـــياحية عُقد "الملتقى المغاربي للثّقافة الشّـــعبية" تحت عنوان: "ســـياســـة تدبير الماء في المناطق الجافّة" بمدينة تطاوين التّونســـية في نهاية شـــهر فيفري لهذه الســـنة، وتناول بالدّراســـة والتّحليل لهذه النّماذج الفريدة، وجهود العلماء القدامى والجدد، وقد أطّر أشـــغال هذا الملتقى نخبة من الباحثين من تونس والجزائر والمغرب وليبيا، فشـــكرنا موصـــول لمن فكّر ودبّر وعلى رأســـهم: الفرع الجهوي لاتحّاد الكتّاب التّونسيين، وجمعية صيانة التّراث، وجمعية أدرار وذاكرة الأرض بتونس.

1 بني بُركة: هو قصـــر يقع على قمة جبل بني بركة المحاذي لوادي زنداق شـــرق مدينة الرقبة من ولاية تطاوين، ويبعد عنها حوالي خمســـة كيلومترات، وهو قصـــر تاريخي محصّـــن له مدخل واحد من جهة الجنوب الشـــرقي، وطريق واحدة وعرة جعلت الوصول إلى قلب القصر متعبة، ويتكون القصر في الداخل من غرف كثيرة متجاورة ومبنية من الحجارة والطّين. (قمت بزيارة لهذه المنطقة، ووقفت على القصـــر رفقة الباحث الأســـتاذ: منصـــور بوليفة، وهو أصيل المنطقة وينتمي لنفس القبيلة، وكان ذلك يوم 26 فيفري 2017).

2 ورغمّة: تعني بالأمازيغية العرش، وهي اتحاد قبلي بربري تونسي ينتسب لقبيلة زناتة من الأمازيغ، كما التحقت به بعض القبائل العربية، تشـكل منذ القرن الســادس عشـر، وقد جاء هذا التحالف لضـرورة أمنية، في جهة الجنوب الشـرقي التونسـي بين البحر والصحراء من واد الزاس بمارث حتى منطقة الحدود التونسـية مع ليبيا، وأشـهر الفروع القبلية المكونة لاتحاد ورغمّة: التوازين، الودارنة، الحوا ية، غمراســن، الجليدات، عكارة، الخزور، الجبالية، الجلالطة، الربايع، غبنتن، الحدادة، مغالبة، ومدنين. (ينظر محمد بوزرارة: التخوم التونسية الليبية عبر التاريخ ــ نجع الذهيبات وجيرانه، دار سعيدان ــ سوسة، تونس، ط01، سنة 2014، ص 119 وما تلاها).

كلّ الأيّام أعيادها

12 مارس 2017

من النّوادر الطريفة والْـمُلح الخفيفة التي سمعتها - وإن تعدّدت روايا‌تها - أنّ أحد المعلّمين كان يشرح لتلاميذه معنى كلمة "المستحيل" ولمّا عجز عن توصيل معناها لمداركهم الفتية، فكّر في أن يوظّف الكلمة ميدانيّا، فطلب من كلّ واحد منهم أن يأتي في الحصّة القادمة ومعه حفنة من تراب الجنّة، وكان يعتقد أن لا أحد يأتي بذلك، وحينها يجيبهم أنّ الإتيان بتراب الجنّة هو "المستحيل"، لكن أحدهم أتى وفي يده كيس فيه قليل من التّراب، ولمّا رآه المعلّم سأله غاضبا:

- أتسخر منّي كيف أتيت بتراب الجنّة؟

- فردّ التّلميذ بكلّ هدوء وثقة: نعم إنّه تراب الجنّة! أخذته من تحت قدمي أمّي، ألم تعلمنا يا سيّدي أن: "الجنّة تحت أقدام الأمّهات"؟.

وإن ضَعَّف بعض العلماء حديث "الجنّة تحت أقدام الأمّهات" بلفظه هذا، فإنّ حديثا آخر بنفس المعنى وبسند حسن ورد في عدد من كتب الحديث: "عن معاوية بن جاهمة السّلميّ، أن جاهمة رضي الله عنه جاء النبي صلى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئتك أستشيرك، فقال: "هل لك من أمّ؟"، قال: نعم، قال: "فألزمها؛ فإنّ الجنّة عند رجليها"[1].

فهل يوجد شرف أعلى من هذا الشّرف الذي نالته المرأة الأمّ وقد وُضِعت الجنّة عند رجليها؟ وهل يوجد احتفاء أرقى من هذا الاحتفاء بالمرأة الأمّ؟ وهل يوجد تاج أفخم من هذا التّاج الذي تُوّجت به المرأة الأمّ في ديننا؟ وبتحصيل الحاصل هو شرف واحتفاء وتتويج لكلّ امرأة مهما كان سنّها ووضعيتها الاجتماعية والاقتصادية والثّقافية والعلمية.

1 البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، سنة 1423هـ. 2003م، ج9، ص 45.

وبطبيعتنا كبشــر تطفح صــدورنا بالرّحمة والحبّ لفلذات أكبادنا، وفي مجتمعنا الذي تســود فيه قيم الدّين والفطرة السّـليمة، فإنّنا نحتفي بالمرأة في كلّ لحظة وحين، فهــي البنت البريئة المشاكسة التــي تملأ البيت فرحا وبهجة، وهــي التّلميذة التي ننتظر عودتها من المدرسة لنستقبلها استقبال الأميرة وننتظر نتائجها الدّراسية بشغف ولهفة، وهــي الطّالبة المجتهدة التــي تنافس وتسابق الذّكور على أعلى المعدّلات في الشّهادات فتُجسّد أحلامنا وطموحاتنا التــي عجزنا عن تحقيقها أحيانا، وهي الشّابة اليافعة التــي تلفت الأنظار، وتُحدث الإبهار، ومن أجلها تُقصد الدّيار، لتكون الخطيبة، والقريبة الحبيبة، ثمّ زوجة ملكة في الدّار، تؤثّث البناء والإعمار، ثمّ الأمّ التي تنجب الابن البار.

وربما البعض منّا لا يحبّ أن يبشّـر بالأنثى، وتأتي بعيدة عن قلبه في البداية، لكنّ سرعان ما يكتشف بأنّها أصبحت تسكن سويداء قلبه، وتستحوذ على كمّ من مشاعره، فيجد نفسه أسيرا لها، ومبجّلة مكرّمة بين يديه، وتزداد قُربا وتكريما كلما تقدّمت في السّـن، ولذلك قالوا: "تَأْتِي بَعِيدَةٌ عَنْ القَلْبِ وتَقْتَــرِبْ مِنْهُ، ويَأتِي قَرِيبٌ مِنَ القَلْبِ ويَبْتَعِدْ عَنْهُ"، والمقصود هنا هو الأنثى والذّكر في مراحل عمريهما.

فالمرأة بيننا مُكرّمة عزيزة في مختلف مراحل عمرها، وفي كلّ يوم من أيّامها، فلا يكفيها يوم واحد في السّــنة يطلقون عليه "اليوم العالميّ للمرأة"، ومن كان إحساسها اليومي بأنّها بنت مدلّلة، أو شابّة أميــرة، أو أمّ في مملكتها السّعيدة، لن تبحث كثيــرا عن تكريم تناله في يوم واحد، ولم يبحث عنها رُعاة هذا اليوم ليكرموها، لأنهم يدركون فعلا لا قولا بأنّ المرأة عندنا مكرّمة وكلّ الأيّام أعيادها.

هو النّصر.. وبجدارة 01

19 مارس 2017

ونحن نحتفل بالذّكرى الخامسة والخمسين لعيد النّصر، ما زلنا نسمع أحيانا بعض الهمس واللّغط يفيد في معناه العام أنّ استقلال الجزائر جاء منحة من طرف الجنرال "شارل ديغول"، وإن كان هذا الكلام لا يؤخذ مأخذ الجدّ ولا داع بأن نلتفت إليه، باعتبار أنّ أصحابه يصنّفون خارج دائرة العارفين المتبصّرين والمجتهدين لمعرفة الحقيقة التّاريخية، زد على ذلك فأنّ هذا الكلام في الغالب ينبع من فئة لا تخلو من شيء من الخِفّة والتّنطع، والبحث عن التّميز والظهور ومخالفة النّاس، وكما يقال: "خالف تعرف"، أو من فرنسا التي لا تملك الشّجاعة لإظهار الحقيقة، وتبرّر وتخفي انكسارها في الجزائر، ولا تريدنا أن نفرح بنصرنا، والدّليل أنّنا لم نسمع ولم نقرأ للباحثين والدّارسين والمؤرّخين المنصفين هذا الكلام، أو ما يوحي ولو بالإشارة إلى معناه، لكن لا يمكن أن نتجاهل مثل هذه الأقوال التي تقزّم حجم التّضحيات التي قدّمها الشّعب الجزائريّ، وتقلّل من شأن ثورة غيّرت مجرى التّاريخ، بل ثورة صُنّفت من الأحداث العالمية الكبرى في التّاريخ الحديث والمعاصر كما وصفها المؤرّخ يحي بوعزيز:

"تعتبر ثورة أوّل نوفمبر الجزائرية من الأحداث العالمية الكبرى في التّاريخ الحديث والمعاصر، لأنّ تأثيراتها تجاوزت الجزائر إلى معظم أصقاع القارّة الإفريقية، وإلى آسيا الجنوبية والغربية، وأمريكا اللّاتينية، فأيقظت الكثير من الشّعوب النّائمة والمغلوبة على أمرها، وحفّزتها على التحرّر، والانعتاق من السّيطرة الاستعمارية"[1].

و أبسط إجابة نستلهمها مما سبق ذكره حول ثورة الجزائر، وتمثّل ردًّا شافيا و افيا كافيا على هذه الأقاويل الباطلة؛ تتلخّص في هذه الأسئلة الهامّة:

---

1 يحي بوعزيز: ملامح ثورة أول نوفمبر الجزائرية وموافق دوغول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1962، مجلة الأصالة، عدد خاص 74/73، سبتمبر أكتوبر 1979، وزارة الشؤون الدينية. الجزائر، ص 23.

- هل يخطر بذهن عاقل أنّ ثورة بحجم ثورة الجزائر تستجدي جلّادها ليمنحها ما تطلب؟

- وهل ديغول الذّي قال يوما: "إنّ فرنسا هنا وستظلّ هنا إلى الأبد.. ولا تفاوض مع الإرهابيين وقُطّاع الطّرق"، يمكنه أن يمنح الاستقلال للإرهابيين وقطّاع الطّرق؟ الذّين أنهكوا فرنسا سياسيّا و اقتصاديّا واجتماعيّا وثقافيّا وأوصلوها إلى الانهيار.

- وهل ديغول الذّي قال لمستقبليه من الأروبيين بوهران في يوم 06 جوان 1958: "أنّه سيتولّى بنفسه إدارة الشّؤون الجزائرية حتّى يكفل النّجاح لانتصار فرنسا في حربها ضدّ الثوّار"[1]، يمكنه أن يمنح الاستقلال للثوّار الذين تعهّد أمام الملأ أن يقود الحرب ضدّهم بنفسه، وأن ينتصر عليهم؟

- وهل ديغول الذي كان أكثر دموية مع الثّورة والجزائريين عامّة، من أجل قهرها والتمسّك بالجزائر، الذي فرّط في اثنتي عشر مستعمرة إفريقية من أجلها، يمكن أن يمنحها الاستقلال على طبق من ذهب؟

ولعلّنا لن نجد دليلا قاطعا وبليغا أفضل من شهادة المؤرّخ الفرنسي "بنجامين ستورا" المختصّ في تاريخ الاستعمار بالمغرب العربي، في كتابه الأخير: "ديغول الغامض.. اختياراته بالنّسبة للجزائر" الذي يؤكد فيه أنّ استقلال الجزائر لم يكن ليأتي لولا استماتة الجزائريين في المعارك المسلّحة، ويدحض فيه الادّعاءات القائلة بأنّ ديغول منح الاستقلال للجزائر.

وقد راح المؤرّخ الفرنسي "جان بول بليد" (Jean-Paul Bled) في كتابه "الجنرال ديغول والعالم العربي" (Le General de Gaulle et le Monde Arabe) يبرّر لتغيّر موقف "ديغول" وذهابه للتّفاوض، بأنّه نابع من إرادته في تطوير الجيش الفرنسي وامتلاكه للسّلاح النّووي؛ الذّي يعزّز مكانة فرنسا ويحفظ لها الاستقلالية؛ ليصبح من الضّروري التّفاوض مع الحكومة الجزائرية المؤقّتة لإنهاء الصّراع كما عبّر عن ذلك.

1 ازغيدي محمد لحسن: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 ـــ 1962، م. و. ك. الجزائر، ط01، سنة 1989، ص 169.

وإن كان في كلام "جان بول بليد" تضـــمين بل تصـــريح بأنّ "ديغول" هو من منح الاستقلال للجزائر، إلّا أنّه يعتـرف بأنّ "ديغول" هو من هرول للتّفاوض، ومن البديهي أنّ السـبّاق للتّفاوض في الحرب - وأؤكد على جملة في الحرب - هو الـــمُنهك الـــمُتضـــرّر منها، والسّـــاعي لتقليل خســـائرها، وليحفظ ما تبقّى له من قدرات، وليصون ماء الوجه وحفظ الكرامة.

... يتبع...

هو النّصر.. وبجدارة 02

26 مارس 2017

وقد يُنظر إلى المفاوضات التّـي جرت بمراحل متعدّدة بين الجزائر ممثّلة في جبهة التّحرير الوطني وفرنسا، والتـي تمخّض عنها في مرحلتها النّهائية إعلان النّصر، على أنّها تعنـي الجلوس على الطّاولة للتّنازل، فهذا عين الخطأ لأنّ التّفاوض هو أمر حتمـــي يصـــل إليه كلّ أطراف الخلاف مهما كان، باعتبارها تبادل للرّأي مع ذوي الشّـأن في الخلاف بغية الوصـول إلى تسـوية و اتّفاق، لكن في الحرب هي مفاوضـات للوصول إلى نتائج تُنهـــي النّـــزاع؛ يأتي إليها طرف من الأطراف مُجبـــرا وهو الطّرف الخّاســـر، فنجده أحرص على التّفاوض ليضـــمن اســـتمرارية وقوفه، وحفظ ماء وجهـه كمـا حـدث لفرنســـا: "وإن كانوا قـد أظهروا اســـتعـدادهم للمو افقـة على المفاوضــات الحرّة بين طرفين متعادلين، وبشــكل يمكّن فرنســـا من الاحتفاظ بماء وجهها"[1].

فهدف أيّ ثورة هو العمل على إلحاق العدو أكبـــر الخسـائر، وليس القضـاء عليه ومسحه من الوجود لأنّ ذلك يعدّ أمرا مستحيلا، لكن ضخامة خسائره تجعله يهرول نحو التّفـاوض، وهو مـا حـدث لفرنســـا في الجزائر، عـندمـا نجحـت الثّورة الجزائرية في إحداث تغيير مهمّ على ثلاثة محاور رئيسية، وهي:

- أوصــلت الثّورة الجزائرية فرنســا ســياســيّا إلى حالة من التّخبّط، كما أوصــلت قادتها وعلى رأسهم "ديغول" إلى قناعة وأنّ فرنسا على حافّة الانهيار وجب إنقاذها.

- انهيار الاقتصـاد الفرنسـيّ بزيادة النّفقات العسـكرية، التـــي فرضـتها قوّة الثّورة الجزائرية وضرباتها المتكرّرة سياسيّا و اقتصاديّا.

- تذمّر المجتمع الفرنسـيّ ممّا وصـلت إليه الحرب في الجزائر، وتغييـــر رأيّه تجاهها وتكوين موقف مطالب بإنهاء الحرب والذّهاب الفوري إلى طاولة التّفاوض.

---

1 جلال يحي: المغرب الكبير 03 ـ الفتـرة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال، الدار القومية للطباعة والنشر، ط01، سنة 1966، ص 1244.

وتتجلّى حالة التّخبّط السّياسيّ الفرنسيّ في السّقوط المتتالي للحكومات منذ الفاتح من نوفمبر سنة 1954، ابتداء بحكومة "أدغر فور" (23 فيفري 1955 إلى 01 فيفري 1956) و"غي موللي" (01 فيفري 1956 إلى 13 جوان 1957) و"بورجيس مونوري" (13 جوان 1957 إلى 06 نوفمبر 1957) والحكومة التي عرفت بحكومة الوحدة الوطنية وترأسّها "فيليكس غايار" (06 نوفمبر 1957 إلى 15 أفريل 1958).

ولعلّ أكبر هزّة سياسيّة أصابت فرنسا هي تمرّد 13 ماي 1958 بقيادة الجنرال "جاك ماسو" ومباركة الجنرال "راؤول سالان" قائد القوّات في الجزائر[1]، وأعلنوا تسلّمهم الحكم رسميّا، وفي اليوم الموالي تكلّموا باسم "مجلس الثّورة العسكري" ووجهوا نداءً إلى الجنرال "شارل ديغول" لتسلّم الحكم، والذي عبّر عن قبوله لهذا الأمر معتبرا أنّ استقلال فرنسا ووحدتها مهدّدة، كما صرّح بذلك عبر الإذاعة يوم 27 ماي، و أنّه قادم كمنقذ، قائلا: "العملية المنتظمة الضّرورية لإقامة حكومة جمهورية قادرة على تأمين استقلال ووحدة البلاد"[2].

وقد استلم "ديغول" رئاسة الحكومة يوم الفاتح جوان 1958، وكانت أوّل أهدافه إنقاذ فرنسا من ورطة الثّورة الجزائرية وبحث كيفية الخلاص مما سبّبته من مأزق لها على كلّ المستويات، وكانت البداية بتعديل الدّستور يوم 28 سبتمبر 1958 لإنهاء الجمهورية الرّابعة، وبداية الجمهورية الخامسة وإعطاء نفس جديد لروح التّغيير وتمكينه من المزيد من الصّلاحيات، وبالرّغم من ذلك اشتدّت القبضة بين "ديغول" والقوى الدّاخلية بمختلف توجّهاتها ومشاربها جرّاء الرجّة التي أحدثتها ضربات الثّورة الجزائرية مع الخضّة الاقتصاديّة النّاتجة عن نفقات الحرب، اضطرّ "ديغول" للاعتراف والتّفاوض، وهو على يقين أنّ المفاوضات عسيرة وأنّ الطرف الجزائريّ لن يقدّم أيّ تنازلات.

1 لمزيد من المعلومات ينظر ازغيدي محمد لحسن: مرجع سابق، ص 167 وما تلاها.

2 رضا مالك: الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956- 1962، ترجمة فارس غضوب، دار الفارابي. بيروت، ط1، سنة 2003، ص 359.

"وإذا كانت ظروف القوى الفرنسـية نفسـها، والتّفاعل بين العناصـر اليمينية والعسـكرية، وبين سـلطة الجمهورية الخامسـة الجديدة قد أدّت إلى اضطرار الجنـرال ديغول إلى الاعتـراف بأنّ الجزائر جزائرية، فإنّ ذلك لم يكف أمام رجال الحكومة الجزائرية المؤقّتة، ولم يكن يستدعي منهم تقديم أيّ تنازلات"[1].

وفي مذكّراته يعتـرف "ديغول" بصـعوبة حلّ القضـية الجزائرية وعجز النّظام عن حلّها، والتّفاوض مع ممثلي الشّـعب الجزائري، يقول: "ولا سـيّما أنّ الاستعمار وبخاصّة في الجزائر، أصبح مجرّد أموال مرهونة عقيمة الفائدة، غيـر أنّه كان يبدو واضحا حتّى في نظر أكثر النّاس يقظة ونباهة، أنّ النّظام عاجز عن حلّ هذه القضية"[2].

... يتبع...

1 جلال يحي: مرجع سابق، ص ص 1244 1245.

2 الجنـرال ديغول: مذكرات الأمل ـــ التجديد 1958- 1962، ترجمة: سـموحي فوق العادة، مراجعة: أحمد عويدات، منشورات عويدات .بيروت، ط1، سنة 1971، ص 22.

هو النّصر.. وبجدارة 03

02 أفريل 2017

وبعد جملة من المناورات من طرف "ديغول" ومحاولته لوضع بعض الحلول النّاجعة في نظره للقضاء على الثّورة واستمالة الشّعب الجزائري، منها:

- مشروع قسنطينة وقد صرّح به "ديغول" يوم 03 أكتوبر 1958، محاولا من خلاله تحسين الجانب الاقتصاديّ والاجتماعيّ معتقدا أنّ القضية الجزائرية اقتصادية تنتهي بتحسين المعاش؛ الكفيل بتخلّي الشّعب عن ثورته.

- سياسة المرونة والتّهدئة من خلال إعلانه في 23 أكتوبر 1958 عمّا أسماه بـ "سلم الشّجعان" حيث دعا الثّوار إلى وضع السّلاح دون شرط.

- مشروع شال العسكري الذي بدأ تنفيذه منذ فيفري سنة 1959 للقضاء على الثّورة وتمثّل في عدّة عمليات عسكرية، منها: عملية المجهر ببلاد القبائل، عملية الشّرارة ببلاد الحُضنة، عملية الأحجار الكريمة في الشّمال القسنطيني، وعملية عسكرية بجبال الونشريس والظهرة، لكن كلّ ما بذله من جهد واجتهاد لم يتمكّن من إضعاف الثّورة.

وقد سبّبت الثّورة الجزائرية متاعب اقتصادية لفرنسا، جرّاء حجم زيادة النّفقات العسكرية، "فقد كان المستعمر ينفق ما يزيد عن ثلاثة مليارات يوميّا، على جيشه في الجزائر، والذي يبلغ مليون عسكريّ، إضافة إلى ذلك ثلاثة مليارات تخرج من خزينته شهريّا.. على يد الجزائريين في فرنسا لصالح الثّورة"[1].

وقد أكدّ "ديغول" بنفسه أنّ الثّورة الجزائرية أوصلت فرنسا إلى الإفلاس، يقول: "كنّا في جميع المجالات على حافّة النّكبة، إنّ ميزانية 1958 كانت تنطوي على عجز يبلغ في الأقلّ 1200 مليار فرنك، ويتجاوز ديْننا الخارجي مبلغ ثلاثة مليارات دولار.. ومن حيث الاحتياطي، لم يبق لدينا في الأوّل من حزيران سوى ما يعادل 630

---

1 محمد لحسن ازغيدي: مرجع سابق، ص 212.

مليون دولار من الذّهب والقطع النّادرة، أي قيمة ما نستورده خلال خمسة أسابيع، وقد كنّا في الو اقع أمام احتمالين: إمّا ظهور المعجزة، أو الإفلاس"[1].

زد على ذلك حجم التذمّر الاجتماعيّ الذي وصل ذروته، وتكوين رأيّ ر افض لما آلت إليه الأوضـــاع جرّاء حرب الجز ائر، وظهور تيّار يطالب بإنهائها والذّهاب إلى التّفاوض، وقد تجلّـــى ذلك في عدّة بيانات نأخذ أحدها كمثال، وهو بيان "الاتحّاد الوطني لطلبة فرنســا" يقول: "إنّ الاتّحاد الوطني لطلبة فرنســا يؤكّد من جديد أنّ المفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجز ائرية، والوصول بهذه المفاوضات إلى هدفها المنشود هو وحده الكفيل بوضع حدّ لهذه الوضعية الدّامية"[2].

كلّ هـذه العوامـل جعلـت "ديغول" يكرّر الزّيـارات إلى الجز ائر، ويقوم بالتّحضـير النّفسـي وتهيئة الفرنسـيين في الجز ائر وفرنســا لقبول الو اقع الجديد، الذي كان يحثّ الخطى للوصـــول إليه، وهو ما عبّـــر عنه في خطاب يوم 14 جوان 1960 الذي قال فيه جملته الشّـــهيرة: "إنّ حقّ الجز ائريين في تقرير مصـــيرهم هو الحلّ الوحيد الممكن لمأساة معقّدة ومؤلمة"[3].

فهل "ديغول" الذي وصلت بلاده إلى هذا الوضع المأساوي في شتّى النّواحي السّـياسـية والاقتصـادية والاجتماعية والثّقافية بفعل الثّورة الجز ائرية، يملك من القوّة والقدرة ليمنح الاستقلال للجز ائر؟

أبدًا إنّها المقاومة والصّمود! التـــي جرّته إلى التّفاوض لإنهاء كابوس اسـمه الثّورة الجز ائرية، أمّا ما تَبِع ذلك من وسـائل مثل الاسـتفتاء حول تقرير المصير، ما هو إلا إجراء روتيني يعلم "ديغول" وغير "ديغول" أنّ نتيجته محسومة سلفا.

1 الجنـــرال ديغول: مذكرات الأمل ـــ التجديد 1958- 1962، ترجمة: سـموحي فوق العادة، مراجعة: أحمد عويدات، منشورات عويدات. بيروت، ط1، سنة 1971، ص ص 154 155.

2 محمد لحسن ازغيدي: المرجع السابق، ص ص 214 215.

3 الجنرال ديغول: المرجع السابق، ص 100.

مجزرة. . وبكلّ المقاييس

09 أفريل 2017

ما قد يغيب عن البعض أنّ منطقة وادي سوف شهدت فاجعة أليمة بل جريمة مكتملة الأركان، نفذّها المستعمر منذ ستّين سنة مضت، وقد اشتهرت بتسمية "مجازر رمضان 1957" لوقوعها في شهر رمضان سنة 1376هـ الموافق لشهر أفريل سنة 1957.

ففي أوائل سنة 1957 تفطّنت السّلطات الاستعمارية إلى وجود تنظيم مدني يدعم الثّورة بشتّى الوسائل، ومهيكل في كلّ أطراف وادي سوف، وتمّ اكتشافه بتجنيد شخص وتدريبه، ثمّ الزّج به في صفوف جيش التّحرير الوطني مُظهرا توبته على أرجح الأقاويل، وخلال تواجده بالجيش تحصّل على معلومات مهمّة حول مسؤول التّنظيم ومسؤولي الخلايا القاعدية السرّية وأماكنهم وطبيعة نشاطهم، وكيفية اتصّالهم بقيادة الطّالب العربي قمّودي بالجنوب التّونسي، والظّاهر أنّ السّلطات الاستعمارية لم تعتمد على معلومات هذا المُجنّد فقط، بل شرعت في تحقيقات مكثّفة توصّلت من خلالها إلى رأس التّنظيم المدني، وهو الحاج البشير غربي إمام مسجد "عَمْرة" بحاسي خليفة، الذي كان يتّخذ من هذا المسجد البعيد عن الأعين مقرّا للتّنظيم.

وابتداء من يوم الخميس الرّابع من رمضان سنة 1376 هـ الموافق للرّابع من أفريل سنة 1957م أعطى المتصرّف الرّئيسي للشّؤون العامّة بملحقة الوادي "لوس كاتينو" الأوامر للقائد العسكري العام بالمنطقة "فْوازار" ومساعديه على مستوى مراكز "الاصاص"[1] في الدّبيلة، والرّقيبة، والربّاح، وهم على التوالي: "لوكار"، و"هيبيرتي، و"كورنبوا" للشّروع في تصفية التّنظيم وقادته والفاعلين فيه وكان عددهم على مستوى تراب وادي سوف يفوق 1350 مناضلا[2].

[1] لاصاص: المصالح الإدارية المختصة (SAS) أي: LES SECTIONS ADMINISTRATIVES SPECIALISEES

2 محاضرات الاحتفال بالذكرى الأربعين لشهداء رمضان، اللجنة الولائية لإحياء الاحتفالات الوطنية لولاية الوادي، بتاريخ: 24 و25 أفريل 1997، بدار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي.

وكانت البداية بالقبض على الحاج البشير غربي وإعدامه دون محاكمة والتّنكيل به وتقطيع جسده بالآلات الحادّة والكلاب المسعورة، ثمّ انتشرت حملات المداهمة والاعتقالات في كلّ نواحي المنطقة بقيادة ضبّاط مراكز "لاصاص" والشّروع في الإعدامات الجماعية بداية بمسجوني الوادي ليلة السّابع من رمضان، ومنهم أحمد التجّاني وبشير بن موسى، ومعهم عشرة آخرين، وفي ليلة التّاسع من رمضان تمّ إعدام سبعة مناضلين في عميش من طرف "كورنبوا"، وفي ليلة السّادس عشر من رمضان تمّ إعدام عشرة مناضلين في الرّقيبة من طرف "هيبيرتي"[1]، وتواصلت المجزرة وتوزّعت الأحزان على كلّ البيوت في وادي سوف إلى غاية يوم 28 فيفري من سنة 1958[2].

وكانت حصيلة هذه المجزرة أكثر من 135 شهيدا تمّ إعدامهم دون محاكمة وبأساليب بشعة، ففي جهة "اعميش" مثلا طُلب منهم حفر قبورهم ودخولها ليتمّ بعد ذلك تصفيتهم بالرّصاص والحرق والدّفن أحياء، أمّا أثناء الاستنطاق فقد عذّبوا بأبشع وسائل التّعذيب، كالصّعق الكهربائي، الجلد المبرح، الغمر في الماء والحقن به، تقطيع الجلد، الرّمي في الآبار، وتقطيع الأوصال بالجرّ...

وزيادة عن الحصيلة الثّقيلة من الشّهداء وفي كلّ أنحاء وادي سوف، كان مصير عدد كبير من المناضلين السّجن، ومنهم النّفي والتّهجير، ومنهم من فرّ إلى تونس وإلى الشّمال الجزائري والمدن الدّاخلية.

---

1 محاضرات الاحتفال بالذكرى الأربعين لشهداء رمضان، مرجع سابق.

2 هذا التاريخ سمعته من المجاهد والمؤرخ الأستاذ عبد الحميد بسر، يوم الأحد: 22 ماي 2016 بمكتبه.

المثقّف والسّياسة

16 أفريل 2017

لســنا هنا في حاجة إلى تحديد مفهوم المثقّف ومفهوم السّــياســة؛ بقدرما نحن في حاجة إلى العلاقة بينهما، وإلى دور المثقّف في عالم تغيّــــرت فيه كلّ معالم السّياسة، في حين تغيّـرت الأُطر الأيديولوجية التي تصنع توجّه وفكر المثقّف، وفكّ الارتباط بينه وبين نظام سياسي معيّن أو ممارسة سياسية ما، ونقصد بذلك أنّه لم يعد - أي المثقّف - يمثّل المرآة التــي تنعكس بها صـورة السّـياسـي أو النّظام الذي اختاره، ولعلّ السّـبب الرّئيسي في ذلك هو الانفتاح والعولمة الثّقافية والسّياسـية، وتطوّر أســاليب ممارســة الحكم، ورغم ذلك ما زال السّـياســي في أمسّ الحاجة إلى المثقّف مهما ارتقت الأنظمة السّــياســية واعتمدت على مقوّمات فلســفية أكثر نجاعة.

ومن جهة أخرى ليس من المنطقي أن يكون المثقّف جهة تتصدّى للسّياسي بالمفهوم الجماهيري الذي يجعل منه معارضــا شــرســا وقائدا ميدانيّا للمعارضــة، ويتخلّى عن دوره الأصلي وهو التّنوير وإظهار الحقيقة، و إنتاج الأفكار ومحاولة إقناع السّــياســي بها، ليكون لها دور فاعل في النّظام السّــياســي المنتهج، لأنّ المثقّف بمفهومه الاصطلاحي هو ناقد اجتماعي، يصبو إلى تغييــر وجهة المجتمع إلى الطّريق الأفضل، والمُوصل إلى محطّات الرّقي والازدهار في شتّى مناحي الحياة.

وعندما أدرك السّــياســي أهمّية ودور المثقّف في الحياة العامّة والحياة السّياسية خاصّة، بما يحمل من أفكار يمكن توجيهها لتصبح صانعة مبــرّر بقائه وقوّته، وتبييض صورته وتلميع سلوكاته، اجتهد السّياسي منذ القديم فــي أن يكون المثقّف الخادم له ولتوجّهاته السّياسية مقابل الرّعاية والحماية والتلميع والرّيع.

وبعدما كان حكم الأقلية "الأوليغارشــية" يعتمد على حصــر السّــلطة السّــياســية في فئة صـغيرة من المجتمع تتمتّع بالنّســب أو المال أو القوّة أو السّــلطة العســكرية، وهو أســلوب في الحكم معروف ومتداول، ولعله أصــبح مســتهلكا عند الأمم التي تتوفّر على قدر أعلى من الرّقي والتّطور السّياسي، فإنّه ليس من المستبعد

أو الغريب أن نرى في الأيّام القليلة القادمة السّعي لخلق نمط سياسي جديد يعتمد على "الأوليغارشية الثّقافية" بمعنى حصر السّلطة السّياسية في يد الأقلّية المثقّفة أي النّخبة كبديل عن الأنظمة المألوفة، وكبديل عمّا هو موجود اليوم والمتمثّل في تسخير ترسانة من المثقّفين كمستشارين.

ومهما عزف المثقّف عن السّياسة أو أظهر ذلك، فإنّ السّياسي عبر تاريخه الطّويل قد استثمر عصارة فكر المثقّف ووظفها لصالح السّياسة بذكاء وفطنة لم يتفطّن لها المثقّف نفسه، حتّى لا يحسّسه بأنّه عنصر فاعل وله تأثير، فينافسه وتتّجه أنظاره نحو السّلطة كما يرى، أمّا في الفترات الحرجة فإنّ السّياسي يكشف كلّ أوراقه ويستنجد بالمثقّف بل ويستجديه، وجميل أن يكون ذلك الاستجداء من أجل إنقاذ وطن، وليس من أجل إنقاذ سياسيّ أو نظام سياسيّ.

وعندما كان المثقّف بهذه الأهمّية، لماذا نراه اليوم على هامش الحياة السّياسية؟ والإجابة لأنّ السّياسة اليوم في مستوى جعلها لا تحتاج إلى المثقّف، بل تهرب من المثقّف وتراه خصما لا شريكا، والمثقّف الحقيقي والفاعل لم تسمح له نفسه بالنّزول إلى مستوى هذه السّياسة المجرّدة من القيم الأخلاقية في كثير من الأحيان، فليس غريبا أن نرى الدّارسين والباحثين والأكاديميين والمثقّفين والعلماء والنّخبة والصّفوة يفرّون من السّياسة كفرارهم من الجُذام، والظّاهر أنّ الانتظار سيطول حتّى يتكامل دور السّياسي ودور المثقّف ليتكامل بناء الوطن.

الكتاب في يومه العالميّ

23 أفريل 2017

بقرار من المؤتمر العـام لمنظّمـة الأمم المتّحـدة للتّربيـة والعلوم والثّقـافـة "اليونسـكو" بتاريخ 23 أفريل 1995، تمّ ترسـيم هذا اليوم من كلّ سـنة، يوما عالميّا للكتاب وحقوق المؤلّف، ومبـــرّر ذلك كما جاء في موقع "اليونسكو": "تاريخ رمزي في عـالم الأدب العـالمي، ففي هـذا التـاريخ من عـام 1616، توفّي كـلّ من ميغيـل دي سرفانتس[1]، ووليم شكسبير[2]، والاينكا غارسيلاسو دي لافيغا[3]، كما يصادف يوم 23 أفريـل ذكرى ولادة أو وفـاة عـدد من الأدبـاء المرموقين مثـل: موريس درويـون[4]،

---

1 ميغيل دي سرفانتس سابيدرا: جندي وكاتب مسرحي وشاعر إسباني ولد سنة 1547، اشتهر عالميا بعد كتابة روايته الشهيرة "دون كيشوت" التي تعد من أفضل الأعمال الروائية في ذلك الوقت، توفي يوم 23 أفريل 1643.

2 وليم شكسبير: شاعر وكاتب مسرحي وممثل إنجليزي ولد سنة 1564، له 38 مسرحية و158 سونيته (أغنية قصيرة) أدخلته ضمن جهابذة الأدب العالمي، ترجمت أعماله إلى كل اللغات الحية، توفي سنة 1616.

3 الاينكا غارسيلاسو دي لافيغا (1535- 1616)، يعرف بـ "إنكا" وهو مؤرخ بيروفي، عاش بين بيئة أمه البيروفية وبلد والده الأسباني، من أشهر أعماله التاريخية: الملاحظات الحقيقية المتعلقة بأصل الإنكا.

4 موريس درويون: وهو فرنسي من أصل روسي، ولد يوم 23 أفريل 1918 بباريس، وهو كاتب وسياسي فرنسي، مؤلف لنشيد المقاومة الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية، حاز على جائزة غونكور الأدبية الفرنسية سنة 1948، عن روايته "العائلات الكبرى"، ومن أشهر أعماله: اللواء الأخير، نهاية الرجال، الملوك الملعونون، اسكندر الكبير 1958، ذكريات زوس 1963، توفي يوم 14 أفريل 2009.

وهـالـدورك لاكســـنس[1]، وفلاديميـــــر نـابوكوف[2]، وجوزيـب بْلا[3]، ومـانويـل ميخيـا فاييخو[4]"[5].

والملاحظ أنّ اليوم العالمي للكتاب ارتبط بتاريخ وفاة وميلاد بعض الأدباء في فتـــرتين زمنيتين هما: بدايات القرن السّـابع عشـر، والقرن العشـرين، وقد تكون الصـدفة لعبت لعبتها، فكان من حسـن حظّهم أن يعود كلّ عشّـاق الكتاب والقراءة إلى تذكّر سيرهم وما أنتجوا من كتب، خاصّة في احتفالية اليوم العالميّ للكتاب.

ففي إســـبانيا مثلا أنّ الاحتفال باليوم العالميّ للكتاب هو احتفاء بالأديب الأسـباني "ميغيل دي سـرفانتس" وإعادة قراءة روايته الشّـهيرة "دون كيشـوت" أو "دون كيخوتي دي لا مـانتشـــا" في مارثون القراءة للتّعريف بها في أوســـاط الجيل الجديد، ولم ينته تخليده وتكريمه عند هذا الحدّ، بل أطلقوا جائزة سـنوية باسـمه ابتداء من سنة 1979، تعتبـر أكبـر جائزة وتكريم لكتّاب اللّغة الإسبانية في إسبانيا وخارجها، وتقدّم ســنويا في احتفال اليوم العالـــميّ للكتاب الذي يصـــادف تاريخ وفاته.

---

1 هالدورك لاكسـنس: هو أديب أيسلندي ولد يوم 23 أفريل 1902، تحصـل على جائزة نوبل للأدب سـنة 1955، وجائزة الإتحاد السـوفياتي في السـلام للأعمال الأدبية سـنة 1953، نشـر روايته الأولى في سـن السـابعة عشـرة تحت عنوان "طفل الطبيعة"، أما روايته الشـهيرة والتي لفتت له الأنظار فقد نشـرها سـنة 1929، تحت عنوان "النساج العظيم من كشمير"، توفي يوم 08 فيفري 1998.

2 فلاديمير نابوكوف: ولد يوم 23 أفريل 1899، وهو كاتب روســي أمريكي كتب بالروســية والانجليزية، كانت أول رواية له ســنة 1925 بعنوان "ماشـينكا"، و"رجل سـوفييتي) سـنة 1926، و"الملك- السـيدة – الخادم" سـنة 1931، ومن أعماله الأخرى: الغلطة، سـباق مجنون، دعوة للعذاب، وسـيرة سـباسـتيان نايت الحقيقية، توفي يوم 02 جويلية 1977.

3 جوزيب بلا: ولد يوم 08 مارس 1897، وهو صـحفي وكاتب كتالوني له مؤلفات عديدة منها: رحلة بالحافلة، الشارع الضيق، الكراس الرمادي، مياه البحر...، توفي 23 أفريل 1981.

4 ومانويل ميخيا فاييخو: كاتب وشاعر كولومبي، ولد يوم 23 أفريل 1923، له أعمال كثيرة في القصة منها: كانت الأرض لنا، عند سـفح المدينة، في اليوم المحدد، مسـاء الصـيف، العالم يمضـي...، ومن الأشـعار: ممارسـة النسيان، وقال الريح، وذاكرة النسيان...، توفي يوم: 23 جويلية 1998.

5 موقع اليونسكو: http://www. un. org/ar/events/bookday

والحقيقة أنّ الكتاب لم تكن له فترة زمنية محدّدة يستمدّ منها أهمّيته، أو بشخص ما يرفع من شأنه، أو يتقلّص دوره وقيمته في فترة من الفترات أو بشخص من الأشخاص، لأنّه قيمة ثابتة في منظومة متغيّرة، بين الانحطاط والرّقي الفكري، والكتاب هو المعيار لهذا التّغير، فقد رافق الإنسان في كلّ مراحل تطوّره وتحضّره، من لفائف البُردي عند المصريين القدامى، والكتب الخشبية والحريرية عند الصّينيين، وألواح الطّين الأشورية البابلية، إلى الرّق والجلد عند الإغريق والرّومان، وصولا إلى الفتح العظيم الذي وصل له "تساي لون" سنة 105م[1] في الصّين وهو صناعة الورق، ثمّ الطّباعة الحجرية ووصولا إلى طباعة "الأوفسّيت" وعالم الرّقمنة الذي نعيشه اليوم، بقي الكتاب هو الحضارة ومخلدّ للحضارة، والكاتب هو الأداة التي تسهم في صناعة الحضارة، فلا حضارة دون الكاتب ولا خلود للحضارة دون كتاب، ولهذا وجب أن نحتفي بالاثنين.

وعلى الطريقة الإسبانية فليكن احتفالنا باليوم العالميّ للكتاب، احتفالا محليّا بتخليد كاتب من كتّابنا الذين قدّموا للإنسانية، و أفضل سبيل إلى ذلك إحداث جائزة وطنية أو مغاربية أو دولية دورية ثابتة باسمه، وبقيمة ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الظروف، وجائزة موازية تثمّن الكتاب، وتعيد الرّوح في القراءة والمطالعة، وتتمّ باختيار كتاب من الكتب التي أسهمت في بناء حضارتنا في مختلف مناحيها، ليكون محورا للجائزة وللقراءة، واختيار جملة من الكتب وطباعتها.

أمّا هذه التّكريمات العابرة للكُتّاب فإنّها وإن ردّت شيئا من الاعتبار للكاتب، فإنّها لا ترتقي بالكتاب و إنتاجه، ونرى أن أفضل تكريم للكاتب هو طباعة ما أنتج من كتب تضمن تخليده بين الأجيال، وتستفيد هي الأخرى من هذه الكتب.

1 سقند دال: تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ترجمة: محمد صلاح الدين حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع. القاهرة، ط1، سنة 1958، ص 33.

"شذرات ثقافية" تدخل عامها الثّاني

30 أفريل 2017

ما كنت أظنّ أنّني سألتزم كلّ هذا الالتزام حين كُلّفت من طرف إدارة جريدة "الجديد اليومي" بالكتابة، وقد مُنحت لي هذه المساحة على شكل عمود أسبوعي "شذرات ثقافية" لأطرح فيه حقائق وأراء في الثّقافة والفكر والتّاريخ، لعلمي مسبقا أنّ الرّحلة طويلة، وأنّ أوّل رهان ونجاح لمثل هذه الأعمال وغيرها هو الاستمرارية، وأرغمت نفسي على كسب الرّهان، وبعون الله كسبت هذا الرّهان، وصدرت المقالات متتابعة حسب موعدها المحدّد، وهكذا حقّ لنا جميعا أن نحتفل بـ "شذرات ثقافية" وهي تطفئ شمعتها الأولى، وتطمح في المواصلة نحو الشّمعة الثّانية والثّالثة.

..

ولا مناص لنا بأن يكون احتفالنا تنحصر كل فقراته في: التّقييم والنّقد والملاحظات الموجّهة خلال العام، وهي كثيرة وإن كان معظمها الشّكر والثّناء عن المجهود المقدّم، وحسن اختيار المواضيع ووقت طرحها، وسلاسة الأسلوب، وطريقة الطّرح، والتّركيز على الهادف والبنّاء، ونحو ذلك.

لكن لا يخلو عمل من نقائص فالكمال لله وحده، وجميل أن نكون على أتمّ الاستعداد لقبول النّقد والتّقييم، والرّأي الـمُخالف، والاستماع للجميع، وأجمل من ذلك أن يكون النّقد من أناس يبحثون عن الحقّ والحقيقة فعلا، ولا يبحثون عن إدانة، لأنّ الفرق شاسع بين من يبحث عن الحقيقة ومن يبحث عن إدانة.

وسأركّز في هذه العجالة على أطرف ما وصل من بعض المتابعين، ومنها:

- أحدهم بعث: أراك تكتب نيابة عن هيئة ذكرها بالاسم، أي أنّني قلم مأجور من طرف هذه الهيئة كما يرى، والسبب أنّي خصّصت عمودا تناولت فيه نشاطا له صلة بهذه الهيئة، ولا يعلم صاحبي و أنّه طيلة مساري المهني رفضت كل أنواع المكاسب، وعدم القبول بأبسط المناصب، طلبا لراحة الضّمير، وقد تقاعدت الآن بدرجة منصبي الذي دخلت به قبل ثلاثين سنة، فمن رضي بهذا الوضع لا يمكن أن يكون قلما مأجورا ليفسد كل هذا المسار النّقي.

- وبعث آخر: سـيدي الكريم، عمودك ثقافي وأراك أحيانا تخلط بين الثّقافة والتّاريخ؟ وهو محقّ في هذا، لأنّه لا يمكن أن أمرّ مرور الكرام على مناسبة وطنية عظيمة ومحطّة من محطّات تاريخ الجزائر دون أن أتناوله، أو التّفصيل في حدث تاريخي هو من صلب الثّقافة، لكن ليس بطريقة المؤرّخ ومنهجه، بل يتمّ تناوله من باب لفت الانتباه، والتّحسيس، واستخلاص العبرة، وربط القارئ بمآثر وأمجاد بلاده، لأنّه وببساطة نحن الآن نعيش عصر السّرعة والانشغال، فمن الواجب أن نردّ النّاس ردّا جميلا نحو النّقاط المضيئة الكثيرة جدّا في تاريخنا ومحيطنا، فضلا على العلاقة بين الثّقافة والتّاريخ؛ فهي علاقة الجزء بالكلّ؛ أي أنّ التّاريخ لا يمكن فصله عن الثّقافة كمقوّم من المقوّمات الأساسية لأيّ مجتمع.

- وفي نقاش مع أحدهم، قال: أحسّ وأنّ كلّ - وأؤكّد على كلّ - ما تكتبه في عمود "شذرات ثقافية" تتقرّب به إلى أطراف معينة، فقلت: أيّ أطراف وما دليلك؟ فقال: دائما تمجّد الجزائر وتفتخر بها، وكأنّك تنتظر إرضاء الكبار، فقلت: والله لقد شرّفتني بهذا الكلام، بأن أكتب و افتخر بالجزائر، فقال: أنت تعرف ما أقصد؟ وفعلا أفهم ما يقصد، واستمرّ النّقاش بيننا لأكتشف وبعد احترامي الكبير له، أنّ الرّجل لا يفرّق في المفاهيم بين: الجزائر الوطن، الجزائر الدّولة، والأمّة، والمجتمع، والسّلطة، والحكومة، وأن تمجيد الجزائر الوطن والدّولة هو تمجيد للحاكم في نظره ومفهومه، وحينها تذكّرت ما قاله الإمام أبو حنيفة: "آن لأبي حنيفة أن يمدّ رجليه".

مشروع ديكتاتور

07 ماي 2017

مهما اجتهدنا بأن نجعل حرّية الرّأي والتّعبيـــر قناعة داخلية راســــخة في الصّدور بترسيم يوم عالميّ لها، أو بحملات تحسّيس وتوعية لفترة محدودة، أو بدورة تكوينية مكثّفة، ســوف لن نتمكّن من ذلك، لأنّها وببســاطة قيمة مكتسـبة، إلا أنّها ثقافة تنمو مع نمو الإنســان وما يحمله محيطه من هذه الثّقافة، ومدى تأثير البيئة العامّة في ذلك، كما لا نغفل طبيعة الشّخصية في حدّ ذاتها، من حيث ما تملكه من توازن وشجاعة للتّعبير عن الرّأي، وما تملكه من انفتاح لتقبّل واحترام الرّأي الآخر ومناقشته مناقشة مجرّدة بعيدة عن أيّ تعصّب وخلفيات.

وعندما نتحدّث عن حرّية الرّأي والتّعبير تواجهنا في المقابل معضــلة عدم احتــرام الرّأي الآخر، وفي أحيان كثيــرة عدم تقبّله ولو كان ينطوي على كثيــر من الصّواب، ويلعب في ذلك التعصّب الدّور الأكبر.

ومعلوم أنّ من طبيعة الرّأي، النّسبية والتّأرجح بين الحقيقة وعكسها، لأنّه في الغالب لا يتحرّر من التّأثير العاطفي والذّاتية، وجاء في تعريفه:

"والرّأي في اصطلاحنا حالة للنّفس تقوم على اعتقادها صدق القضية مع التّسـليم بأنّها قد تكون مخطئة في اعتقادها. . فالرّأي إذن هو الاعتقاد المحتمل، لا الاعتقاد اليقيني، وهو وسط بين الشكّ واليقين"[1].

أي أنّه لا يمثّل الحقيقة المطلقة التـــي نُســلّم لها ولا نناقشــها، ومن هنا نســتمدّ حرّيتنا في التّعبير عن رأينا مهما وصلت درجة نسـبيته، وعلى الطرف الآخر أن يحترمه دون أن نطالبه أن يقتنع به، لأنّ رأي اليوم قد يكون حقيقة في الغد أو العكس، وحتّى في ثقافتنا الشّعبية التي توصف بأنّها نتاج العامّة، لها من القواعد ما يرســي دعائم حرّية الرّأي والتّعبيــــر، يقول المثل الشّــعبي: "كَلْمِةْ الْيُومْ تَحْتَاجْ

---

1 جميل صليبا: المعجم الفلسفي ـ بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية ـ الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ط1، سنة 1994، ج1، ص 603.

إِلْغِدْوَهْ"، أي أنّ ما نقوله اليوم يحتاج إلى الغد وإلى مزيد من الوقت ليثبت الزّمن صحّته أو بطلانه.

وأكبـــر آفة تحدّ من حرّية التّعبيـــر هو تعصّب الطرف الآخر لرّأيه وعدم احتـــرام الرّأي المخالف، معتقدا بأنّه الوحيد الذي يملك الحقّ ويحتكره ويتحدّث به، وأنّه على حقّ وغيـــره على باطل، وهذا نوع من الإرهاب الفكري، وقمع لكلّ ذي رأي مخالف، وقد يصل الأمر إلى اتّهامه بالمروق والضّلال ويرميه بأشياء ليست فيه، ومـا يكرّس ويعزّز تمـادي هؤلاء؛ تعفّف أهـل العقول الرّاجحـة عن الـدخول في مهاترات مع من يرون أنفسهم دائما على حقّ، فيظنّون أنّهم في طريق الحقّ فعلا، ولا يعلمون أنّ النّاس تهابهم لجهلهم وتتجنّب شرورهم، ولا تريد النّزول إلى مستوياتهم.

أما الآفة الأخرى فتتجلّى في بعض من المتشدّقين بحرّية التّعبير والرّأي ومن المـدافعين عن قيم الحرّيـة والـدّيمقراطيـة، تحـت مظلّات مختلفـة؛ مرّة بـاســم الدّيمقراطية ذاتها، ومرّة باسم الدّين، ومرّة باسم الإنسانية...، متّخذين جملة من الشّعارات الرنّانة لمسك الغيـر من اليد الـمُتألّـمة، حتّـى يوهمك بأنّه من هامات الانفتـاح، وقمم التحضّـر، ومســتودع الأخلاق، لكن يـا ويح من يخـالفهم في رأي، ليكتشـف بعد طيب النّية، وحسـن الظنّ، وسـلامة السّـريرة، أنّ في صـدر كلّ واحد منهم ينام ديكتاتور، ويمثّل مشـروع ديكتاتور، لو مكّنته الأيّام من ســلطة ولو كانت بسـيطة سـيسـتيقظ الديكتاتور النّائم بصـدره، ويفعل ما لم يفعله جبابرة الأرض وفراعنة الحكم.

تكلّم. . حتّى أراك

14 ماي 2017

هناك حكمة بليغة عميقة قالها الفيلسـوف اليوناني "سـقراط" (469-399ق.م) حين وقف أمامه رجل أنيق وسـيم يتباهى بشـكله ومظهره وملبسـه، ويتبختـر في مشيته، فقال له: "تَكَلَّمْ. . حَتَّى أَرَاكَ"، لأنّ الشّكل الخارجي للإنسان من ملابس وحركات وجاه ومال وسلطة ونحوها، لا يعكس باطنه ولا ينبئ عن شخصيته إن لم يتكلّم ويعبّـر عمّا بداخله من رأيّ وفكر، وتنعكس مواهبه وملكاته وقدراته العقلية واتزانه ورجاحته من خلال كلامه.

فالكلمة في الأصل هي صورة، قبل أن تكون ذبذبة صوتية تصل إلى الأذن، لأنّها أعمق من مجرّد القدرة على الحديث، والرّغبة في توصيل المعنـى، والإفصاح عمّا نريده من متطلّبات، وإثبات القدرة على التّواصـل مع الآخرين، والبرهنة على سـلامة أدوات النّطق والتّخاطب، وإن كانت في جانبها اللّغوي تمثّل لفظة واحدة تدلّ علـى معنـى وضعي، وتتألّف من صوت أو حرف، أو من مجموع أصوات أو أحرف، فإنّ الكلمة في جانبها الفلسفي والتّقني، هي لفظة أو جملة تعبّر عن فكرة أو رأيّ، أي أنّها أشمل وأعمق من كونها إنتاج الفمّ بكلّ أدواته دون أن تحمل مجموعة من الأبعاد الدّاخلية للنّفس، وتنطلق من عمق ينطوي على قيم معيّنة، ومكتسبات موروثة، وطباع تطّبّع الإنسان عليها.

وإن كان في الواقع أنّنا نرى المتكلّم قبل أن نسـمعه، لكن الأصـل هو أن نسمع المتكلّم حتّـى نراه، كما عبّـر على ذلك الفيلسوف "سقراط". فالإنسان مهما كان، وفي أيّ زمن كان، وفي أيّ مكان كان، يختبئ خلف كلامه، فصورته التي نطبعها في أذهاننا حوله ونحن لا نعرفه، سوف نغيّرها سريعا بعدما يتكلم؛ بغض النّظر عن الوجهة التـي تتغيّـر نحوها، فإن كانت نحو الإيجاب تحوّلت إلى جواز مرور إلى قلوب الآخرين، ولاقت استحسـانا وقبولا وأثرا طيّبا في نفوسهم، وفي هذه اللحظة بالذّات تتشـكّل صـورة المتكلّم الصّـافية النّقية عندهم والتـي تعكس قيمته الحقيقية ومستواه الفكري الرّاقـي، وإن كانت نحو السّلب فسوف ينفر منها كلّ من له فطرة

سـليمة وعقل راجح، ويرسـم سـريعا صـورة بشـعة ذميمة تحمل كلّ ملامح المتكلّم ومستواه الفكريّ المنحطّ.

فالمخرج السينمائيّ يتعمّد إلى اختيار الممثّل الوسيم ليلعب دوررجل الرّقـي الفكري والخلق الرّفيع، ويختار له من الكلام أجمله ومن التّعبير أحسنه، ليؤكد لنا أنّ الصّـورة الجميلة مرتبطة بالكلام الأجمل، ويختار بل يتعمّد إلى تشـويه ملامح الممثّل الجميل ليبدو قبيحا، حتّـى تعكس صورته من اتصف بقبيح الكلمة وسوء المنطق.

فإن كانت الكلمة الطيّبة صدقة، فإنّها تحيلنا إلى صـورة المتصـدّق الكريم، فما هي الصّورة التي تُرسم لصاحب الكلمة الخبيثة؟ وما هي الصّورة التي تُرسم لمن يرسل كلاما مفتّنا؟ ألم تبدأ الفتن بكلام موجّه، واشتعلت بكلام خُطط له أن يكون وقودها؟ ألم ترسم صورة سيئة تمثّل التّخلف والتّقهقر والتّوحش للمجتمعات التي تسودها الفتن؟

أحيانا لا ندرك ما يرمي إليه كلامنا، وما سـتكون نتيجته؟ ولا ندري كيف ينظر إلينا النّاس حين يصدر منّا؟ فملأنا محيطنا ضجيجا تداخلت فيه أقوالنا التي لا تتورّع عن التّفتين والشّـتم والسـبّ والقذف وحتّـى التّخوين، والنّتيجة تكلّمنا فرآنا النّاس، لكن سوف لن يسمعنا العقلاء منهم.

التّراث والتّنمية

21 ماي 2017

التّراث هو الورث والإرث والوراث والإراث والميراث كما ورد في القرآن الكريم ومعظم قواميس اللّغة العربية، وفي مفهومه العام هو كلّ ما ورث و انتقل من السّابق إلى اللّاحق من مال وعلم وحسب ونسب ونحو ذلك.

أما التّراث بمفهومه الإنساني الواسع كما جاء في المعجم الأدبي هو:

"إنّ التّراث بمعناه الإنساني الحضاري يدخل فيه ما وصلنا على مرّ العصور والأزمنة من الإنتاج الآثاريّ، والأدبيّ، والاقتصـاديّ، والفنيّ، والاجتماعيّ، والعلميّ، والدينيّ، والأخلاقيّ"[1].

وكلما ذكر التّـراث يقفز إلى أذهاننا مفهومه الثّقافي المرتبط بالفلكلور ومظاهر الفنطازيا، والثّقافة الشّعبية أو المأثورات الشّعبية كما يفضّل البعض أن يسمّيها، والتـي تمثّل: المعتقدات والمعارف الشّعبية، العادات والتّقاليد الشّعبية، الأدب الشّعبـي، والثّقافة المادّية والفنون الشّعبية[2]، وهي جزء كبيـر من التّـراث، لكن علينا أن لا نهمل الجزء "الرّسمـي" من التّـراث، لأنّ الدّراسات الحديثة ميّـزت بين نوعين من التّـراث "التّـراث الرّسمـي" و"التـرّاث الشّعبـي"، وكلاهما يتكاملان ويسهمان بقوّة في تشكيل مقوّمات الهوّية، سمّاهما "ردفيلد Redfield"[3] اصطلاحا سنة 1956م "التّـراث الكبيـر والتّـراث الصّغير للمقابلة بين التّـراث الرّسمي المتعلّم للصّفوة الحضرية من ناحية، والتّراث غير الرّسمي الشّفاهي أساسا الذّي يتّسم به المجتمع المحلي القروي[4].

---

1 جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، سنة 1984، ص 63.

2 محمد الجوهري: الطفل في التراث الشـعبي، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام في الكويت، المجلد العاشـر، العدد الثالث سنة 1979، ص ص 15 16.

3 روبرت ردفيلد: عالم أمريكي في مجال الأنثروبولوجيا من مواليد 1897 تخصـص في الدراسـة الأثنولوجية والاجتماعية لأمريكا الوسطى واشتهر كذلك بدراساته عن المجتمعات الصغيرة.

4 محمد الجوهري: المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا (مدخل لعلم الإنسان)، القاهرة 2008، ص 122.

لكنّ التّراث بمفهومه الشّامل يتركّب من شقّين: التّراث المادّي، واللّامادّي، أمّا الأوّل: فهو كلّ ما تَرِث الأجيال من آثار مجسّدة مثل العمائر والمباني ونحوها، أمّا اللامادّي فهو كلّ الآثار المثبتة بالتّدوين أو المشافهة مثل: القصص، الملاحم الشّعبية، الأساطير والخرافات، الشّعر، الأمثال، الألغاز، الأعراف والعادات والتّقاليد اليومية، وكلّ فنون القول الشّعبية.

وما يلاحظ أن نظرة الاستخفاف بالتّراث أغفل دوره المهم الذي يمكن أن يلعبه في التّنمية، كما هو مجسّد في عدّة تجارب في الجزائر وخارج الجزائر، ويمكن أن نستفيد منه تنمويا في اتجاهين، كما هو مركّب من شقّين، تنمية مادّية ملموسة، وتنمية معنوية محسوسة، أمّا التّنمية المادّية يمكن تجسيدها باستثمار التّراث المادّي كمناطق تنشيط ثقافي وجذب سياحي وفي محيطها تتكاثر الأنشطة المعاشية والاقتصادية التّكميلية، والصّناعات الحرفية والفنّية والتّقليدية، وتدريجيا تتحوّل إلى نقطة لافتة للانتباه من طرف وسائل الإعلام وأرباب الأعمال والاستثمار، وصُنّاع السّينما مثلما حدث مع كثير من المدن الأثرية والمعالم التّراثية.

أمّا التّنمية المعنوية فنقصد بها ما يلعبه التّراث في التّنمية البشرية وترقية الإنسان وجدانيّا وثقافيّا وتحصينه بمقوّمات هوّيته وربطه بالمآثر والمكان كخصوصية له، لخلق إنسان فخور بانتمائه معتزّ بقيمه محبّ لوطنه ويؤمن بالتّضحية من أجله ومن أجل تنميته، ويحسّ بالحياة الجمعية المتماسكة بالقيم العامّة والتّراث المشترك، يصبح فيها الفرد نافعا للجماعة، وهي أكبر تنمية أن نستثمر في الإنسان، وفي الأخير يبقى التّراث وحده كفيل بحفظ تاريخ الإنسان وما وصل إليه من تنمية ورقيّ وازدهار على جميع الأصعدة، وهو المخلّد لحضارته والشّاهد على إنجازاته ومدى رقيّه الفكريّ، والضّامن لتواترها بين الأجيال اللّاحقة، ليكون التّراث من دوافع التّنمية وشواهد التّنمية.

الوقت وما أدراك ما الوقت!

28 ماي 2017

ليس من السّهل أن نقنع النّاس أنّ الوقت لا يقدّر بثمن، ولا يقارن بمال لأنّه أثمن وأجدى من المال، والدّليل أنّنا ندّخر المال للوقت - أي لوقت الحاجة - ولأنّ إدارة المال أيسر من إدارة الوقت، فالمال يمكن أن نوقفه بالادّخار، لكن الوقت يمرّ ولن نتحكّم فيه ولن يعود، فالوقت يمرّ علينا مرور السّحاب، بل هو كالسّحاب فإن نزل غيثه كان سحابا مثمرًا نافعًا يحيّ الأرض بعد موتها، وإن مرّ دون غيث ضاعت عن الأرض فرصة من فرص النّماء، كذلك هو الوقت للإنسان.

وبالعودة إلى تعريف الوقت وكما جاء في المعجم الوسيط أنّه: "مقدار من الزّمان قُدِّر لأمر ما"[1]، أي أنّ الوقت مرتبط بفعل ما، ولا يوجد وقت للفراغ في الأصل، ولذلك تجدنا نربط كلمة الوقت دائما بمهمّة أو عمل، ولا ننطقها منفردة، فنقول: وقت العمل، وقت الصّلاة، وقت النّوم، وقت المطالعة...

وعندما نبحث عن أهمّية الوقت فلن نجد أصدق ممّا قاله المولى عزّوجلّ، حين أقسم بالزّمن ومكوّناته في عدّة سور من القرآن الكريم، قال تعالى في سورة العصر: "وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"[2]، وقال في سورة الضّحى: "وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"[3]، وقال في سورة الشمس: "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا، وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا"[4].

وتزداد أهمّية الوقت في دنيانا عندما نعلم أنّه أوّل ما نحاسب عنه أمام الحسيب الرّقيب في آخرتنا، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لاَ تَزُولُ قَدَمَا

---

1 المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون طبعة ولا تاريخ، ج2، ص 1048.

2 سورة العصر، الآيات 01 و02 و03.

3 سورة الضحى، الآيات 01 و02 و03.

4 سورة الشمس، الآيات من 01 إلى 07.

عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّــى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبلاهُ؟ "[1].

والوقت نعمة من النّعم التـــي وهبها الله لنا، لكنّها نعمة مقنّنة مضــبوطة البداية مقدّرة النّهاية، ليس لنا فيها أي قدرة للتّمديد أو التّحويل، فاستثمار الوقت واستغلاله أحسن استغلال نعمة ثانية، وما أكثـــر المغبونين في أوقاتهم، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيـــرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ"[2].

وما نواجهه في زماننا هو الغبن في الوقت عند البعض، وفائض الوقت عند الكثيـرين، وإن كان الغبن محبّب ومطلوب، فإنّ الفائض والفراغ مُنفرّ ومنبوذ، لأنّ الفراغ مجلبة للمفاسد، فإن لم نملأ فراغنا بالمفيد الــمُثمر، حلّ محله الــمُضرّ المُهلك.

وليس غريبا أن نشـــهد اليوم ظهور علم جديد أطلقوا عليه: "علم إدارة الوقت" وصــنّفوه كفرع من فروع علم الإدارة، مهمّته استثمار الوقت والاستفادة منه بأكبر قدر ممكن، والحدّ من هدره وتضييعه.

فهل فكّرنا ونحن على أبواب عطلة طويلة الأمد لنا ولأبنائنا في وضــع برنامج نســتغلّ فيه كلّ لحظة في النّافع المفيد، و إبداع المجدي والجديد؟ فإن لم نفعل ستأتي اللحظة التي نتحسّر فيها عن كلّ دقيقة ضاعت، وندرك حقيقة قيمة الوقت وما أدراك ما الوقت!

---

1 رواه الترمذي، النووي: رياض الصالحين، تعليق وتحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثيــر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ط1، سنة 2007، ص 146.

2 القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، سنة 1323هــ، ج9، ص 236.

حتّى نغيّر ما بأنفسنا

04 جوان 2017

التّغيير هو التحوّل من حال إلى حال، وبمفهومه الأعمق هو عملية التحوّل من و اقع نعيشه إلى حالة جديدة نحن نطمح أن نصلها وتكون أفضل، لأنّ الإنسان دائما ينشد التّغيير إلى الأفضل وفي كل شيء، وهو يعلم أنّ للتّغيير نتيجتين محتملتين؛ قد تكون النّتيجة تغيير إلى الأفضل، وقد تكون إلى الأسوأ، وذلك حسب المعطيات والآليات التي توفّرت لعملية التّغيير، فتجدنا نخاف من التّغيير ونرضى بو اقعنا، أو نطلب من محيطنا أن يتغيّر، أو من غيرنا أن يتغيّروا، ولا نفكر في تغيير أنفسنا، والأدهى عندما نعتقد بأنّنا لسنا في حاجة إلى تغييرها، وأن مآسينا متأتّية من غيرنا؛ الذين لم يتغيّروا ولا يريدون أن يتغيّروا ولا يفكرون في التّغيير.

والو اقع أنّ التّغيير مطلب شخصي بالدرجة الأولى ينطلق من داخلنا، وينبع من قناعاتنا، ويستمدّ روحه من قيّمنا ومبادئنا، لنجدّد به ذو اتنا، ونحوّل به أساليب و أنماط حياتنا، ونواجه به حالة التعثّر أمام أمر وقعنا فيه، أو نهج سلكناه و اكتشفنا عدم نجاعته ولن يوصلنا إلى نتيجة أكيدة ومفيدة، أو أسلوب اعتمدناه في تعاملنا ولم يثمر كما خطّطنا له، و أكثر من ذلك كلّه كي نو اكب عالم يتغيّر من حولنا بسرعة، فإن لم نسرع بسرعته؛ فاتنا ركبه وازدادت الهوّة بيننا وبينه.

وعلينا أن نعلم علم اليقين أنّنا لن نغيّر غيرنا، ولن نغيّر العالم - كما يتوهّم البعض - إن لم نغيّر أنفسنا أوّلا، لأنّ تغيير النّفس قراره بأيدينا، ويبدأ من السّلوك البسيط الذي نسلكه، ويمثّل قدوة لغيرنا ليسلكوا مسلكنا خاصّة النّشء، المحتاج إلى القدوة أكثر من حاجته للكلام والنّصائح.

وليس من المنطق والعقل أن نُجهد أنفسنا لنغيّر العالم أو حتّى محيطنا الاجتماعي الضيّق ليتلاءم مع ما نرى أو ما نتصوّر، فمقوّمات تغيير النّفس في متناولنا، و أيسر من التّغيير الجمعي، ولأنّ التّغيير الجمعي لبنته الأساسية التّغيير الشّخصي.

ومن النّاحية الأخلاقية أليس من اللؤم أن نطلب من غيرنا أن يتغيّــرونحن لا نغيّــرولا نتغيّــرولا نفكّرفي التّغييــر؟ أليس هذا اتّهاما ضمنيّا للغيــر بالرّكود والجمود ومجانبة الصّــواب، و أنّنا الأفضــل والأصــوب والأقوم؟ فإن عجزنا عن تغييـر أنفسنا فإنّنا عن تغييـر الغيـر أعجز، فلنكن حكماء ونتغيّـر ليتغيّر العالم من حولنا!

وما أحوجنا لحكمة وزير ذلك الملك؛ حين خرج الملك يوما يتفقّد رعيته فدخلت شوكة في قدمه، فطلب من وزيره أن يفرش شوارع المملكة بالجلد، فقال له الوزير: هذا أمر عسير يا مولاي!

- ما رأيك يا مولاي لو تضع قطعة جلد في أسفل قدمك؟

وهكذا أصبحت كلّ الشّوارع مفروشة بالجلد ليس في و اقع الحال، لكن في ذهن الملك، بفضل التّغيير الذي حدث في طبيعة تفكير الوزير وبداهته التي أحدثت انقلابا في قرار الملك، وربّما أحدثت تغييــــرا في التّاريخ البشــري قاطبة، فلعلّ هذه الحادثة كانت بداية لظهور الحذاء.

للفنّ وجه آخر

11 جوان 2017

الفنّ هو ذاك العمل الإنساني المتّسم بالإبداع وغايته الجمال، وهو كلّ عمل بلمسات عجائبية يشدّ النّاس ويدهشهم، فيهذّب ذوقهم، ويرقّق إحساسهم، ويضيف إليهم جملة من القيم الجمالية تُرقّي وتنمّي وجدانهم، وهو في الأخير إضافة جمالية للثّقافة الإنسانية، فإن لم يترك العمل الفنّي أثرا طيّبا ملموسا في الشّخصية الفردية والحياة العامّة وجب أن نراجع طبيعته ومقوّماته، لأنّ الفنّ الفاعل هو إشراق الحياة، ومعيار للنّهوض والرّقي، كما يصفه الشاعر:

الفنّ إشراق الحياة ورفقها ... وذوو الفنون ملائك أبرار

إنّ الزّهور من التّراب مثارة ... والفنّ من نفس الجمال مثار

لا تهملوا أمر الفنون فإنّها ... لنهوضنا ورقيّنا معيار

وعلينا أن نقرّ أولا أنّ للفنّ وجه نافع إيجابي وهو الأصل في دور الفنّ، ووجه قبيح نحن من رسمنا معالمه ومنهجه عن وعي تام وعن غير وعي أحيانا، كما لا يمكن أن نتجاهل الصّورة التي يقدمها أهل الفنّ للمجتمع، والصّورة التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة عن الفنّ وأهل الفنّ.

وأوّل الصّور المشوّهة للفنّ أن نحصره في فنّ الغناء، فعندما تذكر "حصّة فنّية" فإنّ موضوعها لقاء مع فنّان مطرب، مع العلم وأنّ الغناء هو صنف من أصناف الفنون الجميلة المنطوية تحت فنّ الأنغام، حتّى أصبح مفهوم الفنّ عند العامّة مقرونا بالغناء، ومفهوم الفنّان هو المغنّي، وفي الغالب يربط النّاس فنّ الغناء بمظاهر الفساد والانحلال، وقد استندوا في تصوّرهم هذا إلى سلوكات بعض - وأؤكد على كلمة بعض - الفنّانين ومستواهم الذي ظهروا به في المجتمع وفي وسائل الإعلام المختلفة، فأصبح الفنّان عندهم هو الشّخص المقترن بالهرج والمرج والعبث والانحطاط الخلقي، وهي في الحقيقة صورة تجسّدت في قلّة قليلة جدّا من الفنّانين، ونبرئ منها الكثير منهم.

وفي الوقت نفســه يتمّ تجاهل بقية الفنون والفنّانين، إذا ما علمنا أنّ الفنون الجميلة لوحدها تنقسم إلى خمسة فروع كبــرى، وكل فرع تنضوي تحته مجموعة من الفنون، وهي: فنّ الكلام، فنّ الأنغام، فنّ الأشــكال، فنّ الألوان والخطوط، وفنّ الحركات.

ألم يحن الوقت لنرى الوجه الآخر للفنّ؟ ويصبح الفنّان هو المبدع المنتج لما يمتعنا وما يثيــر الدّهشة في نفوسنا ويوقظ الحسّ الجمالي الكامن فينا سواء كان إنتاجا معنويا أو مادّيا، فيكون بذلك النجّار فنّانا، الحدّاد فنّانا، البســتاني فنّانا، البناء فنّانا، النحّات فنّانا، الشّــاعر فنّانا، الموســيقي فنّانا، والمطرب فنّانا...، ونصنّفهم كفنّانين ونلتفت إليهم في اليوم الوطني للفنّان.

أدب الاختلاف

18 جوان 2017

في الأصـــل أنّ الاختلاف موجود في كلّ شــيء، ولولاه ما اســتقامت الحياة ولتشـــابهت المخلوقات والكائنات والمصـــنوعات وأصـــبحت رؤيتها رتيبة مُملّة، ولا نتصـــوّركيف يكون العيش في طبيعة توحّدت ألوان عناصـــرها، وتطابقت رســـوم أشكالها؟ فهل يمكننا ساعتها أن نميّـز بين هذه العناصر بيسر وسهولة؟ وهل يمكننا أن نتمتّع بجمالها ونتأمّل هندسة أشكالها؟

ولعلّ أكبـــــر معجزات الخلق في الطبيعة هو الاختلاف في الشّــكل، اللون، الملمس، الذّوق، والرّائحة...، وفي البشر فضلا عن اللون والعرق والدّين، اختلاف الألسن والطبائع والفكر، والفكر هو جوهر الإنسان باعتباره صنيعة العقل الذي تكرّم وتفضّـــل به عن بقية المخلوقات، فإن تطابقت أفكار النّاس وآرائهم مات الإبداع والتّجديد، فبالعقل نجدّد ونصنع أفكارنا ونَزِنها كما نرى ونجتهد، ونستقبل أفكار غيرنا ونناقشـــها ونحترمها، والعقل الرّاجح هو الذي يناقش الأفكار والآراء ولا يناقش الـــمُسَلّمات والحقائق، ويزداد العقل رجاحة حين يناقش الرّأي بكل تجرّد بعيدا عن مناقشة مصدره، ولا يستند إلى مكتسبات قبلية وخلفيات نتيجتها إدانة جاهزة للرّأي مهما تضـــمّن من دقّة وصـــواب، لأنّ ما نراه اليوم خطأ قد يكون غدا صـوابا والعكس صحيح، كما يقول الإمام الشافعيّ: "رأيّي صواب يحتمل الخطأ، ورأيّ غيري خطأ يحتمل الصّواب".

والاختلاف في الرّأي أمر طبيعي باعتباره يمثل التّباين في الرّؤية والطرح، ونتيجته التّكامل والوصـــول إلى ما نهدف إليه بطريقة ســـلســـة، ولا يمثّل الخلاف المؤدّي إلى المعارضة والنّفور والتّصادم ثم القطيعة، لأن الخلاف في العادة يقتـــرن بالشّخصنة وبمؤثرات خارجية متعدّدة، أمّا الاختلاف يقترن بنوعية الحوار والسّعي إلى تثمين نقاط التّلاقي ومناقشـــة نقاط الاختلاف، وتصـــنعه طبيعة الحياة وســـنن الكون ويخضـــع للعقل والمنطق، فيكون الاختلاف في الرّأي مصـــدرا من مصـــادر التّنوع الفكري، وأداة من الأدوات الفاعلة للوصول إلى القرارات الصّحيحة.

وعندما كان الاختلاف في الرّأي بهذه الأهمّية جاء الإسلام بمبدأ الشّورى اعترافا بمبدأ الاختلاف والاستفادة منه، وجاءت القوانين الوضعية بتأسّيس المجالس والمجامع والبرلمانات وخلايا التّفكير وإبداء الرّأي، وتعيين المستشارين للاستثمار في الرّأي والتّشجيع على توليد الأفكار الجديدة والإبداع فيها.

إنّ تنوع واختلاف الرّأي ثراء واجتهاد وإسهام في حلّ ما استعصى من معضلات، ليكون في الأصل رغيبة من الرّغائب وفضيلة من الفضائل، ومتى كانت الفضيلة سببا في التّصادم والتّقاطع والتّنافر بين النّاس؟ ولماذا يقع بيننا المكروه من أجل رأيّ؟ وفي أحيان كثيرة صدر- أي الرّأي - دون أن يستند إلى المعطيات الكافية، وفي أحيان أخرى يستند إلى معطيات حزبية سياسية أو جهوية أو عرقية أو طائفية فلا يرقى أصلا إلى مستوى النّقاش، وفي القديم قالوا: "الاختلاف رحمة" واليوم أصبح الاختلاف نقمة، وقالوا: "الاختلاف في الرأي لا يفسد للودّ قضية" ولو عاش بيننا وفي زماننا "الأستاذ أحمد لطفي السّيد" صاحب هذه المقولة، لتأكّد أنّ الاختلاف في الرّأي على أيّامنا قد يفسد للودّ قضايا، والسّبب الرّئيس وراء ذلك: ضعف النّفوس، التّعصّب، الأنانية، والجهل بثقافة وآداب الاختلاف.

"لو سكت الجاهل ما اختلف النّاس"

09 جويلية 2017

من البديهي أنّ الاختلاف في الرّأي والفكر بين النّاس أمر طبيعي، لأنّ تباين الطرح والرّؤية هو في الأصل تكامل وتنوّع وثراء و إثراء معرفيّ، ومؤشر للمستوى الحقيقي لما وصلنا إليه في قبول الآخر والاستفادة من فكره ورؤيته، وهو كذلك الملمح لرقيّنا وتحضّرنا وسعة صدورنا.

أمّا الاختلاف السّلبي المؤدّي إلى الخلاف ثمّ الفتنة والتّصادم والتّنافر والتّباغض؛ فمن الطبيعي أن تكون منابعه الجهل والتعصّب، ولا يمكن لعاقل حكيم فطن أن يقود النّاس لهذا المسعى أو يجتهد لتكريسه! لكن ودون تعجّب ستجد جاهلا يدفعه جهله لشقّ الصّفوف وإحداث الفتن بما يقول وما يرّوج وما يفعل، دون إدراك خطورة ما يُقدم عليه.

ولا تعني كلمة الجاهل دائما: الذي هو ضدّ العالم أو العاقل، كما جاء في قواميس اللّغة، بل تعني في أحيان كثيرة من لا يملك الخبرة والمعرفة بالشّيء على حقيقته، كأن نقول: "فلان يجهل علم الفلك"، لكنّه يعلم أشياء أخرى.

وفي قوله عزّوجلّ: "يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ" (البقرة 273)، إنما أراد الجهل الذي ضدّ الخبرة، أي الجاهل الذي لا يملك الخبرة والمعطيات لمعرفة الفقير المتعفّف حتّى حسبه غنيّا، ولذلك فكلمة الجاهل تحتمل وجوها عدّة ويتصف الجاهل بصفات عديدة، خاصّة في زماننا هذا، وأولها فقدان العلم والخبرة، ومنها أيضا:

- فالجاهل قد يكون متعلّما متقنا لتخصّصه، لكنّه يتحدّث ويناقش في شيء لا يعرفه ولا يملك خيوطا توصله إلى خباياه.

- وقد يكون متعلّما متقنا لتخصّصه، لكنّه لا يملك المعطيات والحقائق التي تؤهله لإطلاق حكم، فيحكم بما لا يعلم، ويجانب الصواب فيظلم.

- وقد يخبط خبط عشواء ليشار إليه بالبنان، وتحمله الأفواه والآذان، فيثير الشكّ والتّشكيك، ويؤسّس للفرقة والفتنة.

- وقد يخبط خبط عشــواء، منطلقا مما في صــدره من خبيث المنطلقات، وفضــيع الخلفيات، ولميم الشبهات، وسوء النّو ايا والظّنون، ممّا لم تؤكّده العيون.
- وقد تحرّكه الأحقاد، وحبّ الفتنة والإفساد، وما تأجّـــج في صدره من حسـد، وما ضــمر من كره ونكد، فغفل عمّا في النّاس من فضـــائل، وراح يلتمس لهم الرّذائل، يعظم لهم الإهانة، ويبحث لهم عن الإدانة.
- و أكبـــــر من ذلك كلّه حين ينصّــب نفســه للنّاس حســيبا، وعلى أعمالهم رقيبا، ويصنّف نفسه في صفّ العارفين، وغيـــره من الأخسرين، ولا يدري بأنّه من أجهل الجاهلين.

وحين ظهرت بيننا هذه الأصـناف لا نسـتغرب ظهور الأحكام الجانية المبنية على الظنّ والتكهّن وما نتصوّره بأذهاننا لتـــردّده أقوالنا وتصدّقه أفعالنا، وظهور الدّعاية والإشـاعات المغرضـة التـــي تخلخل اللُّحمة وتشـطر ما تبقى من البنيان المرصوص، وبروز الخلافات التي تسري بيننا بفعل فاعل وبتنظير وجهل جاهل.

ولا نســتغرب لو ظهر جيل مهزوز الثّقة، هو إلى اليأس أقرب منه إلى الأمل والطّموح، يســود فيه خطاب التّحبيط والخلاف والـدّعوة المبطّنـة إلى الفتنـة، والهائه بالجدل العقيم والخوض في مسـائل هي أكبـــر من مداركه، وقد انعدم من حوله المثل والقدوة، ولن تكون له القدوة إلا بسكوت الجاهل الذي شوّش وشكّك في كلّ شيء، ولذلك قال الإمام علي كرّم الله وجهه وهو أدرى النّاس بمعنـــى الفتنة والفُرقة والخلاف: "لَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ مَا اخْتَلَفَ النَّاس".

عندما نُغيِّب العقل

16 جويلية 2017

هناك مثل شعبي يقول: "اللِّي لِنَّا لِنَّا، لُوكَانْ يِخَرِّجْنَا مِنْ الْجَنَّهْ" ومعناه: من هو لنا وفي صفّنا وينتمي إلينا وننتمي إليه، ويتوافق معنا فكريّا سنتبعه ونقتدي بقوله وفعله ولو أخرجنا من الجنّة، وواضح وجلي أن هذا المثل يُجانب الصّواب؛ لأنّه دعوة للتعصّب المُقيت، وولاء أعمى لمن في صفّنا، وإلغاء تامّ للعقل المتبصّر الذي يرجّح الأشياء بمنظور التّفريق بين الحقّ والباطل، الخير والشرّ، النّفع والضّرر، الفضيلة والرّذيلة، الطّيبة والخبث، الجمال والقبح، والعقل وحده من يزن ويوازن للأقوم والأكثر صحّة وصوابا ونفعا.

ولما كان هذا المثل ضارب في القدم، فيمكن تثمين دوره - إن كان له دور- إبّان الحقبة الاستعمارية بالتعصّب لكلّ ما هو جزائري، ورفض ما جاءت به فرنسا بهياكلها ونظامها وأعوانها ولو كان فيه مصلحة للجزائر، ولعلّه التعصّب الوحيد المحمود.

وعندما نعلم أنّ ثقافتنا الشّعبية تتّسم بالطّابع المحلّي، بمعنى أنّها ترصد ما جدّ في محيطها الضّيق وبكلّ تلقائية وصدقية، لتبلوره في مثل أو حكمة أو حكاية... كوسيلة من وسائل التّربية عند العامّة، ولضمان نقل الأفكار على بساطتها وعفويتها إلى الأجيال القادمة مشافهة، فإنّ الصّورة المنقولة بالتّواتر تحمل في طيّاتها ملامح التّجاذبات التي حدثت حول الولاء للحركات السّياسية والإصلاحية، وللطّرق الصّوفية، أو الأنظمة القبلية، أو "القيادات" الاستعمارية، أو حتّى الرّكون والولاء نُصرة لأطراف عائلية هي في خصومة مع أطراف أخرى.

ومن الضّروري ومن باب إحقاق الحقّ أن نلمس لهؤلاء شيء من العذر، وقد عايشوا فترة استعمارية عصيبة، كان فيها التّجهيل ثقافة مُمنهجة، وخَلق الصّراع خطّة مُحكمة، والتّفريق عمل يومي معلن، ومحاربة الفكر النيّر وسيلة لضمان البقاء، ورغم ذلك لم ينطل هذا على الكلّ، بل استجاب له بعض العامّة من استهوتهم العواطف والعصبية ولم يستنجدوا بنور العقل وهديه.

وها هو الحال قد تغيّـروعمّ الوعـي الدّيني والسّياسي والاجتماعي، وتمدّد هامش الحرّية في شتّى المجالات، وتمدّدت الثّقافة أفقيّا وعموديّا، وارتقت وضُبطت العلاقات الإنسانية، وسُنّت قوانين لا تتنافى مع إدراك الإنسان وميولاته وقدراته، وهُذبت الأعراف التـي تسود وتسوس المجتمع التّقليدي، وجميعها تحتـرم آدمية الإنسـان وحقوقه الأسـاسـية، وتتيح له فرص الإبداع وحرّية اسـتخدام العقل في الإبداع والابتكاروالتّمحيص في الخيارات والتّوجهات.

ورغم كل هذا إلا أنّ المثل المذكورما زال يتجسّـد بيننا، حين يتعصّـب البعض منّا ويوالـي رجل الدّين أكثـرمن الدّين نفسه، وحاكم الوطن أكثـرمن الوطن، وشيخ الطريقة الصّوفية أكثرمن الصّوفية كنهج تعبّدي، والسّياسي أكثر من السّياسة كممارسة أخلاقية للوصول إلى الحكم والإصلاح فيه، ورجل الثّقافة أكثـرمن الثّقافة الفاعلة، والرّياضي أكثـرمن الرّياضة الجامعة، ورجل المال أكثـر من المال النّافع والـمُساهم في التّنمية، ومن الطّبيعي أن من تعصّـبنا له وواليناه بعينين مُعصـبتين سـوف نجتهد لإيجاد تبرير لأخطائه، ونلوي رقبة زلّته لنحوّلها إلى فضيلة، ونلوي رقبة فضيلة من لم يكن في صفّنا لنحوّلها إلى رذيلة، وحينها تتولّـى الأهواء الحكم لتحلّ محلّ هَدي العقل، ونُصـرّعلى موالاتنا لمن هو لنا ولو أخرجنا من الجنّة كما يقول المثل، لأنّنا وببساطة نُغيّب العقل ونهرب منه وهو يطاردنا.

الانبهار بالآخر

23 جويلية 2017

إنّ أوّل ما يتبادر إلى الذّهن حين نتكلّم عن الانبهار، هو الإعجاب والافتتان بالشّيء، حتّى يسيطر هذا الشّيء على تفكيرنا ويتحكّم في بعض العمليات العقلية والحسّية، وفي لغتنا العربية ما يفيد بأنّ الانبهار مقترن بفقدان العين لدورها، فنقول ضوء مُبهر، أي ضوء يشوّش على العين فلا ترى، ونقول شيء مُبهر أي أنّه يأخذ القلب ويسيطر عليه، فيبدو الانبهار بأنّه إلى السّلبية أقرب منه إلى الإيجابية.

وأوّل سلبياته تعطيل عدّة ملكات يتمتّع بها الإنسان، منها النّقد الموضوعي وفق منهج العقل الواعي، وفقدان القدرة على الاختيار والفرز، وسيطرة العاطفة في اتّخاذ القرار، واستصغار النّفس والاستخفاف بكل ما يحيط بها بتأثير ما انبهرت به، لأنّها منحته حجما أكبر من حجمه، ورأته بعين العظمة في حين ترى نفسها بعين التّقزيم والضّعف والقابلية لسيطرة الآخر، والنّتيجة الحتمية الارتماء في أحضان ما انبهرنا به، وسقوط المغلوب في كمّاشة الغالب، ثم انصهاره في بوتقته، ثم ذوبانه واندثاره، ثم تنكّره لقدرات ومقوّمات محيطه فيتحوّل من عامل بناء إلى عامل هدم.

فليس غريبا أن نلمس نتائج الانبهار بالآخر المباشرة، وعلى رأسها التّنكر لتّراثنا وثقافتنا، وما تنتجه عقولنا ومفكرينا والدّعوة إلى نبذها، وقد تصل إلى اتّهام قيمنا ومبادئنا ومقوّمات أمّتنا بأنّها سبب تخلفنا، وتحميلها كل النّكسات والمآسي التي تعيشها، وفي الأصل قد تسبّب فيها العقل المسلوب بالدّرجة الأولى، وطبيعة الفكر النّاهل من منهل لا يمتّ بصلة لطبيعة فكرنا بالدّرجة الثّانية.

والأكيد أنّ الانبهار بالآخر سيوصل صاحبه إلى إغفال المساوئ وتبرير الأخطاء وتلميع المنبهر به، وإكثار مدحه وتشهيره وإطرائه، وفي المقابل التماس عيوب من استصغره، وتضخيم أخطائه وترصّد زلّاته، حتّى يصل إلى مرحلة لا يفرّق فيها بين الصّلاح والطّلاح، فينقل ويجسّد مفاسد الآخر معتبرا إيّاها قمّة التحضّر وأعلى هرم السّلوك الرّاقي، وكمثال بسيط ما يحدث عندنا من تقليد أعمى

للمشاهير في كلّ حركاتهم وسكناتهم، والافتتان بمظاهرهم وألبستهم التي لا تمتّ بصلة لمظاهر محيطنا، ولا تقترب من قيم ومقوّمات الرّجولة أحيانا.

وعندما كان الانبهار يدغدغ العاطفة أكثر من العقل، ويسيطر على النّفوس الضّعيفة في الغالب، والتي لا تقدّر الأمور حقّ قدرها، ولا تزن الأشياء بموازين الإفادة والمصلحة، فلا تنبهر بأولي النّفع وأهل الأعمال وأصحاب الإنجازات المفيدة، والتّجارب النّاجحة لتقلدهم وتنفع نفسها ومجتمعها من خبراتهم وما نجحوا فيه، بل تتجاهلهم ولا تعرف عنهم شيئا، ولا تلتفت إلى أهل الفضل والصّلاح فهم في نظرها أناس محافظون متخلّفون فاتهم ركب الحضارة ولا يفقهون فنون العصر ومسايرته.

ومن باب الإنصاف لا ننكر أنّ للانبهار جوانب وجب تقبّلها رغم قِلّتها، كأن ننبهر بالتّطور التّقني والصّناعي وما وصل إليه غيرنا، والطّموح ومحاولة الوصول إليه، ولا يتأتّى ذلك إلّا بالرّاجحين الرّاسخين في العلم، والذين يدركون المعنى العميق للتّكامل الحضاري الإنساني.

وعندما يغيب هؤلاء ويتهافت المنبهرون ويشكّلون المشهد الغالب، ندرك حينها أنّ من أسباب أزمتنا الحضارية نظرتنا الدّونية لأنفسنا وعدم الثّقة فيها، وتقزيم مقدّراتنا، وتغييب المثل والقدوة في محيطنا، والتّغافل عمّا نملكه من أسباب الوصول والنّجاح، وعدم استثمارها للتفوّق عمن انبهرنا به.

نعمة الأمن

13 أوت 2017

من الأدعية التي سمعتها كثيرا و أنا صغير، دعاء سهل بسيط يردّده الآباء والأجداد، كلّما قدّمت لأحدهم خدمة حتّى يبادر: "رُوحْ يَا وْلِيدِي رَبّ يِهَنِّينَا لَوْطَانْ"، والظّاهر أنّهم يركّزون على هذا الدّعاء لقرب عهدهم بالفترة الاستعمارية، التي عاش فيها الوطن مهزوزا من النّاحية الأمنية، ويدركون جيّدا المعنى الحقيقي للهناء والأمن الذي افتقدوه في هذه الفترة، فجعلوه أولوية ومطلبا أساسيّا في وطنهم المُستقلّ بعد دحرهم للمُغتصب.

ومرّت الأيّام ولم أدرك حقيقة هذا الدّعاء البسيط في لغته العظيم في معناه، إلا عندما مُسَّ أمن الوطن من جديد في تسعينيّات القرن الماضي، وأصبح الواحد منّا لا يحلم بشيء كحلمه بالسّلامة، وبالأمن يعمّ البلاد ويطمئن في ظلّه العباد، فلا شعور أجمل من شعور الفرد بالأمن، وإحساس الجماعة بالطمأنينة وسيادة الثّقة والأخوة بين أفرادها، لتلبية متطلّباتها المختلفة وضمان استمرارها.

فالأمن نعمة من نعم الله العظمى التي أسداها لنا، ومن مظاهر عظمتها تقديمها عن أداء الحجّ، حيث تسقط هذه الفريضة بانعدام الأمن في مختلف الجوانب المتعلّقة بالرّحلة، كذا تقديم نعمة الأمن على نعمة الرّزق، قال تعالى:

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[1].

فلا يتحقّق السّعي من أجل الرّزق ما لم يتوفر المحيط الآمن، ولا تحلو متعة الرّزق مع الخوف والاضطراب، ولا تطيب لقمة العيش مع الهلع والاغتراب.

فهل للإنسان قيمة وكرامة وهو مهدّد في نفسه وعرضه وماله؟ وهل للدّولة هيبة داخلية وسطوة خارجية وهي عاجزة عن حفظ أمنها؟ وهل تتحقّق التّنمية والنّهضة في مختلف جوانبها والدّولة تعيش حالة الفوضى والتّنازع والتّجاذب؟

---

1 البقرة، الآية 126.

لا يعرف قيمة الأمن إلا من عاش حالة الخوف والهلع والفوضى، ولا يدرك المعنى الحقيقي لنعمة الأمن إلا من شهد حالة الانفلات واكتوى بنار الصّعلكة وقانون الغاب، و"اَسْأَلْ مُجَرِّبْ وَلَا تَنْسَى الطَّبِيبْ"، ونحن في الجزائر عشنا التّجربة بمرارتها وقساوتها، لكن بتضافر ووعي الجميع صُغنا من المرّ طعما لذيذا، ومن القساوة نهجا ليّنا، وانطلقت المسيرة من جديد وبنفس جديد متطلّعة إلى المستقبل دون إغفال الماضي الذي كان الدّرس والعبرة.

وبعد كلّ الجهود التي بذلتها الدّولة الجزائرية وبمختلف الوسائل، من أجل استرجاع الأمن واستتباب السّكينة، وقد نجحت في ذلك وأصبحت نموذجا يُحتذى بها، وأصبح الأمن واقعا ملموسا ومجسّدا على أرض الواقع، وليشهد شاهد من غير أهلها عن الواقع الأمني الجزائري، حين خرج المعهد الأمريكي لاستطلاع الرّأي "غالوب" بتقريره حول الدّول الأكثر أمنا في العالم لسنة 2017 وترتيبه للجزائر في المرتبة السّابعة عالميّا حسب مؤشر "غالوب"[1] للقانون والنّظام الذي يقيس الشّعور بالأمان على المستوى الشّخصي، وكذا الخبرات الشّخصية المتعلّقة بالجريمة وتطبيق القوانين، وهو التّقرير نفسه الذي يصنّف الجزائر في المرتبة الأولى إفريقيّا من حيث الأمن والأمان[2].

1 وكالة الأنباء الجزائرية، والإذاعة الوطنية الجزائرية، بتاريخ: 07 أوت 2017، الساعة 21. 09، وعلى موقعها: https://www. radioalgerie. dz/news

2 المرجع نفسه.

رسالة الشّعر في يوم الشّعر

20 أوت 2017

إنّه الوفاء والاعتراف لأهل الفضل حين يُرَسَّم اليوم الوطنيّ للشّعر تخليدًا لوفاة شاعر الثّورة مفدي زكرياء؛ المصادف ليوم السّابع عشر أوت من كلّ سنة، لأنّه وببساطة شاعر تمكّن بشعره من تأريخ أحداث الجزائر أثناء ثورتها وفي مسيرتها التّنموية الأولى، وحفظ مآثرها وأمجادها وبطولات رجالها، وثقافة أعلامها، وأشهر معالمها، وثمّن رموزها، ويكفيه فخرا أنّه صاحب إلياذة الجزائر.

فكان شعره ثورة أدبية ثانية موازية تشدّ عضد ثورة الكفاح، كما كان نهضة فنّية في عالم الشّعر والأدب الجزائري، وما قيمة الشّعر إن لم يكن معول بناء، وحافظ لتاريخ أمّة، ويد طويلة لبناء وطن، ووسيلة تعبير عن هموم المحيط، وتنفيس عما يختلج بالنّفس، وترقية للذّوق الفنّي والجمالي لدى النّخبة والعامّة؟

وعندما تخلى بعض - وأؤكد على بعض - من الشّعر عن مهامه، وتقلّصت وظيفته، وفقد مقوّماته الأساسية، وجنح إلى الغموض والنزعة الرّمزية المفرطة، والتجريدية المتحرّرة من المعنى والقيمة، وشطحات القصيدة النّثرية[1] وأخواتها، والحداثية التي اختفى تحت ظلها بعض ممن تطفّل عن الشّعر، فقد الشّعر بريقه، وخفّ وقعه على وجدان النّاس، لما أدركوا بأنّه لا يعبّر عنهم، ولا يتناول قضاياهم، ولا يلامس ذوقهم، ولا يحرّك مشاعرهم، وأنّ ما يقال من بعض الشّعر لا يعنيهم، ففرّوا عنه وتركوا الشّاعر يلقي قصيدته لنفسه أو ممن حذا حذوه، أو لبضعة من النّفر المجاملين.

ولكن عامّة النّاس لم يتخلّوا عن الشّعر كفنّ أدبي راق من حيث أصله، بل تخلوا عن الشّعر الذي يغرّد لسرب غير سربهم، ويتكلّم بلغة هي لغتهم لكن لا يفهمونها، ولا ينزل إلى مستوى إدراكهم، ولا يتناول همومهم، ولا يشاركهم أفراحهم

---

1 القصيدة النّثرية: أرى وأن هذا المصطلح متناقض مع ما جاءت به الأجناس الأدبية، فبمجرّد ذكر كلمة قصيدة فصلنا في الجنس وهو الشّعر، فكيف له أن يكون نثرا؟ ولذلك أرى أن تكون التّسمية: "النّثر الشّعري" لأنّ الأصل هو نثر لكنّه صُبغ بالشّعرية.

ومآسـيهم، ولا يُمجّد بطولاتهم ومآثرهم، فكان لا بدّ لهم من البحث عن بديل، والظّاهر أن بديلهم هذه الأيّام وجدوه في الشّعر الشّعبي، ولست في حاجة إلى دليل فيكفي حضور سهرة شعرية شعبية لنقف على مدى تفاعل الجمهور الغفير، وأكثر من ذلك الكمّ الهائل من القصائد الشّعبية التي يحفظها العامّة على ظهر القلب جرّاء تأثّرهم بها وقوّة سطوتها ووقعها على نفوسهم.

فالشّعر الشّعبي كلون من ألوان الأدب الشّعبي عبّر بصدق عن آمال وطموحات الطبقة الشّعبية التي أفرزته، فضلا عن تضمنّه عدد من القيم والأبعاد المختلفة، كما عكس صورة المجتمع بسلبياته و إيجابياته، وسلّط الضّوء على كثير من الظّواهر، و أبرز المفاخر التي من شأنها أن تساهم في إرساء وترسيخ مقوّمات ودعائم المجتمع الكبرى وتربطه بتراثه وتاريخه، بل أرّخ وبكل صدقية لأحداث من التّاريخ المحلّي، ممن عايشوا الحدث ووصفوه بدقّة، أو ممّن مجّدوا الحدث ودونّوه شعرا بعد الاطلاع على أدقّ تفاصيله.

ولقد أذهلني ما وقفت عنه وشهدته في الاحتفال بالذّكرى الثّانية والسّتين لمعركة "هود شيكة"، حين حضر جمع من الشّعراء الشّعبيين فيهم من لا يتجاوز العشرين من عمره، وكانت مواضيع جميع قصائدهم حول وصف معركة "هود شيكة" وبطلها الشّهيد "حمّه لخضر"، ولا أبالغ إن قلت لقد تمّ تجسّيد الأحداث في صور فنّية هي أشبه بالفيلم الوثائقي، وذكر للتّفاصيل والتّواريخ ووضعها في قوالب شعرية هي أشبه بالوثيقة التّاريخية الخالدة التي يمكن الرّجوع إليها بعد زمن طويل، وتذكرت حينها الشّاعرة الشّعبية المرحومة "فاطمة منصوري" التي كانت شاهدة عيان في أرض المعركة وأرّخت لها بقصيدة مطلعها:

"نورّيك ضرب النّاركان نسيته ... نشفّيك عن هدّة نهار هود شيكه".

وتأكدّت ممّا لا يدع مجالا للشكّ أن المستقبل للشّعر الشّعبي، إن لم يعد بعض من الشّعر الفصيح عن غيّه ويتصالح مع محيطه، ويحمل قضايا وطنه وأمّته كما حملها شعر مفدي زكرياء.

لكن علينا أن نتأكّد أيضا أنّ هناك تجارب شعرية جديدة جديرة بالدراسة والاهتمام، وربما تمثّل اتجاهات شعرية جديدة ستترسّخ مع الأيّام، لكن لا يعني هذا الإقرار بجودتها والتعجّل في الحكم كما هو حاصل عند بعض المنبهرين بالحداثة، وإن كان الحكم من اختصاص أهل الخبرة والنّقد، فإنّ إبداء قبولها يدخل ضمن دراستها كظاهرة شعرية أو أدبية، وليس محوا وإلغاءً لما سبق من اتجاهات شعرية، حتّى غدا الشّعر التقليدي (الكلاسيكي) غريبا في بيئته، مما جعل العامّة وحتّى بعض الرّاسخين في فنّ الشّعر يهرولون نحو الشّعر الشّعبي، أو يتمسكّون بالاتجاه الشّعري الذي سلكه الشّاعر مفدي زكرياء. ليقيموا جدارا فاصلا بينهم وبين رياح الحداثة العاتية.

بما تفكر؟

27 أوت 2017

بادلني التّحية دون حرارة وما عهدت منه ذلك، ودون أن أســأله بدت على وجهه علامات الاشمئزاز وملامح الغضب المتسلّلة من هدوءه المُفرط.

- قلت له: ما بك تبدو متشنّجًا؟

- قال: أنت صاحب الفكرة وعليك أن تخرجني منها!

- قلت: أيّ فكرة؟

- قال: أنت من نصحتني بأن أفتح صفحة "فيس بوك" لأساير العصر والنّاس!

- قلت: وهل في ذلك بأس أو سوء؟

- قال: نعم.. وعلّمني من فضلك كيف أحذف صفحتي، أو احذفها بنفسك؟

- قلت: اصبر لعلّك تراجع نفسك وتتراجع عن قرارك!

- قال: لا أبدًا! لابدّ من حذفها فورا.

- قلت: وما الأسباب التي أدّت بك إلى اتّخاذ هذا القرار سريعا؟

- قال: ظننت بأن أجد فكرا ومعرفة ونقاشا ر اقيّا وكلّ ما يفيد، لكنّني وجدت أشياء جعلتني أندهش و أتعجّب كما تر اني.

- قلت: عليك أن تتحمّل، وفي بعض الأحيان تُجامل، وفي الغالب عليك أن تتجاهل.

- قال: هناك أشياء لا أتحمّلها ولا أجامل فيها، ولا تطاوعني نفسي لأتجاهلها.

- قلت: مثل ماذا؟

- قال: هناك أشياء كثيرة لا أرغب أن أراها.

- فلا يمكن أن يُرغمنـي أحدهم على رؤيته وهو عار في البحر يلبس تبّانا وبطنه تتقّدم عن جسمه بمقدر ذراع.

- ولا يمكنني أن أرى أحدهم وهو يأكل ويصوّر نفسه وكأنّه يوثّق لمجاعته.

- ولا يمكنني أن أرى أحدهم وهو يعرض وينشر خصوصيات بيته.

- ولا يمكنني أن أرى أحدهم وهو ينشر حركاته وسكناته من الصّبح إلى آخر اللّيل.

- ولا يمكنني أن أرى أحدهم وهو يتباهى بعمل فضـــيل يقوم به، كان من الأولى أن يستره لينال أجره ولا يحبطه بالرّياء.
- ولا يمكنني أن أرى من يدّعون التّربية والإصـلاح وهم لم يقدّموا نموذجا صـالحا في أولادهم وأسرهم ومحيطهم الضيّق.
- ولا يمكنني أن أرى من يحسبون أنفسهم ملائكة وغيـرهم شياطين، فلا يقبلون رأيّا مخالفا، ولا فكرة لا تتو افق مع فكرتهم، ولا يتقنون من إعدادات "الفيس بوك" إلا أيقونة "الحظر"، فهم مشروع جاهز لدكتاتور مستقبليّ.
- ولا يمكنني أن أرى أحدهم وهو يتطاول على من هم أعلى منه شـــأنا وعلما ومكانة، ويقلّل من شأن الأعلام والرّموزوأهل الفضل، ويخوض في مواضيع أكبـــر من عقله و أنا أعرف مستواه وقدراته.
- و أكبـــر من ذلك كلّه لا يمكننـــي أن أتحمّل أو أجامل أو أتجاهل أحدهم وهو يُشيد ويمجّد بلدا غيـــر بلده، ويعلي شأن رجال ويزكّيهم وعندنا من الرّجال ما يغنـــي عنهم علما وفضلا وحكمة.

ســـكت صـــديقي وتأكّدت بأنّه لا يريد المجاملة ولا يُتقن فنّ التّجاهل، لأنّ التّجاهل فنّ عظيم لا يتقنه كثيـر من النّاس، وأنّ كلامه صحيح، لأنّ "الفيس بوك" عند دخوله لا يسـألك: ماذا أكلت، أو ماذا شـربت، أو أين ذهبت، أو ماذا فعلت...؟ إنّما يسألك: بم تفكّر؟

هنيئا لك سيّدي المُعلّم!

10 سبتمبر 2017

في البداية أعترف أنّني أطرق موضوعا لن أستطيع أن أفيه حقّه وصفا وبلاغة وتوقيرا، لطبيعته من جهة، وللوجل الذي أحسست به و أنا أفكّر في كتابة هذا العمود من جهة أخرى، ولأوّل مرّة ينتابني هذا الإحساس، لأنّني على يقين أنّ المعلّم أكبر من الكلام، وأرفع من الوصف والشّعر والمدح، ولم أجد من كلام الثّناء ما يعادل جهده، ومن التّقدير ما يكافئ مكانته، ومن التّبجيل ما يصل قدره ونبل مهنته، ومن الأجر والتّثمين ما يوازي عطاءه.

وما يزيد الموضوع تعقيدا أنّني لم أتمكّن من التحرّر من ذاتيتي، وسطوة عاطفتي، وفيض مشاعري وحنيني لأيامي الأولى بالمدرسة في سبعينيات القرن الماضي، وطيف معلّمي الأوّل لا يزال يتراقص في مخيّلتي، وحضوره خالدا لم يغادرني لحظة، وروحه ما زالت تناجيني، و أتحسّس صوته وكأنّه يناديني، أستحضر كلّ حركاته، وأستذكر هدوءه وسكناته، يصلني صدى عذب كلامه، وجميل حظوته ورفيع مقامه، ما زلت أستلهم من أسلوبه وقدّر الله أن أمتهن مهنته، لأنّه وببساطة قد منحني من الأشياء ما استعصت على والدي، وطلبت منه ما لم أطلبه من والدي، وقد استجاب وبكل فرح، وسعد كثيرا لما تأكّد بأنّي تعلمت وأخذت ممّا منحه الله له من علم وخلق، وكان أكثر سعادة حين بلغت سنّ الرّشد وقد شهد مساري ونجاحي.

فهل يوجد بين النّاس من يحظى بما حظي به المعلّم على الأقلّ بين تلاميذه؟ وما أكثرهم؟ وهل يوجد في تصنيف المهن مهنة امتهنها الأنبياء؟

يكفيك فخرا سيّدي المعلّم أنّك تصنع الإنسان بكلّ دقّة وأمان، ومن أجل العلم النّافع تجتهد وترافع، تجلي الأفكار وتوجّه الأنظار، تحي العقول وتُشبع الفضول، تحارب الرّذيلة وتزرع الفضيلة، ترسّخ القيم وتشحذ الهمم، تنير البصيرة وتزوّد الذّخيرة، تقدّم النّصيحة خفيفة مريحة.

يكفيك فخرا سـيّدي المعلّم أنّك تصـنع مسـتقبل أمّة ورجال مسـتقبلها، وتُقوِّم حاضرها مستلهما من ماضيها، تحيّي أمجادها وتُشيد بمآثرها وتصون قيمها وتاريخها، وتضع أساسات صمودها وقوّتها، وترسم معالم طريق أفرادها، لتهب لها الطبيب والمهندس والأسـتاذ والجنديّ والفلاح والبنّاء والنّجاروالحدّاد والخيّاط وعون الصّيانة والتّنظيف...

يكفيك فخرا سيّدي المعلّم أنّ ثقتنا فيك عمياء، فأودعنا لك أمانة هي أغلى ما نملك، إنّهم أولادنا فلذات أكبادنا لينهلوا من علمك شـتّى المعارف، ومن أخلاقك أقوم السّلوك، ومن شخصك القدوة الحسنة، ومن معاملتك راحة النّفوس، ومن طيبتك الإحساس بالأمان، ومن حُنوّك وحلمك الإحساس بالأبوّة.

لقد أودعنا لك أوعية فارغة وصـفحات بيضـاء و أنت من تملأها وتكتب عليها ما تشاء، وعليها ترسم صورة هي في الأصل صورتك، فاختر لنفسك الصّورة التـي تشرّفك وتفتخر بها، وهي الصّورة التـي ستُحفر في أذهان تلاميذك ما دامت الأنفاس تمدّ حياتهم، فإنّ حضـورك فيهم أشـدّ وقعا من العلم والمعرفة والمنهاج ووسائل التّعلم ونحوها. فهنيئا لك سيّدي المعلّم وعودة دراسية ميمونة.

لنكمل دفاعنا عن البسملة

17 سبتمبر 2017

إنّ أوّل قول طبعته أمهاتنا "الأميّات" على قلوبنا أثناء مراحل حياتنا الأولى هو أن نسمّي الله في كلّ حركة أو عمل نقوم به؛ لأنّها تُحضر البركة، وعندما كبرنا عرفنا في الكتاتيب أنّ البسملة هي مفتاح القرآن، وأوّل ما أنزل جبريل على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"[1]، وأنّها آية من القرآن الكريم: "إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"[2]، وأنّها تحمل ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى: الله، الرّحمان، والرّحيم، وأنّ أيّ أمر لم تذكر البسملة فيه فهو أمر أبتر أقطع أجذم أي مقطوع البركة، يقول صلّى الله عليه وسلّم: "كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فهو أقطعُ"[3].

فما تربينا عليه وألفناه واستأنسنا به وعن قناعة تامّة و إيمان عميق أن تكون البسملة حاضرة في كلّ أمر، وأن نفتتح بها أعمالنا، ونرطّب بها ألسنتنا و أقوالنا، ويصلح الله بها أحوالنا، وأن نُرقّق ونعالج بها القلوب، وتتصدّر كلامنا الشّفوي والمكتوب، فما من قول إلا وكان أوّله: "بسم الله على بركة الله"، وما من كتاب وقعت عليه أعيننا إلا وكان أوّله "بسم الله الرّحمان الرّحيم".

ولم يعد من السّهل إقناعنا اليوم أنّ البسملة كمالية ويمكن الاستغناء عن تصدّرها الصّفحات الأولى لكتبنا المنشورة، خاصّة إذا تعلق الأمر بكتب مدرسية موجهّة أساسا لتّربية الأجيال، فما الضّرر في بقائها؟ وما النّفع في حذفها؟ وهل كانت البسملة وهي موجودة في جميع كتبنا منذ الاستقلال سببا في تدنّي المستوى التّعليمي؟ وهل أكدّ خبراء التّربية وبعد دراسة عميقة - ما زال لم يوجد لها أثر في الميدان - أنّ حذف البسملة من الكتب المدرسية سيرفع المستوى التّعليمي؟

---

1 العلق، الآية 01.

2 النمل، الآية 30.

3 رواه أبو داود وغيره، وحسّنه ابن الصلاح وغيره، الشافعي: منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، سنة 2005، ج1، ص 65.

كان من الأوْلى اليوم وقد توفّرت كلّ الوسـائل التّقنية أن تكون البسـملة حلية للكتاب المدرسيّ يتوشّح بها على شكل لوحة فنّية في أوّل صفحة داخلية، حتّى نُؤَمِّن للكتاب بركة افتتاحه بالبسـملة، وللتّلميذ متعة روحية وبصـرية ترفع من ذوقه الجمالي، وقد تيسّـرت البسـملة في أشـكال فنّية بديعة على شـكل "تروتايب"[1] بأجهزة الإعلام الآلي، أو نختار ممّا جادت به أيادي الخطّاطين.

وبقدر دفاعنا عن وجود البسـملة في كتبنا المدرسـية وفي غيرها، وفي كلّ أمور حياتنا الأخرى، فعلينا أن ننتبه إلى أن نكمل دفاعنا عنها في جوانب تغيب على كثير منّا، فهل يعقل أن تمزّق الكراريس والكتب في آخر السّـنة الدّراسـية من طرف تلاميذنا أمام المؤسّسات التّربوية وتصبح عرضة للإهانة وهي تحمل البسملة وبعض الآيات القرآنية؟ أيعقل أن ترمى الكتب والكراريس في أي مكان من طرف الكبار والصّـغار وهي تحمل ما تحمل من كلام الله وأسـمائه وأسـماء رسـوله الأعظم صلّى الله عليه وسلّم؟

أيعقل أن نجعل الجرائد المحرّرة باللّغة العربية وسـيلة تنظيف نمسح بها الزّجاج وبين طيّاتها البسملة والآيات، وما حملت الأسماء الواردة فيها من أسماء هي من أسماء الله ورسوله؟

لذلك وجب أن يكون دفاعنا عن البسـملة دفاعا مُمنهجا، يبدأ من دفاعنا لوجودها في الكتاب المدرسـي، لنكمل دفاعنا باحترامها وتقديسـها في حياتنا ومحيطنا.

[1] تروتايب: الحروف الطباعية بتقنية الحاسوب، True Type Fonts

التّقويم الهجري. . تاريخ وهوّية

27 سبتمبر 2017

من الثّابت تاريخيّا أنّ التّقويم قديم قدم الأمم والشّعوب، وأنّ كلّ أمّة اجتهدت في ابتكار واعتماد تقويم يحفظ تاريخها ومواسمها و أيّامها، ويميّزها عن غيرها بما يتضمّنه من عناصر هوّيتها، بداية بالسّومريين فهم أوّل من استخدموا التّقويم القمري، وكانت عندهم السنة تساوي 354 يوما، ثمّ المصريين القدامى حيث استخدموا التّقويم الشّمسي، وعدد أيّام السنة فيه 365 يوما، وقد جمع البابليون بين التّقويم الشّمسي والقمري، وهو نفس التّقويم الذي اعتمده العبرانيون القدامى، وقد اعتمد الرّومان في الأوّل التّقويم القمري، وتبدأ عندهم السنة بشهر مارس، وعندما وصل "يوليوس قيصر" إلى الحكم اعتمد التّقويم الشّمسي الشّبيه تماما بالتّقويم الميلادي الحالي، ولذلك سمّاه البعض "التّقويم اليولياني" و"التّقويم الشّرقي" نسبة للشّعوب المسيحية الشّرقية، وفي أواخر القرن السّادس عشر اعتمدت إيطاليا وفرنسا التّقويم "الغريغوري" و انتشر في معظم الدّول الأوروبية بعد ذلك، وهو التّقويم المعتمد حاليا والمسمّى "التّقويم الميلادي".

أمّا التّقويم الهجري فهو تقويم قمري يعتمد على حركة الأهلّة، يقول عزّ وجلّ: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"[1].

وقد اعتمده المسلمون لعدّة اعتبارات منها المرجعية القرآنية روحيّا، وسهولة مراقبة حركة الهلال من طرف العامّة ميدانيّا، مقارنة برصد طوالع الشّمس في السّنة الشّمسية الميّسرة لأهل الاختصاص في الفلك والنّجوم فقط.

وفي حدث طريف، أنّ الصّحابي أبا موسى الأشعريّ رضي الله عنه أشار إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ خطاباته غير مؤرخة، وحينها جاءت الفكرة إلى عمر، وبعد مشاورته لأعيان المدينة أستقرّ الرّأي على أن تكون هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كحدث عظيم أسّس للدولة الإسلامية؛ هي بداية التّاريخ الإسلامي، فكانت انطلاقة التّقويم الهجري يوم: الخميس للعشرين من

1 البقرة، الآية 189.

جمادى الآخرة من السّنة السّابعة عشرة للهجرة، المو افق لـ: التّاسع من شهر جوان سنة 638 م، أي بعد سبعة عشرة سنة فقط، بمعنى أنّ بداية التّقويم الهجري لم تكن بعيدة عن الحدث الذي ارتبط به، وهو الهجرة التي تمّت يوم: الاثنين الثّامن من ربيع الأوّل، المو افق للعشرين من سبتمبر سنة 622 م، وقد حرص سيّدنا عمر على جعل المحرّم هو الشّهر الأوّل كما ألفت العرب من قبل.

والتّقويم الهجري يتّخذ من الشّهر القمري كوحدة أساسية للحساب؛ أي المدّة الفاصلة بين ظهور هلالين؛ ومدّتها كما يؤكّد الخبراء هي: 29 يوما و12 ساعة و44 دقيقة و03 ثوان، لتكون السّنة القمرية: 354 يوما و06 ساعات و48 دقيقة و36 ثانية، فهي أقصر من السنة الشّمسية بعشرة أيّام وثلاث وعشرين ساعة، أي 11 يوما إلّا ساعة واحدة، وهو ما يجعل مو اقيت العبادات تنتقل بين الفصول الثّابتة في السّنة الشّمسية، فلا رمضان في الحرّ يستمرّ، ولا في القرّ يستقرّ، وكذلك الحجّ وبقية المو اقيت، وهذا من رحمة الله بنا.

ورغم اعتماد الكثير منّا التّقويم الهجري وترصّد حركة الهلال لإثبات مو اقيت عباداتنا و أيّامنا ومناسباتنا ومواسمنا، إلّا أنّه في حاجة إلى اعتماده رسميّا لأنّه يمثّل تاريخنا وقيمنا وهوّيتنا[1].

1 للاستزادة في الموضوع: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ج02، ج06، وج13. والطوسي: ثلاثون فصلا (مختصر في معرفة التقاويم)، مركز البحوث والدراسات الفلكية. وزهير كامل قمر: التقاويم عبر التاريخ، مجلة القافلة، شركة أرامكو. السعودية، عدد: رجب 1415هـ المو افق لـ ديسمبر 1994.

بذور الأمير تنبت

15 أكتوبر 2017

من طرائف ما قرأت أنّ أميـــرًا اجتمع بفتيات المدينة وأعطى كلّ واحدة بذورا ليزرعنها، وقال لهنّ:

- من تأتي منكنّ بعد ستّة أشهر بأجمل ما زرعت سوف أتزوّجها.

وبعد ستّة أشهر جاءت الفتيات وكلّ واحدة تحمل أجمل الورود والنّباتات، إلّا فتاة واحدة لم تحضّر أي وردة أو نبتة.

- سألها الأمير: أين محصول ما زرعت؟

- قالت: أيّها الأمير إنّ البذور التي أعطيتني إيّاها لم تنبت.

فقرّر الأميـــر الزّواج منها لأنّها صادقة، وأنّ جميع البذور التـــي وزّعها على الفتيات يعلم أنّها لا تنبت أبدا.

ومن خلال هذه الطريفة، لنا أن نتخيّل حجم الصّراع الدّاخلي الذي عانت منه هذه الفتاة، خاصّـــة وأنّ الأمر تعلّق بالزّواج، ومن أعلى شـخصـية مرموقة في مجتمعها وهو الأمير، وفي جوّ تنافسيّ محموم مع مجموعة من أترابها، لكن انتصرت عندها قوى الخير والفضيلة، واختارت الصّدق بما فيه من تبعات غير محمودة في هذا الموضع - وهو عدم الزّواج من الأمير-

فالنّفس البشرية في صراعها الأبدي بين الميل نحو الفضيلة وسطوة الرّذيلة هو صـــراع نســـبـــيّ يختلف من شـخص إلى آخر، لا يمكن فيه إبعاد العوامل الاجتماعية والبيئية ومحيط التّنشـئة ووسـائل التّربية، ولا يمكن أن نغفل الجانب الوراثي أيضا، وهناك جملة من الدّوافع التـــي تحدّد مسار سلوك الإنسان، ولعلّ أعظمها هو دافع المنفعة والمصلحة وإشباع النّهم والرّغبة، وهو سلوك مكتسب لأنّ الإنسـان في مراحل طفولته تخلو حياته من أيّ فعل فيه كذب أو شـرّ أو رذيلة، و أنّه في الأصـل مجبول ومفطور على الخيـــر والفضـيلة، لكن لا يمكنه أن يتحرّر من نواة الأنانية التي تبدأ وتكبر معه، وقد تعظم عنده حتّى يرى نفسه محور العالم أحيانا، إن لم يتدخّل التّوجيه الذي يتلقّاه في الأســـرة والمحيط الاجتماعي والتّعليمي ليحدّ

ويكبح رغبته الـــمُفرطة وسعيه لمصلحته، ويردّه ردًّا جميلا نحو الموازنة؛ فلا إفراط ولا تفريط.

فالمصلحة الشّخصية هي سبب رئيس في صراع النّفس الدّاخلي، والذي في الغالب تنتصر فيه رذيلة الكذب بالخصوص، حين يتمّ بذل أكبـــر جهد لإسكات وإخماد صـــوت الحقّ والصّـــدق الذي يتحرّك بالدّاخل وتنادي به الفطرة، والذي يتو افق تماما مع ما نؤمن به، لكنّ دافع المصـــلحة وتحقيقها يفعل فعلته، لنجده أكثر ميلا لاستعمال الكذب للوصول إلى مصلحته ورغبته، وقد فكّر ورسم قبل ذلك خطّة مُحكمة لئلا تكون كذبته مكشـــوفة، ولكي تنطلي على من تحكّم في نفعه ومصلحته، ولهذا كان الكذب أكبـــر تكلفة من الصّدق على مستوى التّدبير، وأسوأ نتيجة في الأخير.

ولقد تجسّـدت كلفة الكذب في جهد الفتيات بجمع أجمل الورود والنّباتات وتدبير الخطط، لتقنع كلّ واحدة منهنّ الأميـــر بصـــنيعها الأفضـــل ليتزوّجها دون غيرها، والنّتيجة تزوّج الأميـــر من لم تكلف نفسـها عناءً واختارت الصّـدق كأيسـر سبيل حقّق مصلحتها، والأكيد بعد صراع داخلي انتصرت فيه الفضيلة.

فلنقاوم أنفســنا ونكبح أنانيتنا وننتصـر للصّـــدق، لأنّ الكذب لا يمكن أن يقنعنا أو يجعل "بذور الأمير تنبت".

التّطبيع مع الموت

22 أكتوبر 2017

يبدو أنّ بعض الأقوال التي قلّل النّاس من شأنها، واعتبروها "خُرَّ افًا"، قد استعادت بريقها وتصدّرت تُواجه أحكامنا السّابقة حولها، لأنّ ملامح صحّتها أصبحت ظاهرة للعيان مجسّدة في الميدان، ولعلّ أهمّ مقولة شعبية ينطبق عليها كلامنا هذا: "ثُلُثْ لُـمَّهْ يَاكِلْهَا الْحَدِيدْ" - أي أنّ ثلث الأمّة سيأكلها الحديد والعلم لله وحده - ولا ندري من قائلها الأوّل، لكن وللوهلة الأولى قد تبدو المقولة بسيطة ساذجة لا تحمل أيّ مضمون و اقعيّ منطقيّ، لكن عندما نلوي عنقها، قد نجد لها مرجعية دينية، ففي الحديد بأس شديد ومنافع للنّاس، يقول عزوجلّ: "وَ أَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"[1].

ولا يخفى على عاقل أهمّية الحديد وضرورته للحياة، قبل ضرورته لبناء وسائل وكماليات الحياة، فلا تتمّ عملية نقل الأكسجين من الرّئتين إلى خلايا الجسم إلا بوجود مادّة الحديد في هيموغلبين الدّم وتأكسده، ولا تتمّ عملية التّمثيل الضّوئي عند النّبات بدون وجود مادّة الحديد، ومادّيا لا نتصوّر كيف تكون بنيتنا التّحتية ومنشآتنا وهياكلنا ووسائلنا وعتادنا ومركوبنا دون حديد؟

وفي الاتّجاه المقابل أليس في الحديد بأس شديد؟ بطبيعته كمادّة صلبة؛ حين لا نحسن استعمالها تتحوّل إلى أكبر مدمّر، وأوّل ما يتبادر إلى الذّهن هو الموت بـ"حديد" الحرب، ثم استجدّ في زماننا الموت بـ"حديد" المركبات التي تحوّلت من نعمة مسخّرة نركبها ونطوي بها الأبعاد والمسافات ونربح بها الوقت، إلى وسيلة للموت والإعاقة فضلا عن إهدار المال.

ولعلّ البعض لا يعلم أنّ ضحايا حوادث المركبات على أيّامنا فاق عدد ضحايا الحروب والزلازل، وأنّ عدد ضحاياها في الجزائر بلغ 3992 حالة وفاة أي بمعدّل يقارب أحد عشر قتيلا يوميّا، جرّاء عدد من الحوادث بلغ 28856 حادثا حسب إحصائية المركز الوطنيّ للوقاية والأمن عبر الطرقات لسنة 2016، وأنّ نسبة

---

1 الحديد، الآية 25.

96 بالمائة من هذه الحوادث سببها العنصر البشري، وأكثر من 45 بالمائة من الضّحايا هم من الشّباب ممن تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين سنة.

فهل للحديد بأس أشدّ من هذا البأس؟ وهل تفاجئنا الأيّام القادمة بمزيد من البأس ومآسي المركبات حين يتضاعف عددها؟ وهل طرقنا التي تعاني يمكنها أن تسع الكمّ الهائل وتسهم في الحدّ من الحوادث؟.

لكن الظّاهر أنّه وقع لنا تطبيع مع الموت، ولم تعد تهزّنا أو تصدمنا مشاهدها، ليمرّ علينا خبر: وفاة عائلة من خمسة أفراد في حادث مرور، كما يمرّ خبر الحالة الجوّية والطّقس الجميل الذي يساعدنا على الخروج والنزهة، وخبر مقتل خمسة شباب في عمر الزّهور دفعة واحدة، كما يمرّ خبر فوز فريق رياضيّ محلّيّ، وأصبحت أعداد الموتى على الطرق وأحيانا بسبب الطرق لا تحرّك مشاعرنا ولا تستنهض هممنا لننتفض فورا ودون تأجيل لإصلاح ما يمكن إصلاحه، أم علينا أن ننتظر حتّى تصدق المقولة الشّعبية: "ثُلُثْ لُـمَّهْ يَاكِلْهَا الْحَدِيدْ"، وليس للحديد ذنب، بل الذّنب ذنب من طوّع الحديد واستفاد من الحديد ولم يحسن استعمال الحديد، ولم يوفّر ظروف نفع الحديد، ونخاف كلّ الخوف أن تتحوّل هذه المقولة الشّعبية - لا قدّر الله - إلى: "ثُلُثْ أَهْلِ الْوَادِي يَاكِلْهُمْ طَرِيقْ الْحَمْرَايَة - الْوَادِي"، حفظ الله أهل الوادي وأهل الجزائر والأمّة جمعاء.

الثّقافة والمقبرة

05 نوفمبر 2017

المعروف والبديهي أنّ كلّ من يعرض سلعة لبيعها أو إقناع النّاس بجودتها، سيروّج لها بوسائل متعدّدة، وأهمّ الوسائل فنّ التّعريض أي الكلام المقابل للتّصريح، الذي يحتمل وجهين أو عدّة أوجه، وفنّ "التّنميق اللّفظي" أي استعمال المحسّنات والصّور البديعية والبيانية لزخرفة اللّفظ وجعله جذّابا، فهو فنّ يحسنه حتّى البائع المتجوّل، حين ينظم جملة إشهارية سجعية للإشادة بسلعته، يمنحها السّجع جرسا موسيقيا و إيقاعا سيلفت انتباه الزّبون حتما، وإضافة إلى هذه الوسائل أضاف لنا عالم "الرّقمنة" اليوم فنون التّصميم والإخراج والألوان والطباعة، التي تمنحنا أرقى أنواع اللافتات الإقناعية الجاذبة، كلمة وصورة وشكلا ولونا.

وهو ما تمّ توظيفه في هذه الأيّام وأعني "الحملة الانتخابية" وما تعلّق بها من وسائل الجذب والإقناع، حيث تمّ استغلال أحدث الوسائل فيما يتعلق بالاتّصال البصري "الأفيشاج"، وفي الاتّصال البصري الإدراكي "البرنامج الانتخابي" باعتباره جمع بين الجانب البصري المتمثّل في التّصميم والإخراج، والجانب الإدراكي المتمثّل في الخطّة المكتوبة التي تخاطب العقل.

والبرنامج الانتخابي في مفهومه العام: هو خطّة العمل وجملة الأهداف والمشاريع التي يسعى المترشّح لتحقيقها في حالة وصوله إلى المنصب المطلوب، والذي يسعى لإقناع النّاس للتّصويت من أجل ذلك.

ورغم توفّر كلّ الوسائل الحديثة والمساعدة على التّميّز في كلّ شيء، إلّا أنّه ومن المؤسف أنّ البرامج الانتخابية - على الأقل التي اطلعنا عليها - تتشابه، بل تكاد تكون متطابقة إن لم نقل مُستنسخة، من حيث وضعية التّصميم وتوزيع العناصر (كتابة، خلفية، لون، وصورة...) ومن حيث المشاريع والمحاور ورؤية المترشّح لكيفية تطويرها، ومعالجة العوائق التي تقف دون تنفيذها وتجسّيدها، والأفكار الواردة حول دفع عجلة التّنمية المحليّة، والتي لا تخلو في أحيان كثيرة من

مبالغة يكذبها ويفندّها الو اقع والميدان، ومغازلات مفضـوحة لا ندري لسـذاجة كاتبها، أم لاعتقاده أنّ المجتمع ساذج وسيصدّقها؟ وأغرب من ذلك كلّه حين يتحوّل المترشّـح وفي لمح البصـر إلى شـخص له قدرة خارقة ميدانيّا، وملك برّ طاهر نقي أخلاقيّا، ويؤمن البعض بخوارقه ويروّجون للوهم.

أمّا محاور البرنامج الانتخابي فهي نفسها من حيث المضمون، وأحيانا حتّى اللون ونوعية الخطّ، وترتيبها بنفس التّسلسل عند معظمهم وبشيء من الاختلاف البسـيط المتمثّل في التّقديم والتّأخير، مع إعطاء عناية فائقة لترتيب القطاعات حسب الأهمّية، وحسب حاجة النّاس الماسّة للقطاع، حتّى يتمّ مسكهم من الأيادي المتألّمة، لنجد القطاعات الحسّاسة تتصدّر البرنامج ثمّ تتدرّج شيئا فشيئا إلى أن تصل ذيل التّرتيب، وهو قطاع الثّقافة حيث لا يتعدّى الحديث فيه أكثـر من إحياء المناسـبات ودعم الجمعيات والمهرجانات، أمّا أكبـر مشـكل تعاني منه كل مناطق القطر الجز ائري ولا يتمّ الانتباه له ولا تتحدّث عنه البـرامج الانتخابية ولا يفكّر فيه معظم المترشّحين: وهو المقابر التي تعاني في صمت ولا وجود لبرنامج محلّي أو قطاعي لصـيانتها وتسـيّيجها، أو التّفكيـر في إحداث مقابر جديدة في بلديات تعاني ضـيق المقبرة.

فهل من عجز عن التّوظيف الحسـن لوسـائل الإقناع، والنّجاح في الإقناع يمكنه أن ينجح في غيـره؟ وهل من همّش الثقافة ونسي المقبـرة يمكنه أن يصنع حضارة الدنيا وسعادة الآخرة؟

الدّهاء قبل الخبرة

12 نوفمبر 2017

لم أنس تلك الشّحنة التي كانت تدفعنا لنلبّي رغبتنا الـمُلحّة في تعلّم الرّسم في بداية المرحلة الثّانوية، كنّا مجموعة من الشّــباب القاســم المشــترك بيننا الخصاصة والفقر، لأنّ آباءنا لم يكونوا من أصحاب اليد العليا والذّخائر والكنوز الـــمُغْنِية، لكنّ أحدنا كان من أسـرة لها من المال ما لا يُعدّ ولا يُحصى، ورغم هذا الطّفرة بيننا إلا أنّ الجميع سـواسية أمام الفنّ، خاصّة حتمية توفّر الموهبة، وكان صـاحبنا يفتقدها، إنّما دفعه الفضــول ليكون بيننا ومعنا، كما كان يشــتري أغلى وأرقى أدوات وخامات الرّســم، وفي ذهنه أنّ الأدوات والوســائل هي لوحدها ســرّ النّجاح، ولهذا فشل فشلا ذريعا لفقدانه الموهبة التــي تؤهله لدخول عالم الرّسم، وفي المقابل أنّ أحدنا وهبه الله مَلَكَة خارقة، جعلته ينجز أعمالا فنّية رائعة بعو اقب السّجائر وقطع "الشّاش" كبديل عن الفرشاة.

تذكّرت هذه الطريفة في مساري عندما رأيت اليوم من يطلب مسؤولية، ولا يملك ما يؤهله ليضمن استمرار السّير العادي على الأقلّ للمؤسّسة التــي يطلب تســييرها، ويزداد الأمر تعقيدا عندما يطلب أحدهم مســؤولية لو كانت بالتّعيين ما طالها ولا تُمنح له، لأنّ ملفه الإداري وشــهاداته العلمية لا تؤهله لذلك، وأحيانا استعداداته وقدراته العامّة قد تحرمه لو تمّ دراستها، فما بالك بمن يطلب منصبا وهو لا يملك من فنّيات التّســيير والحنكة شــيئا؟ مثلما يقع في طلب المناصــب الانتخابية.

وقد يقول قائل: هناك من يملك الخبــــرة الإدارية ومُؤهل لذلك، لكن في مناصب التّسيير المحلّي الخبرة الإدارية وحدها لا تكفي، بل هو أشبه بصاحبنا الذي يملك أغلى وسائل وخامات الرّسم لكنّه يفتقد إلى الموهبة.

وإن كانت الموهبة عند الرّسام هي الـمَلَكَة التـي وهبها الله إيّاه، فإنّ الموهبة عند من ترشّح لتولّي منصبا انتخابيّا تتلخّص في أربعة أشياء هي: الذّكاء، الإخلاص، الحلم، والدّهاء - كما أراها -. هذا فضلا عن خبراته ومؤهلاته الإدارية.

- أمّا الذّكاء فهو سرعة التّأقلم مع الوضع الطارئ والمشاكل المستجدّة، مما يسرّع الوصول إلى الحلّ النّاجع لها، والقدرة على التّمييز بين من أسدى رأيًّا ينقذ ومن غرّ برأي يُغرق.

- والإخلاص فهو نقاء النّية والتّوجه إلى الهدف المرسوم دون وجود شوائب تفسد القصد وتُحَيِّد الطريق.

- أمّا الحلم فهو عدم التفكير في الانتقام والعقوبة والتأنّي وتسكين الغضب والصّفح مع وجود القدرة على العقاب، لأنّ المسؤول سيخالط كل أصناف النّاس، الحكيم والأبله، الغني والفقير، الأمير والمأمور، المُسْتَغْنِي بحاجته وذي الحاجة، المتعفّف ومن يرى حاجته عنده...

- أمّا الدّهاء فهو الفطنة والكياسة المؤديتان إلى قوّة التبصّر بالأمور والجودة في الرّأي، والصّبر والتريّث واختيار الوقت المناسب لاستعمال الشدّة والغلظة، والوقت الأنسب لاستعمال التّفاوض والحوار لإقناع الطرف المعارض.

وهو ما يعرف بالحنكة السّياسية على أيّامنا، أو فنّ التّعامل مع النّاس ومداراتهم وأخذهم بالحكمة، ولنا في "شعرة معاوية" المثل والعبرة، يقال أنّ أحدهم سأل معاوية بن أبي سفيان، كيف حكمت الشّام أربعين سنة ولم تحدث فتنة والدّنيا تغلي؟ فقال:

"لو أنّ بيني وبين النّاس شعرة ما انقطعت. قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: كانوا إذا مدّوها خليتها، وإذا خلوها مددتها"[1].

فمن أراد المنصب والقيادة عليه أن لا يعوّل على خبرته ومؤهلاته الإدارية، وما يتوفّر من وسائل، ويغفل دور الموهبة والمَلَكَة والدّهاء.

---

1 إيناس محمد الهيجي: تاريخ الدولة الأموية، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر والتوزيع، ط01، سنة 2016، ص 444.

الألقاب لا تصنع الرّجال

19 نوفمبر 2017

اللّقب اسم يسمّى به الإنسان غير اسمه المعروف، قد يأخذ طابع التّعريف أو التّشريف أو التّحقير والتّحريف، وفي الغالب يستمدّ اللّقب من صفة الإنسان أو من أفعاله، أو سلوكاته وأعماله، فمثلا لُقِّب مفدي زكريا بـ"شاعر الثورة"، والشّابي بـ"شاعر الخضراء"، وحافظ إبراهيم بـ"شاعر النيل"، وكل هذه الألقاب تصدّقها صفاتهم وتؤكدها أعمالهم، فغدت للتّشريف والتّفخيم، وقد نُهي عنها إن كانت للتّحقير والتّنابز، وليس عيبا أن تطلق الألقاب على النّاس، لكن العيب عندما يفوق اللّقب حجم المُلقّب أو لا ينطبق على المُلقب لعدم حمله من الصفات ما يرقى ويكافئ لقب التّشريف.

ومن المنطق أن يسبق الفعل اللّقب، فعندما تُلمس جهود الرّجل وتتجسّد على الواقع حقّ له ولا ضرر أن نمنحه لقبا يلخص أفعاله، ويتوّج جهوده، لكن أن يحدث العكس حين نمنح اللّقب قبل أن نعرف الرّجل في الميدان، مثلما يحدث في المشهد السّياسي؛ فهو أشبه بتسمية المولود قبل أن يولد ونتأكّد من سلامته ونعرف جنسه.

وقد كثرت الألقاب هذه الأيّام وأصبحت تمنح بالمجّان وتلصق بالبعض، خاصّة المترشّحين، والألقاب تأبى أن تلصق ببعضهم لأنّها ألقاب ظرفية ومصلحية وتزكوية مفضوحة، وفي أحيان كثيرة حتّى مُطلق اللّقب أو ناطقه ومردّده غير مقتنع به، ومن هنا بدأ التّغرير بالنّاخب وخداعه، وهو نوع من التّزوير لا يختلف عن تزوير الأصوات في صندوق التّصويت.

ومن الطرائف العجيبة والتّزكيات المُريبة، ولا نعلم مدى صحّتها غير أنّها تداولت على الألسن، والعبرة في مغزاها، أنّ أحدهم وهو رجل فاضل مخلص، تمّ ترشيحه لاستمالة النّاخبين، وفي المعلّقات قرنوا اسمه بلقب "حافظ لكتاب الله" فعندما رأى ذلك طرح سؤالا عمن رشحّوه قائلا:

- ما أنا بحافظ لكتاب الله إنّما أحفظ قصار السّور للصّلاة فقط؟

- فرد داهيتهم: هل عندك مصحف في البيت؟

- فقال المترشّح: نعم عندي مصحف.

- فقال له: هل تتركه على أي مكان أم تحفظه في مكتبتك؟

- فقال: إنّه القرآن! أحفظه في المكتبة.

- فقال له: إذن نحن على حقّ فأنت "حافظ لكتاب الله"، ولا تنـــزعج من اللّقب و أتركه على حاله حتّى تنتهي الانتخابات.

لكن الخوف كلّ الخوف أن تتحوّل هذه الألقاب في الاتّجاه المعاكس بعد تولّـــي المنصب، وتصبح ألقاب تحقيـــر وتقزيم بعدما كانت ألقاب تفخيم وتزكية في الحملة الانتخابية، خاصّة إن لم تتحقّق المصلحة الشّخصية أو دَبّ الخلاف حول المكاسب.

ويا ويح من مدحناه كثيـــرا، لنذمّه أكثـــر حين نختلف معه، ومن أفرط في المدح تفخيما وتزلّفا، سيفرط في الذمّ تحقيرا و انتقاما.

وفي و اقع الحال أنّ العظماء ليســوا في حاجة إلى ألقاب، وأنّ الألقاب لا تصنع مجدهم ولا تضيف لهم شيئا، لأنّها لا تخرج عن كونها كلمة أو قولا، وليست نفعا أو عملا، والمؤكّد أنّ الألقاب لا تصنع الرّجال بل هم من يصنعونها.

الكلمة وما أدراك ما الكلمة!

26 نوفمبر 2017

من عجائب الكلمة أنّ مفهومها يختلف حسب سياقها، ودلالتها حسب توظيفها، ومرماها حسب ظرف استعمالها، ونوعيتها حسب الإناء التي نضحت منه، ولذلك كان للكلمة معان مختلفة، ووظائف متعدّدة، ونتائج مختلفة اختلاف نوع الكلمة، ولا نبالغ لو قلنا الكلمة سحر، فسحر الكلمة الطيّبة هو كسحر الجمال مهما كان مصدره، حتّى أنّنا نقول: "جمال ساحر"، وسحر الكلمة الخبيثة كالسّحر بمفهومه الخرافي النّابع من الشّعوذة والحقد و إفساد أحوال النّاس حسدا وغيرة.

وإن كانت الكلمة عند النُحّاة هي اللّفظة الدّالة على معنى مفرد بالوضع، وتكون اسم يدل على موصوف أو فعل يدلّ على حالة أو حدث أو حرف، فإنّ الكلمة بمفهومها العام هي عدد مختلف من الحروف تؤدي معنى متّفق عليه، ويأتي معناها ونتيجتها وفقا لنوعها، فإن كانت طيّبة فهي كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء، وإن كانت خبيثة فهي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، كما جاء على لسان ربّ العزّة في سورة إبراهيم.

والمؤكّد أنّ الكلمة في جانبها النّفسي تعكس صورة النّفس البشرية، فإن كانت طيّبة فإن مصدرها نفس طيّبة، وإن كانت خبيثة فإنّ مصدرها نفس خبيثة، و"كلّ إناء بما فيه ينضح"، ومن غرائبها أنّها إذا خرجت لن تعود مهما كان ينوي بها من أخرجها، فإنّ أثرها الإيجابي أو السّلبي سيتحقّق، فبكلمة نصلح بين فئتين، وبكلمة نثير فتنة لا تُبقي ولا تذر، وبالرّغم من أنّ اللّسان ليّن طري لكن كلمة منه أدمى من ضربة سيف، و أقدر على تغيير مجرى الحياة من صروف الزّمان وتقلّباته، و"الكلمة نور، وبعض الكلمات قبور. . الكلمة فرقان بين نبي وبغي. . . " كما جاء على لسان عبد الرّحمان الشّرقاوي في قصيدته "الحسين ثائرا".

ويظنّ البعض أنّ الكلمة المنطوقة يتضاءل تأثيرها وفقا لطبيعتها وزمانها ومكانها، لأنّها لا تصل مسامع كلّ النّاس، لكنّها في زماننا وبتطور العلم وتوفّر الوسائل، فقد تيسّر تسجيلها صوتا وصورة وبثّها في حينها وحفظها بمختلف

الوسـائط لتبقى ما بقي النّاس، شـأنها شـأن الكلمة المكتوبة أو المصـوّرة، ولم يعد فيها فرصة للنّفي أو النّكران أو التّغيير أو التّراجع أو تحويل القصد أو النّية، ومن هنا تزداد أهمية الكلمة كشاهد، وتعظم مسؤولية قائلها أمام الله ثمّ أمام الرّأي العام، فضلا على أنّها عكست مستواه الفكري، وأعطت ملامح شخصيته وتديّنه وأخلاقه، وصنّفت مرتبته الإنسانية ومكانته الاجتماعية.

وفي موقف مشحون قد ينطفئ فيه نور العقل وتتولّـى العاطفة القيادة، أو في لحظة الانتصـار للذّات لا نحسـن فيها أدب الاختلاف والحوار، أو لتأكيد قناعتنا بشيء من التعصّب، وجعل السّـامعين يميلون إلى صفّنا ويؤمنون بفكرتنا؛ يُفسح المجال لكلّ أنواع الكلمات، فيخرج منّا كلاما قد يصـل إلى النّيل من الطرف الآخر، وقد يُسـهم في سيادة أسلوب الإثارة والتّهييج، حتّى أنّ بعضـهم لو عدت إليه بعدما قال ما قال لأنكر ما قال، واسـتغرب كيف تخرج منه مثل هذه الكلمات؟ وقد تفوّه بكلمات لا تُقبل في الشّرع ولا في الورع دفاعا وتعصّبا لرّ أيه.

وينتهي الموقف ويُختم الموضـوع وهو لا يحتاج كلّ هذا الهرج والمرج، لكن كلامنا لم ينته، فهو حجّة علينا أو لنا إلى يوم الدّين، وما أكثـر من تمنّـى أنّه صمت ولم يصدر عنه أيّ كلام! في لحظات الصّدق مع الذّات ومراجعة النّفس ومحاسبتها، لكن بعد فوات الأوان، وحينها ندرك تمام الإدراك معنـى الكلمة وما أدراك ما الكلمة!

الرّمادي.. أو المنطقة الوسطى

03 ديسمبر 2017

عندما نسمع الشّاعر نزار قبّاني وقد جزم حين قال: "لا توجد منطقة وسطى ما بين الجنّة والنّار" في قصيدته "إنّي خيّرتك فاختاري"، فإنّ في كلامه عذوبة وصورة فنّية بديعة، رغم ما أوجد من مسافة قصيّة وحكم لم يتجسّد فيه التّوازن بين النّقيضين، لكن علينا أن نتذكر أنّه شعر و"أعذب الشّعر أكذبه". ويتغيّر الأمر حين نسمع في حياتنا ومحيطنا عند البعض: "لا توجد منطقة وسطى ما بين الأسود والأبيض"، و أنّه لا وجود للرّمادي بين نصاعة الأبيض وقتامة الأسود.

وفي و اقع الحال وعلم الألوان توجد عدّة درجات لونية تنتج بين اللونين ومنهما، ويتحدّد عددها بمهارة المازج، أمّا العين ترى وتميّز كمًّا هائلاً من التدرّجات تعجز اليد عن تنفيذها، وهذه التدرّجات تمثّل جسرًا لتنتقل العين بيسر من النّقيض إلى النّقيض، ويُهوِّن عليها الحدّة اللونية وتجعلها أكثر توازنًا وراحةً، ولكم أن تتصوّروا كيف يكون حال العين حين الانتقال فجأة من الضّوء الوهّاج إلى الظلام الدّامس.

ومن يؤمن بأنّه لا وجود للرّمادي فقد عسّر على نفسه وحصرها بين خيارين لا ثالث لهما، وحكم على النّاس أحكامًا قاسية إمّا بياض ناصع أو سواد قاتم، وتغيب الوسطية التّي تمثّل التدرّجات النّاتجة من وبين الأبيض والأسود، وهي أشبه بالإنسان فهو لا يمثّل الخير كلّه - البياض - ولا الشّر كلّه - السواد.

وأحيانًا وإن كنّا لا نؤمن بمبدأ "الأسود والأبيض" - ولا وجود للرّمادي ـــ، فإنّنا نُبَرْمَجُ عليه في لحظة غفلة وتسليم، لنقف أمام الأسود أو الأبيض ونغفل عن بقية الخيارات؛ لتَحَكُّم خيارات مسبقة في اختيارنا، وقد أشار إلى ذلك الفيلسوف الألماني "تيودور أدورنو"[1]: "ليست الحرّية أن تختار بين الأسود والأبيض، بل أن تبتعد عن الاختيارات المحدّدة مسبقا"[2].

---

1 تيودور أدورنو (11-09-1903 / 06-09-1969): فيلسوف وعالم اجتماع وعالم نفس وموسيقي ألماني.

2 فاطمة الفلاحي: الحرية في فكر يكتنزه الورق. قرأت لهم، الحوار المتمدن، عدد: 2793، 08 أكتوبر 2009.

وهذا يعنـــي أن نبتعد عن الخيار المســبق الذي يمثّل خلفية للانطلاق في الحكم والاختيار، هذه الخلفية هي التــي تتجاهل المنطقة الوسطى ولم يبق أمامها إلّا الأســود أو الأبيض، أي أن تتحكّم فينا الثنائيات الضـدّية الـــمُؤدّية إلى أحكام التّجَنّي، والصّانعة للتطرّف والتعصّب.

والأكيد أن نمط التّربية والطّابع الثّقافي، وتأثيرات المحيط ومظاهر الوضـع العام مع عدم إهمال طبيعة الشّخصية، كلّها لها دخل في صناعة اختياراتنا التّــي تحدّد مدى اعتدالنا وتوازننا في الأحكام والعلاقات والسّلوكات المجسّـدة في الابتعاد عن نمطية الأسود والأبيض، والإيمان بالمنطقة الوسطى وتدرّجاتها الو اقعة بينهما، مع الإقرار بأنّ الأســود ليس لونًا منبوذا عند الجميع، ولا الأبيض لونًا محبّبًا عند الجميع، فلا نجعل من الأسـود العدو الدّائم ولا الأبيض الصّـديق الدّائم، حتّـــى لا نسقط في مطبّ جديد نصنّف فيه ما حولنا إلى "شياطين" أو "ملائكة"، ولن نتــرك لأنفسنا خطّا للرّجعة حين نريد الرّجوع لأنّ الزّمان كفيل بتغيير مو اقفنا.

وأنّ انتقالنا من أقصى اليســار إلى أقصى اليمين أو العكس يثيـــر دهشـة وغر ابة كل من شــهده، فلا مناص لنا من الوقوف على نفس المســافة بينهما والمرور على المنطقة الوســطى والاســتراحة عند اللون الرّمادي، لنضــمن لأنفســنا انتقالاً ســلسًــا مريحًا، أو موقفًا رزينًا متوازنًا، أو حكمًا وســطيًا لا نظلم فيه أحدا، ولكي لا نكون أشبه بمن كان صلبًا فكُسر ومن كان ليّنًا فعُصر، فالتّوازن مطلوب والتّوسط مرغوب والاعتدال محبوب، فالمنطقة الوسطى هي أسلم منطقة ننتقل عبرها بيسر لما نراه صلاحًا، لنُغَلِّبه وندعمه ونسعى مع السّاعين نحوه.

السّياحة البديلة 01

10 ديسمبر 2017

بالتّزامن مع انعقاد أشـــغال الملتقى الدّولي الثّاني حول دور الإعلام في تنمية السّـــياحة الصّــحراوية المنظّم من طرف جريدة "الجديد اليوميّ" وتحت الرّعاية السّامية لوزير السّياحة والصّناعة التّقليدية ووالي ولاية الوادي، وبمساهمة عدد من المؤسســات والهيئات، رأيت أن تكون "شـذرات ثقافية" مواكبة لهذا الحدث، ولأقـدّم رأيّـا علّـه يفيـد القطـاع، فوقع اختيـاري على أحـد محـاور الملتقى وهو "السّياحة البديلة".

وفي البداية علينا أن نُقرّ بأنّه لا مناص من تفعيل السّـــياحة وجعلها رافدا من روافد الاقتصاد، إن على المستوى المحلّي أو الوطنيّ، فهـي كفيلة بخلق حركية وتنشيط عدد من القطاعات الــمُلامسة لها، والمساهمة في تقليل نسبة بطالة اليد المهنية واليد المبدعة في مجال الصّناعات الفنّية الشّعبية التّقليدية.

وعندما أصبحت السّـياحة صـناعة تتطلّب ما تتطلّبه الصّـناعات المعقّدة من إمكانيات، بدأ التّفكيـــر في بديل عن السّـياحة التّقليدية يتمّ فيه توظيف كلّ عناصر المحيط ليحقّق أهدافا جديدة وفاعلة للمنتج والمستهلك، فظهر نوع جديد من السّياحة عُرف بـ"السّياحة البديلة".

وقد عُرف هذا المصـطلح منذ سـبعينيات القرن الماضي؛ جاء في الموسـوعة العالمية للسّـياحة التـي تصـدرها "المنّظمة العالمية للسّـياحة" UNWTO "أنّ السّـياحة البديلة هو تعريف يطلق عموما على شـتّى أصـناف التّرفيه والتّسـلية والخدمات السّـياحية المتماشـية مع قيم المحافظة على البيئة والهوّية الثّقافية والدّينية والـمُدِرّة طبعا لعائدات مهمّة، ليس على الشركات والوسطاء السّياحيين فحسب، بل حتّى على السّاكنة المحليّة المنتمية إلى بلدان الاستقبال"[1].

1 موقع المنظمة العالمية للسياحة UNWTO، www. unwto. org

وفي تعريف آخر أكثـر إيجازا: "هي السّياحة التـي تهتمّ بالتّوازن الايكولوجي وحماية البيئة وتتفادى الآثار السّليبة النّاجمة عن التّنمية السّياحية غير المخطّطة والتي تضرّ بالبيئة"[1] .

ولكي لا نتيه بين المفاهيم والمصطلحات فإنّ السّياحة البديلة فيما نقصده ونتمنّى تطبيقه على أرض الو اقع، هي السّياحة الـمُستدامة التـي ننهج فيها نهجا مغايرا للسّياحة التّقليدية المألوفة عند السوّاح والتـي لم تعد تستقطبهم، فراحوا يبحثون عن التميّـز واكتشـاف محيط يختلف عن محيطهم، وطبائع تختلف عمّا ألفوه، وثقـافـة غيـر ثقـافتهم، ومزيـد من البسـاطـة وحرّيـة الحركـة والتّنقـل والاسـتكشـاف، والرّغبـة في العيش على الطّبيعـة والاحتكاك بـالسّـكان المحلّيين وملامسـة عاداتهم وتقاليدهم، وفي هذا النّوع من السّياحة ضمان في اقتصاد المال، وحماية للبيئة، والمحافظة على المقدّرات الطبيعية.

وبهذا النّوع من السّياحة يمكن أن نحقّق عددا من الأهداف، منها:

- التّنويع الذي يعدّد الخيارات.
- التّقليل من تكلفة إنجاز البنيات التّحتية والهياكل.
- خلق التميّز الجاذب للسّواح.
- الدّفع بحركية التّنمية المحلّية.
- التّسويق لمناطق سياحية جديدة و إبراز جمالها.
- التّسويق لثقافتنا وتر اثنا المادّي وغير المادّي.
- إشراك العنصر البشري البعيد عن المر اكز الحضرية في صناعة السّياحة.
- النّهوض بمجال الخدمات وفتح سوق جديدة للصّناعات الحرفية والتّقليدية.

... يتبع ...

1 وزارة الاقتصـاد الإمار اتية، دليل المفاهيم والتعريفات السـياحية المتعارف عليها دوليا، سـلسـلة نشـر الوعي السياحي . الإصدار الخامس، ص 18.

السّياحة البديلة 02
المخيّمات الصّحراوية

17 ديسمبر 2017

تعتبـــر المخيّمات الصّـحراوية ركن من أركان السّـياحة البديلة، وحلّ من الحلول التــي تستوعب السّياحة الصّحراوية خاصّة الشّتوية والرّبيعية منها، ولا تكون فعّالة إلا إذا وظفت عناصــر محيطها كمادّة إنشــائية أو تزيينية على الأقل، واستغلّت الخامات المتوفّرة بالمنطقة مع احتــرام الطّابع الهندسي المحلّي، وكمثال على ذلك: يمكن إنشـاء المخيّم الصّحراوي بمنطقة وادي سـوف من مزيج بين بيوت الشّـعر، ومختلف أجزاء النّخيل، والجبس التّقليدي، مع إدخال محسّـنات شـبيهة تضــمن جودة الإنشـــاء وخصــوصــية المكان والقيمة الجمالية، لضــمان التّكلفة المنخفضة في الإنشاء والتــي ستنعكس حتما على سعر الخدمة أثناء الخدمة، وأن تكون بقية المستلزمات وكماليات الرَفَاه من نفس عناصر المحيط، ولعلّ ما نشـهده من فخامة في صناعة المستلزمات المكتبية والتجهيـز المنزلي من عصيّ جريد النّخيل لهو خير دليل وخير مثال.

وفي ظلّ محاصــرة المدينة - و أقصـــد مدينة الوادي - بالأحياء الجديدة والمســتثمرات الفلاحية لم يبق في بلد الرّمل ما يُسـتمتع به من الرّمل، ويتطلّب الأمر التّنقل مســافات طويلة يوميا للوصــول إلى فضـــاءات رملية نقية وبكر، ولهذا فلا مناص من التّفكير جدّيا في مساعدة المستثمرين لإنشاء مخيّمات صـــحراوية تقدّم الخدمة للمحلّيين والو افدين من مختلف ولايات الوطن والخارج.

ومن وجهة نظري المتواضــعة فإنّ نجاح المخيّمات الصّـحراوية تلتقي فيه جهود ودعم جميع الهيئات والإدارات ذات العلاقة بالسّياحة والصّناعة التّقليدية والثّقافة والتّربية والشّـباب والرّياضــة ومحافظة الغابات والإدارة المحلّية، خاصّــة البلدية فهـــي حلقة مهمّة من حيث الحيّـــز المكاني والمر افقة والمتابعة، ولا يتفعّل

دورها الكامل إلّا بتفعيل ما جاء في قانون البلدية، ومنه: "اتخاذ كلّ تدبير يرمي إلى توسيع قدراتها السّياحية وتشجّيع المتعاملين المعنيين باستغلالها"[1].

ومن الضّروري وفي إطار المادّة المذكورة آنفا أن تبعث البلدية مكتبا سياحيّا على ترابها تختاره له صيغة فعّالة لتسييره، هدفه التّنسيق والإعلام والتّوجيه، وخلق أنشطة سياحية وأخرى مكمّلة للسّياحة، تقام بالمخيّم الو اقع على ترابها، واستقطاب أنشطة القطاعات الأخرى؛ ليكون المخيّم ميدانا لها، ويكون المكتب السّياحيّ شريكا فعليّا في المخيّم في بعض المجالات، مثلا كتأسّيس متحف لما تزخر به المنطقة من قطع ومقتنيات تقليدية وأعمال تطبيقية وما توفّر في المحيط من عناصر جاذبة.

كذلك ضرورة انفتاح المخيّم على محيطه، كاستقبال الفعاليات الثّقافية المحلّية، وضيوف الملتقيات والتّظاهرات، والأفواج التّربوية والكشفية، وحتّى مواكب الأعراس، واستدعاء الأنشطة الممركزة بالمدينة ليكون لها نشاط جواري، خاصّة وأن أغلب البلديات لا تبرمج فيها الوصاية نشاطات بحجم ما يبرمج في المدن والمراكز الحضرية، ليكون المخيّم بديلا؛ لأنّ معظم البلديات لا تتوفّر على قاعات متعدّدة النّشاطات.

انتهى

---

1 المادة 122 من الفصل الثّالث من القانون رقم 11- 10 المؤرّخ في 20 رجب عام 1432هـ المو افق لـ 22 يونيو سنة 2011 المتعلق بالبلدية، المنشور بالجريدة الرسمية للجمهورية الجز ائرية، العدد: 37، بتاريخ: أول شعبان 1432هـ المو افق لـ 03 يوليو (جويلية) 2011، ص 18.

مسيرة تتويج لغة الضّاد

24 ديسمبر 2017

يحتفل العالم باليوم العالميّ للّغة العربية يوم 18 ديسمبر من كلّ سنة، وتمّ ترسيمه رسميّا في شهر أكتوبر سنة 2012 أثناء انعقاد الدّورة المئة والتّسعين للمجلس التّنفيذي لــ "اليونسكو"، وتمّ اختيار تاريخ 18 ديسمبر لكونه اليوم الذي أصدرت فيه الجمعية العامّة للأمم المتّحدة قرارا يحمل الرّقم: 3190، يقرّ إدخال اللّغة العربية ضمن اللّغات الرّسمية ولغات العمل في هيئة الأمم المتّحدة.

وللوصول إلى هذا التتويج الذي حظيت به اللّغة العربية على المستوى الرّسمي العالمي، وهي صاحبة تاج الجمال والشّمولية والمحاسن المتأصّلة فيها منذ عهد وجودها، كما قال عنها الشّاعر أحمد شوقي:

إِنَّ الَّذي مَلَأَ اللُغاتِ مَحاسِنًا.. . جَعَلَ الجَمالَ وَسَرَّهُ في الضّادِ[1]

وقد مرّت مسيرة اعتماد اليوم العالميّ للّغة العربية بمراحل نلخصّها:

- في يوم 04 ديسمبر 1954 تمّ ترجمة النّصوص والقرارات الصّادرة عن هيئة الأمم المتّحدة إلى اللّغة العربية، بعد ضغوط وجهود بُذلت من بعض الدّول العربية.

- منظّمة "اليونسكو" تستخدم اللّغة العربية في ندواتها ومؤتمراتها، وترجمة الوثائق والمنشورات الصّادرة عنها.

- في سنة 1968 تمّ اعتماد التّرجمة الفورية للّغة العربية.

- في سنة 1973 تمّ اعتماد اللّغة العربية كلغة شفوية في الأمم المتّحدة.

- تقدّمت الجزائر بطلب مع بعض الدّول العربية مثل العراق، الكويت، ليبيا، اليمن، السّعودية، مصر، وتونس لإدراج اللّغة العربية ضمن جدول أعمال الجمعية العامّة للأمم المتّحدة سنة 1974.

- أصبحت اللّغة العربية إحدى ستّ لغات معتمدة لدى الأمم المتّحدة سنة 1974، وهي: العربية، الفرنسية، الإنجليزية، الرّوسية، الإسبانية، والصّينية.

---

1 بعد سنتين من كتابة هذا العمود اكتشفت أن هذا البيت الشّعري تصدّر برنامج احتفالية اليونسكو بتاريخ: 18 ديسمبر 2019.

- الرّئيس الرّاحل هوّاري بومدين يلقي خطابه باللّغة العربية أمام أعضـــاء هيئة الأمم المتّحدة، فكان أوّل رئيس عربي يستعمل اللّغة العربية في هذا المكان[1].

- الهيئة الاســـتشـــارية للخطّة الدّولية لتّنمية الثّقافة العربية "أرابيا" التّابعة لـ "اليونسكو" تعتمد اليوم العالميّ للّغة العربية ليحتفل به كلّ سنة.

- أكثرمن أربعمئة مليونا يتكلّمون اللّغة العربية في العالم[2].

فليس غريبا على اللّغة العربية أن تحتلّ هذه المكانة العالمية وهي اللّغة القادرة على احتواء بعض ألفاظ اللّغات الأخرى، ودخول عالم الرّقمنة والوسـائط التّكنولوجية المتعدّدة التي عرفها عصرنا.

---

1 كان ذلك بتاريخ: 10 أفريل 1974.

2 ينظرعبد المومن تلايلف: 18 ديســمبر اليوم العالمي للغة العربية، مجلة الخريدة، العدد 01، شــهر جانفي 2016.

الشّيطنة. . أو "المكارثية"

31 ديسمبر 2017

الشّــيطنة في ظاهرها العام وضــمن ســياقها اللّغوي لا يمكن إبعادها أو فصلها عن مصدرها الأصلي وهو "الشّيطان" وعلى أرجــح الأقوال أنّ الشّيطان مشــتقّ من "شــطن" وشَــطَنَ عَنْهُ: بَعُدَ. الشــاطِنُ: الْبَعِيدُ عَنِ الْحَقِّ والْخَبِيثُ. وَالشَّــيْطَانُ: كُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ والإنس وَالدَّوَابِّ شَــيْطَانٌ، وتَشَــيْطَنَ الرَّجُلُ وشَيْطَن إذا صَارَكالشَّيْطان وفَعَل فِعْله[1].

والشّــيطان هو ممثّل الشــرّوكلّ ما ينطوي تحته من أفعال و أفكارفي حرب مستمرّة مع قوى الخيــر، والشّيطنة: هي إسقاط أفعال الشّيطان في صراعه مع الخيــرودوره التّضليلي على غيــره كالإنسان مثلا، وأسوأ صورة راسخة في أذهان النّاس لا يمكن تعديلها أوتغييرها هي صــورة الشّــيطان، فيكفي وصــف شــــخص بالشّــيطان، ليســتحضــرالنّاس تلك الصّــورة السّــيئة البشــعة الخبيثة وإلصــاقها بالموصوف.

أمّا الشّيطنة بمفهومها السّــياسي المعاصــرهي تخطيط مُمنهج يعتمد على النّيل من الآخروتقزيمه واتّهامه بتهم هو بريء منها في الغالب، أوهي محاولة صــياغة صورة ذهنية سلبية لدى الرّأي العام تجاه شخص أوجماعة أوتيّارما.

وقد اقتــرن مفهوم الشّيطنة بمصطلح "الــمكارثّية" كاتّجاه سياسي ظهرفي الولايات المتّحدة الأمريكية أســاســه شــيطنة الفكرالمعارض حين كان الصّــراع على أشدّه بين الرّأسمالية والشّيوعية، وينسب مصطلح "الــمكارثّية" إلى عضو مجلس الشّــيوخ الأمريكي "جوزيف ريموند مكارثي"[2] الذي قــاد حملة شــيطنة لعدد من الشّخصيات البارزة واتّهامها بالخيانة والولاء للشّيوعية.

---

1 ابن منظور: لسان العرب، دارصادر– بيروت، ط03، سنة 1414هـ، د ط، د ت، ج13، ص 238

2 جوزيف ريموند مكارثي: Joseph Raymond Mccarthy شيخ أمريكي من الحزب الجمهوري قاد ما بين (1950 ـــ 1954) حملة ضد العناصر اليسارية في الولايات المتحدة الأمريكية، اتهمه مجلس الشيوخ عام 1954 بانتهاج مسلك مخالف لتقاليد المجلس بسبب من حملته تلك التي عرفت نسبة إليه بـــ "المكارثية" والتي استهدفت

وبالرّغم من وفاة "جوزيف ريموند مكارثي" سنة 1957 ومحاولة إنهاء "المكارثّية" بالتصدّي لها والتجنّد ضدّها، إلا أنّ هذا المذهب لم ينته و انتشر ووُظّفت عدة وسائل لتجسّيده وعلى رأسها وسائل الإعلام، وأضحى سلاحا من الأسلحة المسخّرة لإضعاف الصّوت المخالف أو المعارض، كمرحلة أولى لإقناع النّاس وتهيئتهم لقبول المرحلة الموالية.

وبمحيطنا غلب مصطلح الشّيطنة عن "المكارثّية" وبقي له نفس الدّوروهو الصّراع من أجل التّموقع، وفي الغالب تغيب الأخلاق نهائيّا في صراع التّموقع؛ لأنّ الأمر متعلق بالمنفعة والمكاسب السّياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثّقافية وحتّى الدينية، ولا وصول لها إلّا بشيطنة الآخر المخالف، والظهور بمظهر الصّلاح والفلاح والبطل المنقذ.

وإن كان هذا النّوع من الشّيطنة أقلّ ضررا مما يحدث من شيطنة بين التّيارات والجماعات العاملة والمكوّنة للمجتمع، والتي ينجرّعنها تخلخل التّركيبة العامّة له، وتغلغل الصّراع بين أفراده و انتشار أساليب التّنابز والسّخرية والاستخفاف وتأجيج الخلاف، حتّى يصبح هذا المجتمع إلى الهوان والضّعف أقرب، وعن القوّة والتّماسك أبعد، ولقبول أطراف أخرى من خارجه أكثر استعدادا، ولطروحاتها و أفكارها أكثر تصديقا، فتتمكّن منه وتهيمن، وتلعب لعبة الشّيطنة على رموزه وأعلامه فيؤيد ويبارك لعبتها، وهكذا أصبحت الشّيطنة خطوة أساسية في أي مخطّط هدفه إسقاط مشروع ما، أو شخصية ما، أو مجتمع ما، أو دولة ما؛ لأنّ الشّيطنة هي صانعة التبرير للمُعترض، وصانعة الاقتناع للصديق المساند ليغيّر رأيه ويدخل في صفّ المشيطنين ثمّ المنخرطين ثم المُجنّدين العاملين لإقناع أطراف أخرى، ثمّ المُنفذّين وبحماس لمخطّط من كان عدوّهم.

التشهير بالعناصر اليسارية في المجلس من غير تحرّ أو تدقيق. (عزيزة فوال بابتي: موسوعة الأعلام ـــ العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية، ط01، سنة 2009، ج04، ص 198).

الطّبيعة ودرس الاختلاف

07 جانفي 2018

من طريف ما نعيشــه بمحيطنا أنّه لو أخذنا صــورة للشّــارع الذي نمرّ به يوميّا، لظهرت لنا صــورة الشّــارع المنقولة أجمل وأكثــر إبهارا من و اقع الشّــارع، والسرّ بسيط جدّا، وأنّ الصّورة المنقولة عن وعي أو عن غير وعي نتأملها وندقّق فيها النّظر بعقولنا ومشــاعرنا، أمّا الشّــارع في الو اقع فقد وقع لنا تطبيع مع ملامحه ومكوّناته المادّية والحسّية، فنمرّ ولا نتحسّس ما به من قيم، ولا يؤثر في الكثير منّا.

ويحدث هذا مع محيطنا عامّة، فإنّنا لا ندقّق النّظر ونتأمّل ونتحسّــس ما تحمله الطّبيعة من قيم يمكن الاســتفادة منها في حياتنا، ولعلّ أعلى قيمة هي قيمة الاختلاف بين عناصرها ومكوناتها لتضمن لنا الجمال والتّنوع والتميّـز والقدرة على التّمييز.

فكيف تكون الطبيعة لو كانت جميع عناصــرها بشــكل متطابق ولون موّحد؟ هل نســتطيع تمييــز عنصــر عن عنصــر آخر في هذه الحالة؟ وهل تطابق العناصر تضمن لنا التّنوع المطلوب؟

فالله ســبحانه وتعالى خلق الطّبيعة ولحكمة عظيمة خالف بين أشــكال عناصرها، فمن المستحيل أن نجد لعنصرين من صنفيــن مختلفين نفس الشّكل، وإن وُجد تشابه بينهما في الشّكل اختلف اللّون، وإن وجد تشابه في الشّكل واللّون وُجد اختلاف في الملمس، وإن وُجد تشابه في الشّكل واللّون والملمس وُجد اختلاف في الرّائحة، وإن وُجد تشــابه في الشّــكل واللّون والملمس والرّائحة وُجد اختلاف في المذاق إن كانت هذه العناصر تُذاق وتُؤكل.

ومن هذا الســرّ العظيم اســتمدت الطّبيعة جمالها، ودقّة صــنعتها وقمّة روعتها، وجلال منظرها، وحبكة تركيبها، وبدعة ترتيبها، وكمال تنوّعها وتكامل عناصرها، فكانت لوحة مستساغة للنّفس محبّبة للخاطر مريحة للعين، قلّما تجد من يسلم من قبضة جمالها، ويفلت من سحر تأثيرها.

وما أشــبه النّاس بالطّبيعة وما المانع أن يكونوا مثلها، وأن يكون اختلافهم جمال، وتنوّعهم كمال، ومثلما تتنوّع ملابسهم ومآكلهم ومشاربهم وأساليب حياتهم في تنوّع ضــروري و أكيد ومحمود تمليه طبيعة الحياة، تتنوّع آراءهم و أفكارهم ويمارســون حقّا مشــروعا من حقوقهم، فإنّ في اختلاف الفكر تكامل وتنوّع وفي التّكامل قوّة، وفي التنوّع جمال، و أكثر من ذلك كلّه تطبيق سنّة كونية، قال تعالى:

"وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ"[1].

وإذا كان الاختلاف ضــرورة حياة، فإنّ الاقتناع به ضــرورة للتّعايش في الحياة، والنّاس لا يُطالبون ولا يجبـــرون بأن يؤمنوا ويقتنعوا بما حولهم من آراء واختلاف فكريّ، لكن عليهم أن يحترموا هذا الاختلاف وأن يقبلوا المختلف عنهم، لكي لا يتحوّل ذلك إلى خلاف ومســاس بالعلاقات الإنســانية العامّة، ويكفي أن نســتوعب الدّرس من الطبيعة المحيطة بنا ففي اختلاف عناصــرها جمال باهر، وتكامل ظاهر.

1 سورة هود، الآية 118.

بين "العجوزة" و"العنز" وحدة ثقافية

14 جانفي 2018

من الرّوايات الواردة حول بداية رأس السّنة الأمازيغية بـ "ينّاير" الموافق لـ اليوم الثّاني عشر من جانفي، رواية ارتباطه بذكرى انتصار الملك الأمازيغي "شيشنق" أو "شاشناق" على الفراعنة في فترة حكم رمسيس الثّاني، وذلك قبل 950 سنة قبل الميلاد[1]، أي أنّ التّقويم الأمازيغي يزيد عن التّقويم الميلادي بـ 950 سنة، ولذلك فسنة 2018 ميلادي يقابلها سنة 2968 أمازيغي.

ومهما كانت الرّوايات فإنّ التّقويم الأمازيغي هو التّقويم الفلاحي[2] المرتبط بالطّبيعة ومواسم الزّرع والفلاحة، ولعلّ أسطورة "العجوزة" هي أكبر دليل، تقول الأسطورة وإن تعدّدت رواياتها بين منطقة وأخرى، لكن مضمونها العام:

أنّ عجوزة تكبّرت واستهانت بقوّة الطبيعة واستخفّت ببرد ينّاير وجبروته، وخرجت ترعى أغنامها، ولم يرض ينّاير بتحدّيها وصنيعها، فقرّر أن يستلف يوما من فورار[3] ليعاقب العجوزة، فقال: "يَا عَمِّي فُورَارْ سَلِّفْنِي لِيلَهْ وِنْهَارْ بَاشْ نُقْتُلْ العَجُوزَهْ فَمْ الْعَارْ" واستجاب له فورار، وحلّت عاصفة هوجاء شديدة البرد في ذلك اليوم قتلت العجوزة وحجّرتها على شكل منحوتة في أعلى قمّة جبال جرجرة.

وفي تشابه يصل حدّ التطابق تأتي أسطورة "قُرّة العنز" المعروفة في منطقة وادي سوف وربما كامل الجنوب الشّرقي الجزائريّ، وتقول الأسطورة:

---

1 أرى أن هذه الرواية فيها تناقض ولا تصدّقها الوقائع التّاريخية، لأنّ شيشنق لم يعاصر رمسيس الأول ولا رمسيس الثّاني ولا رمسيس الثّالث، لكون شيشنق الأوّل حكم بين (950 ـ 929 ق. م)، وشيشنق الثّاني حكم بين (887 ـ 885 ق. م)، وشيشنق الثّالث حكم بين (837 ـ 798 ق. م)، وشيشنق الرّابع حكم بين (798 ـ 785 ق. م)، وشيشنق الخامس توفّي سنة 740 ق. م، بينما حكم رمسيس الأوّل على الأرجح بين (1291 ـ 1290 ق. م)، ورمسيس الثّاني حكم بين (1279 ـ 1213 ق. م)، ورمسيس الثّالث حكم بين (1183 ـ 1152 ق. م)، وهذا يعني أنّ المدّة الفاصلة بين شيشنق ورمسيس الثّاني أكثر من قرنين، وهناك تباعد زمني كبير بين الأسرتين أسرة شيشنق وأسرة رمسيس.

2 التّقويم الفلاحيّ: تقويم شعبي له ارتباط وثيق بالمواسم الزراعية وحالة الطقس اعتمادا على الخبرات الشّعبية، وهو تقويم معروف ومنتشر ومعتمد من طرف شعوب المغرب العربي.

3 فورار: حسب التقويم الشعبي الفلاحي يبدأ يوم 14 فيفري وينتهي يوم 13 مارس الميلادي.

عند خروج ينّاير خرجت عنز وهي تضحك وتسخر من ينّاير لأنّه لم يقتلها ولم يسبّب لها البــرد أي ضرر، فقرّر ينّاير العودة إليها، ومن أجل ذلك قام باستلاف يوم من فورار، قائلا: "يَا مْعِيـزَةْ النَّارْ، نِتْسِلَّفْلِكْ نَهَارْ منْ فُورَارْ، نِرْمِي قْرُونِكْ ورَاءْ الدُّوَّارْ، يَلعْبُوا بِيهُمْ الصْغَارْ" وجاءت موجة برد قاسية قتلت العنــز كدرس لمن يتحدّى ينّاير وبرده، وسميت هذه الموجة "قرّة العنز" في التّقويم الشّعبي الفلاحيّ.

ويفسّر البعض أنّ "قــرّة" جاءت من الكلمة الفرنسية Guerre أي الحرب، في إشـارة إلى أنّ ينّاير قد أعلن الحرب عن العنـــز، والصّحيح كما جاء في قواميس اللّغة أنّ القُرُّ: البـرد عامّة، والقُرُّ في الشّتاء، والبـرد في الشّتاء والصّيف، يقال: هذا يوم ذو قرّ أي ذو برد، والقِرَّةُ: ما أصاب الإنسان وغيره من البرد[1].

ونلاحظ أنّ محتوى الأسطورتين واحد من حيث الحبك والمضمون والمغزى، وأنّ المورّد والمخيال الشّــعبي كأنّه واحد، وما اختلف هو البطل في الأســطورتين، في الأولى كانت العجوزة وفي الثّانية كانت العنـــز، وأنّ ينّاير الذي يمثل رأس السّـــنة الأمازيغية، هو نفسه ينّاير الذي يمثل رأس السّنة الفلاحية الشّعبية في وادي سوف والجنوب الشّــرقي الجزائري، باختلاف بســيط وهو: أنّ ينّاير في هذه المناطق يتأخّر عن ينّاير الأمازيغي بيومين، أي أنّه يدخل يوم الرّابع عشــر من جانفي بدل الثّاني عشر منه[2].

كمـا نلاحظ التّداخـل العميق بين ثقـافتين محلّيتين إلى حـدّ التّطابق فيمـا يخصّ التّقويم، وفي غيـــره من المجـالات لو بحثنا جيّدا، ومن المفيد أن نفرّق بين مفهومين: التداخل الثّقافي، والتّكامل الثّقافي.

فالتداخل الثّقافي يتّســم بالمحلّية والقرب والتّشــابه الكبيـــر من منظور ميداني، بينما هو نهج ونظرية "نظرية التداخل الثّقافي" من منظور فلســفي، تهدف إلى دعم الحوار عبـــر الثقافات، ومواجهة نزعات الانعزالية الذّاتية داخلها، أمّا

---

1 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط03، سنة 1414هـ، ج05، ص 82.

2 وهذا التاريخ فيه اختلاف لكونه يمثل رأس الســنة الفلاحية، منهم من اعتمده يوم 12 جانفي، ومنهم من اعتمده يوم 13 جانفي، ومنهم من اعتمده يوم 14 جانفي، والتاريخ الأخير هو المعتمد كرأس للســنة الفلاحية في منطقة وادي سوف وما يحاذيها من المناطق التّونسية.

التّكامل الثّقافي يتّسم بالتفاعل بين الثقافات في بعض عناصرها المتقاربة والتي تسهم في توثيق الرّوابط بين شعبين، وهو من منظور فلسفي نظرية جاءت بها "روث فلتون بندكت"[1] التي اعتبرت الثّقافة كالفرد، لا يجوز النّظر على أنّها سمات متفرقة أو مجموعة خصائص متناثرة.

وهذا المنظور العلمي يحيلنا إلى شيء مهمّ جدّا وأنّ الأمّة الجزائرية تتداخل وتتكامل ثقافتها فأسّست أمّة واحدة موحّدة، تنوّع تراثها وتعدّدت تقاليدها في انصهار ثقافي عزّز مقوّماتها ومتّن لُحمتها.

---

[1] روث فلتون بندكت (1887. 1948) باحثة وعالمة أمريكية في علم الإنسان والفولكلور.

التميّز ضرورة حياة

21 جانفي 2018

من طرائف ما قرأت أنّ فلّاحا يملك حمارين، وفي رحلة من رحلاته حمل على أحدهما ملحا وعلى الثّاني قدورا، وبعد مسافة من السّير تعب الحمار الحامل للملح تعبا شديدا لثقل ما على ظهره، عكس الحمار الثّاني الذي يحسّ بشيء من الخفّة والرّاحة، وفي الطريق مرّ الفلاح بمحاذاة بركة ماء فأسرع نحوها الحمار حامل الملح و انغمس بداخلها علّها تريحه وتنشّطه، وبالفعل خرج منها وهو أكثر حيوية لفقدان وزن الملح جرّاء ذوبانه في الماء، ولما رأى الحمار الثّاني ما أصبح فيه الحمار الأوّل من نشاط وخفّة بعد انغماسه في الماء، أسرع نحو البركة و انغمس فيها، وعند خروجه وجد نفسه في كرب شديد جرّاء الثّقل النّاتج عن امتلاء القدور بالماء.

والنّتيجة أنّ ما صلُح للحمار الأوّل أضرّ بالحمار الثّاني، والسّبب أنّ الحمار الثّاني أراد أن يكون نسخة من الحمار الأوّل من أجل الوصول إلى رغبة لم يستعمل فيها الوعي - والحيوان لا يملك وعيّا -

ويمكن إسقاط طريفة الحمارين على جملة من سلوكات النّاس ومحاولتهم أن يكونوا نسخا من الآخر دون وعي، ودون دراسة حيثيات ما يملكه الآخر من مهارات أو سمات صلُحت له وله وحده ولا تصلح لغيره، لأنّه هو من صنعها فأصبحت عنده أشبه بالممارسة اليومية أو العادة الواعية المتكرّرة بعفوية، فكانت له التميّز، وكما يقول أرسطو:

"نحن في الحقيقة ما نكرّر فعله، وبالتّالي فإنّ الامتياز ليس فعلا بل عادة"[1].

وفي نفس السّياق يؤكد "ول ديورانت" قائلا: "إنّنا عبارة عمّا نفعل دائما"[2].

---

1 فرانكلين سي. اشبي، وارثر آر. بيل: تبني التفوق، تر: معين محمد الإمام، مكتبة العبيكان، ط01، سنة 2004، ص 77.

2 ول ديورانت: قصة الفلسفة من افلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف. بيروت، ط06، سنة 1988، ص 88.

وإن كانت مظاهر التّميـــز تتجلّى في القدرات العقلية والمقدرة على التّحليل والاستنتاج ودقّة الملاحظة والتأمّل، وظهور الملكات الإبداعية والذّوق الرّفيع، وطول النّفس والمثابرة والاســتمرار، وكل هذه المظاهر من مقوّمات الشّـخصـية في جانبها التّربوي والمعرفي، فإنّ أهمّ مظاهر التّميـــز في حياتنا العامّة هي: الاســتقلالية في التّفكير والتحكّم في الموازنة بين العقل والعاطفة، لكي لا يكون الإنســـان مجرّدا كالآلة، أو العكس تجرّه عواطفه حتّى يكون تابعا وإمّعة، وأهمّ من ذلك كلّه عدم تقليد الآخر، لأنّ التّقليد دون وعي تكون نتيجته نقل التّجارب الفاشـــلة، والتّقليد بوعي هو ذوبان في الآخر، و أنت قادر أن تتميّـــز وتصل إلى تجارب ناجحة مثل تجاربه أو أفضـــل منها، فالأفضـــل أن تكون مؤثّرا لا متأثّرا، ومتبوعا لا تابعا، وجارًّا لا مجرورا، وفاعلا لا مفعولا به، وإن لم تكن كذلك فأنت مغلوب وتعيش لحظات الضّعف والهوان، وحينها ستطمح أن تصل قوة الغالب أو تكون نسخة منه، وهو ما يحدث ميدانيّا حين نرى مظاهر التّقليد في مأكلنا ومشـــربنا وملبســـنا ومظهرنا ومناســـباتنا ونحوها، اقتداء بمن نراه ونتوهّمه متميّـــزا، دون أن نعي بأنّ ما نقلّده يصلح لهم ولا يصلح لنا، فمن المنطق والعقل أن لا نغرس نخيل التّمر في "سيبيريا"، وأن لا نجلب الدبّ القطبـــي إلى صحراء الرّبع الخالي، وإن فعلنا فلن يكون للتميّـــز معناه، فلنجعل التّميـــز عادة راسخة دائمة في النفس تتجلّى فينا بعفوية وتلقائية بفعل تكرارها عن وعي تام، ولا تكون أشـــبه بفعل حمار القدور حين قلّد ما فعله حمار الملح.

"نجونا وربّ الكعبة"

28 جانفي 2018

بالرّغم من أنّ التّجاهل فنّ عظيم لا يتقنه إلّا حكماء النّاس، إلا أنّ تجاهل التّجاهل أحيانا لا يقصينا من زمرة الحكماء، حين لا نستطيع إغماض العين أو نمرّ مرور الكرام على ظواهر قد يكون لنا فيها رأي يُقوِّم وكلام يُصوِّب.

ومن هذه الظواهر ظاهرة الوصاية وتصيّد الأخطاء للمخطئين، والتّشهير بالمُخطئ واستصغار المُذنب، وكأنّ المُخطئ سيبقى مُخطئًا، والمُذنب سيعيش بقية أيّامه مُذنبًا، وفي الأصل هو محتاج إلى إنسانيتنا وتعاطفنا مع حاله، والتّقرّب منه لنساعده على الخروج ممّا هو فيه، لا أن نتركه يتخبّط فيما أوصته به نفسه وغلبته فيه شهوته ودفعه إليه رفقاء السّوء، أو نهجره ونسخر منه ليتمادى في طريق هو بنفسه يدرك ويعي بأنّه طريق لا يُوصل إلى محطّات الخير والنّجاة، وقد ينقلب إلى متعمّد ومُجاهر بما يفعل انتقاما من معاملتنا له، وحينها نكون قد عمّقنا الجرح وأصبح لنا ضلع فيما سقط فيه المُذنب.

وفي أحيان كثيرة بنيّة الإصلاح ينقلب إصلاحنا إلى مفسدة، حين نمارس الوصاية على من أردنا له إصلاحا، ونصوّر له أنفسنا أنّنا الملائكة البَرَرة وهو الشّيطان المارد، ونخاطبه بخطاب فيه من التّأنيب والتّوبيخ ما ينفّر أكثر ممّا يُقرِّب، ومن القسوة ما يُبعد أكثر ممّا يُدنِي، ومن نحن حتّى نكون بهذه القسوة، وربّنا عزّ وجلّ الذي سيحاسبنا ويحاسب المُذنب، هو القويّ القّاهر فوق عباده يصف نفسه بالرّحمان الرّحيم، ومن أسمائه الرّحمان الرّحيم.

جاء في "المختار من مناقب الأخيار" عن إبراهيم الأطروش قال: "كان معروف - ويقصد العالم الزّاهد معروف الكرخيّ - قاعدا على دجلة ببغداد، إذْ مرّ بنا أحداث في زورق يضربون الملاهي، ويشربون. فقال له أصحابه: أما ترى أنّ هؤلاء في هذا الماء يعصون الله؟ ادع الله عليهم. فرفع يديه إلى السّماء، فقال: إلهي وسيّدي، إنّي أسألك أن تفرِّحهم في الجنّة كما فرّحتهم في الدّنيا. فقال له أصحابه: إنّما قلنا: ادع الله

عليهم، ولم نقل ادع الله لهم. فقال: إذا فرَّحهم الله في الآخرة تاب عليهم، ولا يضرّكم شيء"[1].

وربّ سيئة أخجلت عاصيّا فأطاع، ورُبّ حسنة أعجبت طائعا فاغترّوضاع، فما خُلقنا لنصنّف النّاس أو نحكم عليهم، وما بأيدينا تقليب القلوب، وتوزيع التّوبة وغفران الذّنوب، وضمان الجنّة لفلان وجهنّم لعلّان، إنّما بأيدينا أن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة، والله وحده الحسيب الرّقيب ومقلّب القلوب وغافر الذّنوب لمن يشاء، وصدق الأعرابي الذي سأل ابن عبّاس - إن صحّت الرّواية – قائلا:

- من يحاسب النّاس يوم القيامة؟

- قال: الله.

- قال الأعرابيّ: نجونا وربّ الكعبة!

- قال: كيف؟

- قال إنّ الكريم إذا قدر غفر!

ولمّا كان الحساب من اختصاص الله نقول ما قال الأعرابيّ: نجونا وربّ الكعبة، لأنّ الله عادل لا يُظلم عنده أحد.

1 ابن الأثير: المختار من مناقب الأخيار، تحقيق وتعليق: مأمون الصاغرجي وعدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط01، سنة 2002، ج05، ص 44.

"مؤامرة الغرب الكبرى"

11 فيفري 2018

بالرّغم من أنّ البعض أصبح لا يؤمن بـــ "المؤامرة" كوسيلة وتخطيط غربي لتنفيذ الأهداف المختلفة السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثّقافية، إلا أنّ الحقيقة والواقع يثبت أنّ المؤامرة قائمة وقائمة بقوّة وهي تنفّذ في الميدان بكلّ دقّة وإحكام.

وما يثبت ذلك ما جاء في كتاب: "تقرير لوجانو - مؤامرة الغرب الكبرى" تعليق وتأليف الخبيرة الأمريكية في قضايا التّنمية "سوسان جورج"، وترجمة "محمد مستجير مصطفى"، وصدر بالعربية عن "دار سطور"[1]، ويعدّ من أهمّ الكتب المتضمّنة لفلسفة العولمة كمرحلة متطوّرة من اللّيبرالية، ومن أخطر الكتب لما يحمل من مخطّطات رهيبة وخطوات عملية لتكريس هيمنة النّظام اللّيبرالي الشّرس، والإبقاء على النّظام الرّأسمالي باعتباره - في نظرهم - أنجح ما أبدع العقل البشري في هذا الزّمان، وتثبيت العولمة وإرساء نظام السّوق الحرّة الذي ينزل بأعبائه على الطبقات الهشّة، ودحض ما جاءت به مبادئ العدالة الاقتصادية وتصوّرات العقود الاجتماعية.

وفي سرّية تامّة اجتمع مجموعة من العلماء في مختلف التخصّصات للإجابة على سؤال جوهري: كيف نحافظ على الرّأسمالية ونظام السّوق الحرّ اللّيبرالي؟

وكانت الإجابة مفزعة وخطيرة جدّا وعلى شكل تقرير مفصّل (تقرير لوجانو) - لوجانو مدينة سويسرية - وأهمّ ما جاء فيه خطوة عملية وجب تنفيذها وهي العدول عن إيقاف تزايد سكّان العالم عند رقم ستّة مليارات نسمة، والمرور إلى خطوة أخطر وأكثر فعالية في رأيهم وهي تخفيض هذا الرّقم إلى أربعة مليارات

---

1 للمزيد حول كتاب: "تقرير لوجانو ـ مؤامرة الغرب الكبرى" صحيفة الدستور، العدد 2049، بتاريخ الأربعاء 09 ربيع الأول 1429هـ الموافق لـ 16 أفريل 2008م، صحيفة الثورة عدد الأحد 27 أفريل 2008، ومجموعة كبيرة من المواقع فصلت في "تقرير لوجانو".

فقط، بدلا من المتوقّع سنة 2030 وهو ثمانية مليارات، أي التخلّص من ثلث سكّان العالم وبشتّى الوسائل والطرق والأساليب منها: خلق الحروب والصّراعات، وبثّ ثقافة العنف والتمرّد، ودعم الإرهاب، والتّشجيع على حرّية الإجهاض وفرض التّعقيم، ونشر الأوبئة والأمراض الفتّاكة.

وبهذه الأساليب البشعة يمكن لحضارتهم أن تستمرّ وتزدهر باستمرار سيادة العولمة، وسيطرة النّظام اللّيبرالي المتوحّش، وليس غريبا عليهم أن يكونوا وقودا للفتن، ومصدرا للأسلحة والأوبئة، ولن يجدوا لها مساحة أفضل من مساحة دول العالم الثّالث والدّول الفقيرة.

والأكيد وبعد قراءة هذا الكتاب أي "تقرير لوجانو - مؤامرة الغرب الكبرى"، ومطابقة ما جاء فيه على الوقائع والأحداث التي نعيشها اليوم، فإنّه لا يمكن فصلها عمّا جاء في مخطّطهم، وأن الأساليب المذكورة عندهم تبدو واضحة مجسّدة في بؤر التّوتر التي يشهدها عالمنا العربي والإسلامي اليوم، والظاهر أنّ خريطتنا اختيرت بعناية ودقّة لتكون النّقطة الذّهبية لتّطبيق ما ورد في "تقرير لوجانو"، وأنّ نظرية المؤامرة لا زال الوقت مبكّرا كي نزيحها من أذهاننا، بل قائمة متجلّية في الو اقع وبها حدث وما زال يحدث ما نشهده اليوم.

الشّهيد في بلد الشّهداء

18 فيفري 2018

لا اعتقد أن هناك شرف أعلى من الشّرف الذي ناله الشّهيد في ديننا؛ وقد صُنّف مع الأنبياء والصدّيقين والصّالحين، قال تعالى:

"وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً"[1].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلاَّ الشَّهِيدَ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى"[2].

وقال بعض العلماء: أنّه سمّي شهيدا لأنّ الله ورسوله وملائكته يشهدون له بالشّهادة، ولأنّه يشهد عند خروج روحه ما أعدّ له من الكرامة، ولأنّ ملائكة الرّحمة تشهده عند احتضاره وتشهد له بحسن الخاتمة، ولأنّه يُشهد له بالأمان من النّار.

وإن كان الشّهيد بهذه الأهمّية في الآخرة دار الخلود، فإنّ مكانته في الدّنيا لا تقلّ شأنا - ولو أنّه لا وجه للمقارنة - لأنّ تقديم النّفس لإعلاء كلمة الله وتحرير وطن من عدو للدّين والإنسانية، هو قرار شجاع لا يقدره كلّ النّاس، واختيار لعقول راجحة تزن الجبال، بل هو اصطفاء لمن أراد الله لهم شرف الدّنيا والآخرة.

وقد مَنَّ الله على الجزائر أن تعدّ الملايين من هؤلاء الشّرفاء الذين كتب الله لهم شرف الشّهادة ودار الخلود، وفخر الدّنيا والذّكر الممدود، متتاليا بين الأجيال ليعوا الدّرس ويكونوا خير خلف لخير سلف، وأن يثبتوا دائما أنّ الجزائر بلد الشّهداء والوفاء للشّهداء.

وإن اقترن اسم الجزائر ببلد المليون ونصف المليون شهيدا، فإن هذا العدد هو لشهداء الثّورة التّحريرية، أمّا العدد الحقيقي للشّهداء كما أقرّ عدد من

---

1 النساء، الآية 69.

2 الديوبندي: فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط01، سنة 2005، ج04، ص 157.

المؤرّخين هو: سبعة ملايين وسبعمئة ألف شهيدا، من أوّل مقاومة شعبية إلى غاية الاستقلال.

لكنّ المؤسف أنّ أغرب ما قرأت، ما كتب أحدهم: "ما كان الشّهداء ليستشهدوا لو اطّلعوا على وضعنا وحالنا". فكأنّ الشّهداء خوّلوه النّطق باسمهم، واطّلع على سرائرهم وما ينوون قوله، أو أنّ الشّهداء وقد أدّوا رسالتهم كاملة مطلوب منهم أن يصلحوا حالنا الذي صنعناه بأيدينا من أجل أطماع ومكاسب نهرول نحوها. فالشّهداء يا سيّدي أبرياء منّا وممّا نقول، وهم منشغلون عنّا بما رزقهم الله من حياة أبدية، فهم أحياء يرزقون عند ربّهم فرحين بما أعدّ لهم من خيرات وجنان، ولو أتيحت لهم فرصة العودة إلى الدّنيا لن يختاروا ما نتصارع حوله من متاع الدّنيا وزخرفها، بل سيختارون أن يقتلوا عشر مرّات لما رأوا من الكرامة، كما أخبرنا بذلك الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

والأكيد أنّ هؤلاء الـمُرجفين والـمُشككّين هم القلّة التي تمثّل الاستثناء، أمّا الأغلبية مُفضّل مُبجّل مُكرّم عندهم الشّهيد ومتمسكّون بدربه والوفاء لنهج الشّهيد في بلد الشّهداء.

التّشكيك. . التّفكيك

25 فيفري 2018

التّشــكيك هو تعاطي الشــكّ والارتياب من أجل الوصــول لأولى مراتب اليقين، وهذا نوع محبّب من الشــكّ، بل هو مطلوب عند أهل العلم وأطلقوا عليه "الشــكّ العلميّ" وعرّفوه على أنّه ممارســة التّشــكيك في ادعاءات تحتاج إلى أدلّة تجريبيّة.

وأكثــــر من ذلك ظهور اتجاه "الفلســفة الشــكوكية" الذي تزعمه حجّة الإسلام في عصره أبو حامد الغزالي، حين قال:

"إذ الشكوك هي الــمُوصلة إلى الحقّ. فمن لم يشكّ لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر، بقي في العمى والضّلال"[1].

ثم نهج نهجه الفيلســوف الفرنســي "رينيه ديكارت" الذي كان يشــكّ فيما توصّل إليه شخصيّا من حقائق ليبقيها قابلة للتّغيير في أيّ لحظة يجد إجابة أكثــر إقناعا لشكّ طرحه بنفسه على نفسه، وهو القائل:

"لا أقبل أيّ شيء على أنّه حقّ، ما لم أعرف بجلاء أنّه كذلك"[2].

فهذا النّوع من الشكّ أحدث تغييــرا في العلم والحضارة، وأرسى نمطا من التّفكيـــر يهدف للوصـول إلى الحقيقة العلمية البنّاءة التـــي تقنع ويقبلها العقل البشــري والفطرة السّــليمة، ويمارســه خاصّــة الخاصّــة من أهل العلم، وليس بالسّهولة حتّى يمارسه عامّة النّاس.

ويبتذل الشــكّ حين يمارســه عامّة النّاس وخصـوصـا أهل الأغراض وممن ينطلقون من خلفيات معينة لا تهدف للوصــول إلى حقائق بنّاءة وعلاجات شــافية، بل هدفها إيجاد الإدانة والإثارة من أجل ردّات فعل تنقص وتستخفّ بمن مورس في حقّه الشــكّ، فيتحوّل الشــكّ إلى التّشــكيك الذي هو أقرب إلى الحالة المرضــية،

---

1 أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، حققه وقدم له: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط01، سنة 1964م.

2 هلا رشيد أمون: منتخبات فلسفية ــ باقة من أبرز النصوص الفلسفية مترجمة بالعربية من الإنكليزية ــ دار النهضة العربية، ط01، سنة 2012، ص 97.

والـــمُتّسم بطابع الديمومة، ولا عجب أن نقف على التّشكيك يطال كلّ شيء من حولنا في أيّامنا، فلم يسـلم منه لا الثّابت ولا المتحوّل في شــتّى مظاهر الحياة، فلا السّياسة، ولا التّاريخ، ولا التّــراث بنوعيه المادّي واللّامادّي، ولا الثّقافة، ولا الرّموز والأعلام بمنأى عن آفة التّشــكيك، وأخطر من ذلك كلّه حين يصــل التّشــكيك إلى الهويّة والدّين وبعض علمائه، وإلى الوطن وبعض رموزه ومقوّماته.

والأكيد أن هذا النّوع من التّشكيك هو حالة غير صحّية، ونتيجته سلبية، وتتجاوز سـلبياته من مارســه ومن مُورس عليه إلى جيل زعزعنا فيه الثّقة، وزرعنا فيه التــــردّد، ونزعنا من صــدره تمجيد مقوّمات مجتمعه وأمّته، وأضــعفنا فيه التّعلق بمآثر وطنه وتوقير رموزه وتقديس مبادئه وقيمه، والاعتــراف بفضل رجاله وأعلامه.

عن نيّة أو حسن نيّة إنّنا نُسهم بتشكيكنا المُفرط في خلق جيل مهتزّ لا يثق في الــمُسَلَّمَات، فكيف سيثق في غيرها؟ ونهيــئ هذا الجيل ليكون مُستقبِل جيّد لأفكار غيرنا ممن يريدون استعبادنا فكريّا وثقافيّا، ومن مَسَكْتَ زمام تفكيــره فقد ملكت قلبه ومن ملكت قلبه أصبح من صفّك.

وإن كان طموحنا التّماســك من أجل لُحمة متينة وكتلة صــلبة تضــمن استمرارنا في هذا العالم المتزاحم فكريّا من أجل إثبات الذّات والتّأثير في الغير، فإنّ أولى خطوات ذلك هو الثّقة بالنّفس واحتـــرام النّفس، وليس التّشكيك الذي غدا يُرادف التّفكيك ونتيجته الحتمية التّفكيك.

النّقد والبدائل

04 مارس 2018

لقد تعلّمنا من فنّ التّربية أنّ أيّ نقد يجب أن يراعى فيه الجانب الوجداني لمن وُجّه له النّقد كمرحلة أولى، ثمّ تأتّي مرحلة التّقويم والتّصحيح التي تكون أكثر فعالية واستحسانا عندما نحسن توظيف المرحلة الأولى، وأهمّ مقوّمات التّقويم تقدّيم البديل المنطقي والمقبول ليقتنع به من أردنا إصلاح أخطائه.

ولذلك فمن البديهي وأنّ الخطأ يقابله التّقويم، والصّواب يقابله التّثمين، وإن كان التّثمين محبّب للنّفس دافع لها نحو بلوغ درجات الكمال، ومحفّز جيّد لإثارة ملكات الإبداع، فإنّ إظهار الخطأ وتقويمه تنفره النّفس وتأباه الخواطر لما ير افقه من إحساس بالدّونية والضّعف، ويزداد الأمر تعقيدا عندما لا يحسن الـمُقوّم استعمال أساليب الحكمة واللّين والرّفق من أجل الوصول لهدفه، والسّؤال الكبير هل كلّ النّاس وعامّتهم قادرون أن يضطلعوا بمهمّة النّقد والتّقويم و إيجاد البدائل؟

ولعلّ الجواب الميّسر، وأنّ لكلّ تخصّص أربابه والعارفين بأسراره، وهم وحدهم المخوّلون والقادرون على فكّ ألغازه والإحاطة بدقائقه وتفاصيله، ومكامن الخطأ والصّواب فيه، فهؤلاء هم أقدر من غيرهم على استصدار الحكم والتّصويب بالبديل المناسب، وهم من يعرفون في زماننا بالنّقاد.

والنّاقد هو الـمُشخّص والـمُتفحّص القادر على التّمييز بين الجيّد والرّديء، المُصنّف للسّلبيات والإيجابيات لأفعال أو إبداعات أو قرارات أو نحو ذلك، والنّاقد الحقيقي والنّاجح هو من يقترح الحلول ويقدمّها كبدائل.

وأهمّ ما يحتاج إليه النّاقد هو الموضوعية والحياديّة، بأن يتعامل مع ما وُجد أمامه من أقوال أو ظواهر أو سلوكات أو أعمال أو إبداعات دون البّحث عن مصدرها أو من أنتجها على الأقلّ في المرحلة الأولى؛ لأنّه قد يحتاج لاحقا إلى معرفة الـمُنشئ ومحيطه وظروفه، حتّى يكون نقده فاعلا بنّاءً، وتشخيصه أكثر نقاءً وصفاءً وبهاءً.

لكنّ ما نعيشـــه على أيّامنا أنّ النّقد أصـــبح مهنة من لا مهنة له أحيانا، وتحوّل مســـار النّقد من البناء والتّقويم إلى الخدش والتّقزيم، أو التّزكية والتّفخيم، وغدت منطلقاته من خلفيات متعدّدة تفتقد للمصـــداقية، ولا تنظر بعين الحكمة والرّوية، فلا غرابة أن نجد من ينقد شـــيئا لا يفقه في أســـراره، ولا يملك ميزانه ومعياره، وليس له من الذّوق وتحسّس الجمال، ولا التأمّل وسعة الصدر والخيال، حتّـــى يقف بنا على مواطن تبهجنا وتمتعنا، ومواقع الخلل والزّلل لتحاشـــيها وتصويبها.

والنّاتج؛ عمل لا يخلو من رداءة، ولا يصـــفو من دناءة، فلم يطاله نقد، ولم يحض بتصـــويب، أو كان نتيجة نقد زائف ضَـــــخَّم وفَخَّم أو حقَّر وقزَّم؛ مثلما ما نشـــهده في بعض الأعمال يقول منتجوها ونقّادها أنّها أدبية وفنّية، وهي لا تمتلك مقوّمات العمل الأدبي الفنّي المُبهج المؤثر، ومن الأعمال ما اسْتُخِفَّ بها نقديّا لكنها ظهرت مُبْهِرة ولها قيمتها عند المتلقّين.

فالنّقد وفي أيّ مجال كان، لا يؤتي ثماره إن لم يُختار أســـلوبه ومنهجه، ويكون أساسه العدل والإنصاف واحترام مشاعر المنشئ والمتلقّي، ومراعاة الأخلاق والأعراف العامّة، وإن لم يحقّق غايته المتمثّلة في طرح البدائل والوصول إلى مراتب الجودة والكمال.

الخطاب العقيم

29 أفريل 2018

الخطاب بشكل عامّ هو كلّ تعبير موجّه، بما يحمل من رسائل يبتغي المُرسل إيصالها والتّأثير بها على المُستقبِل أو المتلقّي، ليصبح الخطاب أكبر وأعمق من فعل تواصلي عادي وسيلته الكلام أو الإشارة أو الحركة أو أي لغة أخرى كيفما كان شكلها، بل هو تواصل تأثيري هدفه إقناع الغير والتّسلل بسلاسة إلى قلوبهم ليملكها إن نجح هذا الخطاب في أداء مهمته، وستكون النتيجة عكسية إن فشل في ذلك، فتنفر القلوب وترفض النّفوس ما وُجه لها، لوجود خلل ما مثل: أسلوب الخطاب، أو طبيعة الخطاب، أو موضوع الخطاب، أو سياق الخطاب ومكانه وزمانه، أو مناسبة الخطاب، أو من يمارس الخطاب، وقد أشار الفيلسوف "ميشيل فوكو" إلى هذا في كتابه "جنيالوجيا المعرفة":

"نعلم جيّدا أنّه ليس لنا الحقّ في قول كلّ شيء، ولا الحديث عن أيّ شيء، وفي أيّ مناسبة. . ثمّة قدسية الموضوع، وطقوس المقام، وحقّ الفضيلة، أو حقّ التفرّد الذي يتمتّع به المتحدّث"[1].

وإن تعدّد الخطاب في فكرته ووجهته ونوعيته وأسلوبه ومنهجه، فإن هدفه لا يخلو من محاولة السّيطرة والتّحكم في المشاعر وتوجيهها، ومحاولة تغيير الرّأي والموقف وفق ما يخطط له صاحب الخطاب، فيصبح هذا الخطاب سلطة، أو كوسيلة من أجل الحصول على السّلطة، وليس المقصود السّلطة بالمفهوم السّياسي الصّرف، بل السّلطة بمفهوم السّيطرة والهيمنة والتّوجيه، وقد تأخذ شكل السّلطة السّياسية الضّيقة؛ على العائلة أو القبيلة أو المجموعة المنضوية تحت تنظيم اجتماعي معين، أو الدّينية كمحاولة الوصول لقيادة تيّار و إقناع النّاس للالتفاف حوله، أو ثقافية كمحاولة التّمكين لوجهة ثقافية معينة بخطاب

---

1 ميشال فوكو: جنيالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر- المغرب، ط02، سنة 2008، ص 07.

لا هدف له غيـــر هذا الهدف، لأنّ الوحدة الثّقافية تُسـهّل السّـيطرة على المجتمع الذي اتّصف بها.

ولن يفلح الخطاب في بلوغ هذه الأهداف إن لم يختـــر بدقّة المكان والزّمان ونوع الرّسالة وطريقة توصيلها وخصوصية ومشاعر وثقافة الشّريحة الموجّهة لها أي المستقبلين، وأهمّ من ذلك كلّه صاحب الخطاب أي الـــمُرسل وما يملك من قدرات ومهارات في فنّ الخطاب، ومدى قبوله وارتياح النّاس له نفسـيّا وأخلاقيّا، لأنّ المجتمع أصـبح ذكيا ويدرك جيّدا من يخاطبه من أوّل كلماته و أين يتّجه وماذا يريد؟ ولكنّه يملك - أي المجتمع - من الأدب واحتـــرام الغيـــر ما يجعله يتجنّب المواجهة مع مخاطبه، رغم رفضه الدّاخلي المكتوم للخطاب ومُمَارسِه، حتّـى أنّهم قالوا في الأمثال: "خُذُوا بأقوُالِهم ولا تأخذُوا بأفعَالِهم"، وهذا المثل يشير إلى أمر هام وهام جدّا، وهو غياب القدوة خاصّة في الخطاب الدّيني الـــمُؤَسّس على الاقتداء، لأنّ الخطاب الدّيني مختلف عن غيـره لملامسته لعاطفة جاهزة للتّفاعل السّريع، ولحاجته إلى المثل الذي يوفّر كثيـــرا من الوقت والجهد والكلام الموجّه، فالخطاب بالأعمال أبلغ من الخطاب بالأقوال، كما يقول حسن البصري: "جالس من تكلمك أعماله، ولا تجالس من يخاطبك مقاله"[1]، وببسـاطة شـديدة لا نظنّ أنّ كلام الأب الـــمُدخّن الذي يحذر ابنه من تعاطي التّدخين سيحدث أثرا ملموسا في قلب الابن، ولا نظنّ أن من مارس الغشّ سيؤثر في النّاس حين ينهاهم عن الغشّ.

وعليه فالخطاب الموجّه لنا لمراجعة أنفســنا وإصـلاح حالنا، هو في أمسّ الحاجة للمراجعة والإصلاح، وأن تجسّده الأفعال التــي تُغنــي عن الأقوال، ولن ينجح هذا الخطاب إلّا إذا شملت المراجعة والإصلاح من يمارسونه، لأنّ النّاس لم يعد يقنعهم الخطاب بقدر حاجتهم إلى القدوة، وإن غابت القدوة سـيكون ويظلّ خطابنا عقيما.

---

1 الحارثي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصـف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصـم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط02، سنة 2005، ج01، ص 271.

كيف تصبح صحفيّا في يومين؟

06 ماي 2018

عاد بي الزّمن إلى عنفوان الشّباب، وشدّني الحنين إلى أيّام خوالي كانت فيها حرارة الشّباب متوهّجة، وشعلة الطّموح مُتَّقِدة يمكنها أن تسوقني بكل يسر إلى ما أثبت به ذاتي، وأحقّق به أمنيات يمكن أن تكون رعناء جنفاء، و أنقاد بسرعة وراء أوهام هي أشبه بالسّراب المنعكس بأعين العطشى.

وبالرّغم من ذلك عندما كنت في الثّانوية وفي سنّ كنت فيها أشبه بريشة في مهبّ الرّيح، لكن إلى حد الآن لم أجد جو ابا كافيا شافيا حول صمودي وثباتي أمام عاصفة عصفت بالزّملاء تمثّلت في كتاب مصوّرتداول بينهم تحت عنوان: "كيف تصبح مليونيرا في شهر؟"، والغريب لم يستهوني هذا الكتاب وسخرت ممن سارع إلى اقتنائه ومطالعته وتساءلت عن مستوى مؤلفه.

تذكّرت هذه الذّكريات وراجعت تلك اللحظات حين أصبحت أعيشها و اقعا ملموسا، وحين تحقّق حدس مؤلف الكتاب وغدا من الممكن أن يصبح الإنسان مليونيرا في شهر، وأغرب من ذلك أن يكون في زماننا قاصّا أديبا في شهر، وشاعرا في أسبوع، وأغرب من الغر ابة أن يصبح صحفيا في يومين، والأغرب من كل الغر ائب السّابقة أن يعتقد فعلا أنّه صحفي ومن حقه أن يكرّم في اليوم العالمي لحرّية التّعبيروالصّحافة.

وكلّ القضية أنّ البعض يعتقد رغم محدودية مستواه الدّراسي أنّه إن استفاد من تكوين مركّزومكثّف في تقنية من تقنيات الصّحافة، في دورة قصيرة لا تتجاوزعدّة ساعات، وتسلّم له شهادة للمشاركة أصبح صحفيا، وربّما كان للدّعاية المحفّزة والمُرغّبة في الاشتراك دورفي ترسيخ هذه القناعة، فيتوهّم الطّامحون أنّ الشّهادة معتمدة، لأنّه في الغالب وفي مثل هذه الدورات تتعاطى مع فئة تريد أن تجد لنفسها مكانا تحت الشّمس، ومن النّادر أن تكون فئة باحثة عن تكوين أكاديمي؛ لعدم حصولها على مؤهلات تخوّل لها الدّخول إلى معاهد علوم الإعلام والاتّصال بالجامعات للاستفادة من تكوين مهني واحترافي.

فمن لا يحسن الكتابة وفنّيات التّعاطي مع النّص مهما كان نوع هذا النّص، لا يمكن أن يكون صـــحفيا ولو درس في معاهد الصّحافة المتخصّصة. فالصّحفي أشـبه بالمهندس المعماري لن يسـتقيم حاله مع الرّسـم والتّصـميم المعماري إن لم يملك قدرا كافيا من الذّوق والثّقافة الفنّية التـــي تباعد بينه وبين التّصـميمات الصـمّاء التـــي نراها في بعض مبانينا، فهل نتصـوّر أن نكوّن مهندسـا معماريّا في أسبوع أو شهر أو موسم؟ ونقبلها في تكوين صحفي - كما يتوهم البعض - استخفافا بهذه المهنة.

فالصّحفي الحقيقي يدرك جيّدا معنـى التّكوين ومشقّته من خلال ما بذله في مساره الدّراسي من جهد علمي، وما تلقّاه من معلومات وخبرات نظرية وتطبيقية تؤهله بأن ينطلق في عمله، وهو مؤمن بأن لا يكتمل تكوينه إلّا بالممارســة والتّجربة في الميدان، وهل الصّحفي الحقيقي غبي لهذه الدّرجة حتّى يخسر من عمره كلّ هذه السـنين؟ وكان بإمكانه الحصـول على الشـهادة في دورة مكثفة وقصـيرة، وهل الأمم التـــي تبنـــي المعاهد والجامعات المتخصّـصـة وترسـم الخطط والمناهج وتسـتورد المعارف الجديدة في عالم الاتّصال والإعلام والصّحافة لا تحسن صنعا؟ .

ولســت هنا أتحدث عن دورات الرّســكلة، ودورات تعليم تقنيّات محدّدة ملحقة بعالم الصّحافة بأنواعها، بل عن دورات كيف تصبح صحفيا في يومين؟

نحن طرف وعلينا مسؤولية

13 ماي 2018

في حدود علمي أنّ الخبرات الإنسانية قديمها وحديثها تصنّف من حيث النّوع والموضوع إلى صنفين، فإن كانت عقلية وتخضع للدّراسة والتّجريب، تصنّف ضمن العلوم وتسمّى علما، وإن كانت وجدانية تخضع للمهارة وتهدف إلى مخاطبة الحسّ تصنّف ضمن الفنون وتسمّى فنّا، إلّا التّربية فيمكن أن نسمّيها علما، وهو علم التّربية أو البيداغوجيا هذا المصطلح اليوناني الذي يعني العبد المر افق للأطفال في المدرسة، ويمكن أن نسمّيها فنّا أي فنّ التّربية لما تتطلب هذه العملية من مهارة وحذق أثناء الممارسة لكونها تخاطب الحسّ والوجدان، وتصنع الإنسان وتبني شخصيته السّوية في مختلف جو انبها وأطوارها.

وعندما كانت التّربية بهذه الأهمّية، ومع تعقيدات الحياة وتشعّبها جاءت الدّولة لتتولّى جانبا هامّا من العملية التّربوية ولتّكريس الفلسفة الفكرية لها، بمجموعة من القواعد والإجراءات والتّنظيمات التي تسيّرها، ومجموعة من النّظم والمعارف والمناهج التي تستهدفها، ولن تنجح إن لم يشترك الأفراد والهيئات في تفعيلها، ولذلك سمّيت "المنظومة التّربوية".

والمنظومة - في جلّ قواميس اللّغة - من النّظم الذي يعني صفَ الخرز أو اللّؤلؤ في الخيط أو السّلك، أي جعل حبّاته متراصّة مصطفّة متتالية، ومنها جاء نظم الشّعر أي صفّ الكلمات ورصّها لتعطي الصّورة الشّعرية، وهكذا سمّي نظم الخرز بالعقد أو المنظومة، وسمي نظم الشّعر وتركيب الكلمات بالمنظومة الشّعرية.

وما أشبه المنظومة التّربوية بمنظومة العقد إن فُقدت خرزة تشوّه العقد، وما أشبه المنظومة التّربوية بالمنظومة الشّعرية إن حذفنا كلمة من البيت فإن المعنى يختلّ والمبنى يعتلّ، والوزن يعطب والإيقاع يذهب ولم يعد شعرا.

ولا يمكن أن نتصوّر منظومة تربوية ناجحة وقد وقع الخلل في سلسلة أطر افها الفاعلة، وغابت من سلكها حبّات لؤلؤ أفقدتها بريقها وجمالها ومقوّمات

كمالها، لأنّ المنظومة التـــي تراصّــت حبّاتها، وتكاملت عناصــرها، يكون حظّها في النّجاح أكبر، ونتائج حصادها أثمر، وتأثيرها على المجتمع أبلغ.

وبغضّ النّظر عن مواطن الخلل لأنّه موضوع يحتاج إلى دراسات ودراسات، فإنّ كلّ عنصــر في المنظومة له دوره، فلا يمكن أن نغفل دور الأســرة الأســاســي في إنجاح المنظومة التّربوية، أو تقاعســها وتنويب المدرســة والمعلّم والمناهج للإحلال محلّها، والأصل أنّه كلما وقع الخلل ازداد خوف الأسـرة وعظُمت مسـؤوليتها لتحمي الأولاد وتحصّـنهم تربويا، لكنّ الو اقع عكس ذلك حيث يتحدّث ربّ الأســرة عن كلّ شــيء في المنظومة التّربوية، من أعلى هرم وصــاية في التّربية إلى آخر عنصــر قاعدي وهو المعلّم والتّلميذ، إلّا أن يتحدّث عن دوره ويعـــي واجبه لا يزال بعيدا، وكمثال بســيط ونحن في آخر الموســم الدّراســي يعجز ربّ الأســرة عن إقناع ابنه بإرجاع كراريســه وكتبه إلى البيت لتبقى أرشـيفا ومرجعا، أو تُعطى للغيــر صـدقة جارية، لنجد هذه الكراريس وربّما بعض من الكتب ممزّقة أمام المؤســســات التّربوية في منظر مُشــين يعكس حالنا التّعيس؛ حين ندوس لغتنا وربّما آيات وأحاديث حَوَتها أوراق الكراريس والكتب المتناثرة، واللّوم كالعادة ســيكون على الأطراف الأخرى، وينسى الجميع أنَنا طرف وعلينا مسؤولية.

من الاختلاف إلى الصّراع

20 ماي 2018

لسنا في حاجة إلى الاجتهاد كثيرا في إجلاء مفهوم الاختلاف، لأنّ الطبيعة التي نعيش فيها أغنتنا بمظاهر ميدانية كثيرة يتجسّد فيها الاختلاف الذي لن تستقيم حياتنا بدونه، وأوّلها أشكال العناصر والموجودات، وثانيها ألوانها وملامسها، وثالثها رائحتها وذوقها إن كانت تُشمّ وتُؤكل.

زد على ذلك هل تستقيم حياتنا وكلّ ما حولنا بشكل واحد أو بلون واحد؟ وهل تستمرّ حياتنا بوجود ليل دون نهار أو العكس؟ وبوجود جدب وقحط وجفاف دون مطر؟ وبوجود صحو دون رياح، وبرد دون دفء؟

فالاختلاف ضرورة حياة، فمنذ وجدت البشرية لم تخلو من اختلاف في بِنيتها، بين التكتّل العائلي أو العشائري أو القبلي وحين تطوّرت وصلت إلى تكتّل الوطن والأمّة، كما لا تخلو من رؤى فلسفية تسوس بها حياتها في مختلف الجوانب، هي خلاصة فكرها وثقافتها وخصوصيتها التي اختلفت بها عن الغير، وكلّما كانت الأمم أكثر نضجا كلّما احترمت سنن الاختلاف والتّعايش مع الآخر، وكلّما وقع الاختلال خاصة في الفكر تحوّل الاختلاف المحمود إلى صراع منبوذ.

فالصّراع وإن كان على مستوى النّفس هو حالة انفعالية مؤلمة تنتج عن النزاع بين الرغبات المتضادّة وإشباع الحاجات، فكيف سيكون لو اشتدّ الصّراع بين أمم أو جماعات؟ لأنّ الصّراع في عمومه و أبسط معانيه هو الخصومة والنّزاع والمنافسة والمشادّة، وأوّل مظاهره انحدار الأخلاق والسّطو على الشّرائع والأعراف، والتّهاوي نحو استعمال كلّ الوسائل النّظيفة والقذرة لإدارته.

ويتدنّى مستوى الصّراع أكثر حين يكون بين مجموعات تحمل نفس القيم والمبادئ السّامية من دين ولغة ووطن وأصل وعرق، وتسعى لتحقيق نفس الأهداف، ليشغلها الصّراع فيما بينها وتتآكل من الدّاخل، وتتناسى الهدف وتتجاهل العدو وتتغافل عن الرهان الحقيقي، والأغرب من ذلك أنّ كلّ مجموعة تخلق لنفسها المبرّرات وتصوغ الحجج المُلَمِّعة لما تقوم به، وهي أوّل مقتنع بأنّها

حجج واهية، لكنّ التّعصــب ورؤية الطريق الأوحد، وملكية الحقيقة الـــمُطلقة، فعلت فعلتها وأصدرت أحكامها ليصبح لسان الحال: نحن الصّلاح وغيرنا الفساد، نحن الحقّ وغيرنا الباطل، نحن الخيـــر وغيرنا الشّــر، بل نحن الملائكة وغيرنا الشّياطين!

ولعلّ أوّل متضــرّر من صــراع هذه المجموعات هو الهدف الذي تتبنّاه كلّ مجموعة، لأنّ الأهداف السّــامية لا تتحقّق بالســلوكات المتدنّية، ولأنّ المقدّس لا يباح في استعماله المدّنس، ولأنّ نظافة الوسيلة تؤكد نظافة المراد والمبتغى.

لقد علمنا التّاريخ أنّه إذا احتدم الصّـراع تُنسى كلّ المبادئ والقيم بما فيها الدّين والمصــلحة العليا، ويتحوّل الصّــراع إلى إثبات للوجود، وحبّ للهيمنة، و انتصار للذّات، والظهور بمظهر البطل الـمُنقذ، والـمُحرّر الفذ، والنّتيجة لا ينتصر الطرفان المتصــارعان لأنّ الأهداف خرجت عن مســارها، وانهارت الأخلاق، وغاب المثل والقدوة، ولا ننتظر من المجتمع أن يؤازر ويحتضــن ويؤمن بفكر مجموعات تحوّل فيها الاختلاف إلى صراع ثمّ إلى تناحر في المرحلة الموالية..

الصّعود إلى الأسفل

27 ماي 2018

و أنا أهمّ بكتابة هذا العمود بعنو انه المثيـر والمتناقض والـمُحيل إلى سؤال كبيــــر: هل من المعقول أنّ يتمّ الصّــعود إلى الأســفل؟ وللإجابة تذكّرت الرّســام الهولنـدي "موريتس كورنيليس إيشــر"[1] الـذي أجـاب بطريقتـه الـذّكيـة عن هـذا السـؤال، بتصميمه الثلاثي الأبعاد لسلّم يبدو الصّعود فيه نزول إلى الأسفل، وكان هذا الرّســام أحد روّاد تمثيل المفارقات العجيبة اســتنادا إلى علم الرّياضـيات حتّى أنّ أغلب لوحاته تبدو تركيباتها مستحيلة.

إن كان هذا على مســتوى فنّ التّصــميم والبصـريات والتّلاعب بالأشــكال، فهل يمكن أن يتجسّــد "الصّـعود إلى الأسـفل" فعليّا في و اقعنا؟ والإجابة المباشـرة والسّــريعة من الممكن جدّا أن نشــهد ونشــاهد من الصّــاعدين على درجات السّــلم يظنون أنفسهم في اتجاه القمّة لكن سيكتشفون أنّهم في درجات السّلم السّفلى.

وللتمثيل على ذلك فإنّ النموذج في تاريخ جلّ الحضـارات التــي سـادت ثمّ بادت؛ في حالتها الطبيعية سـتصـل القمّة بتطوّرها ورقيّها ويمكن أن تسـتمرّ في القمّة لمدّة أطول إن توازن فيـها الجـانب المـادّي مع الجـانب الرّوحي، لكن انهيـارهـا مرتبط بانحدارها الأخلاقي، وحينها تبدأ عملية الصّعود إلى الأسفل.

وقس ذلك على الأفراد والجماعات فإنّ اتجاه الصّعود والوصول إلى القمّة مرهون على الأقل بانتشار وتداول وتفعيل القيم الإنسانية الكبرى: الحقّ، الجمال، الخيـــر، التّســامح، التّعاون، العدل، الحرّية، والتّعايش. . .، وهي نفس القيم التي نصّت عليها كلّ الأديان والشّر ائع الوضعية، ووحدها الضّامنة لأخلقة مسار الأفراد والجماعات، والتّوازن بين المادّي والرّوحي في أيّ تطوّر، فإنّ تغلّب وســيطر الجانب

---

1 موريتس كورنيليس إيشر: هو رسام هولندي ولد سنة 1898، ويعرف بلوحاته المستوحاة من علم الرياضيات مما جعله ر ائدا في مجال تمثيل المفارقات الرياضـــية عن طريق الفن. وتظهر في لوحاته العديد من التركيبات التي تخالف المنطق وتبدو وكأنها مستحيلة، ومحاولات استكشاف اللانهاية والعمارة وقضايا التبليط الرياضية، توفي سنة 1972 .

المادّي المتوحّش، تقزّم الجانب الرّوحيّ الـمُوازِن، وحينها تبدأ عملية الصّعود إلى الأسفل.

ودِيننا الإسلامي أشمل الأديان من حيث القيم الإنسانية وقبول الآخر والتّوازن بين المادّي والرّوحي وتزكية النّفوس وأخلقة الحياة العامّة، حتّى أنّ عدد الآيات الواردة في القرآن الكريم حول الآداب والأخلاق أضعاف مضاعفة لعدد الآيات الواردة في العبادات[1]، لأنّ أداء العبادات لن يتمّ على أكمل وجه إن لم يتوفّر محيط يساعد على أدائها، محيط محكوم بأخلاق وتسوده آداب هي من صلب العبادة، بل هي عبادة لمن نوى نيّتها، فلا يمكن الفصل بين العبادة والأخلاق.

ولذلك لا نستحسن ولا نرتاح لمن نقصت أخلاقه وإن كثرت عبادته، وفي الحالة العكسية نستأنس بمن عُرف بأخلاقه ولو قلّت عبادته، لأنّ العبادة أثرها فرديّ ومنفعتها ذاتية، بينما الأخلاق أثرها جمعيّ ومنفعتها عامّة، والدّليل أنّه كلّما سادت الأخلاق في مجتمع إلّا وكان أكثر نضجا وتنظيما ومنفعة، وكلّما تلاشت الأخلاق حلّت الفوضى وتدهورت العلاقات الاجتماعية، وتطاول الصّغير عن الكبير، والمأمّور عن الأمير، والمحكوم عن الحاكم، وسادت لغة الاستخفاف والإسفاف والهمز واللّمز ونبذ الآخر، والتّشكيك في المقدّس والسّكوت عن المدنّس، والتّطاول عن الأعلام وتقزيم أهل الفضل والإحسان، ويعدّون ذلك من الانفتاح والحرّية والتّحضر والمدنية، وفي حقيقته هو انهيار أخلاقي، بل هو الصّعود إلى الأسفل.

---

1 عدد آيات القرآن الكريم هو: 6236 آية، منها: 1504 آية حول الآداب والأخلاق، و110 آية في العبادات.

زمن التّصديق

30 ديسمبر 2018

تميّــز الإنسان عن غيــره من المخلوقات بالعقل، بل هو التّكريم الذي حباه الله به، فالعقل ميزان نزن به الصّحيح من الخاطئ، والهدى من الضّلال، والصّدق من الكذب، والجمال من القبح، والسّليم من المعتل، فهو الضّامن لخروجنا سالمين من المآزق التـــي تخالف المنطق والفطرة الســليمتين، عكس العاطفة التي تتحكّم فيها ظروف محيطة قد تضعفها وقد تُهيّجها فنصدر أحكاما خاطئة، وسلوكات غيــر سوية، وننساق وراء المؤثّرات التي لا تعكس حالنا، وقد نفقد فيها إرادتنا.

وعندما يغيب أو نُغَيِّب العقل يحدث كل شــيء، وأوّل ما يحدث أن يصـــبح الإنسان تابعا لغيــره، يُتحكّم في سلوكه ومو اقفه، بل يصبح كالإسفنج يمتصّ الماء دون تمييـــز نوعه، أعذب كان أم آسن؟ ويفقد ملكة النّقد والتّمحيص فيُصدّق ما يُلقى أمامه دون نقاش، مع ما تصــنعه وســائل عصــرنا المتعدّدة من مؤثّرات ومغالطات استسلم لها بعض من النّاس وأصبح التّصديق ديدنهم، والانسياق وراء تيّارها سلطة يقعون تحت وطأتها.

والظّاهر أنّ ظاهرة التّصـــديق دون تمحيص واســتعمال للعقل، ظاهرة قديمة تعود إلى زمن بعيد لم تكن فيه وســائل التّأثير بما عليه اليوم، فقد أورد ابن الجوزي في كتابه "القُصَّــاصِ والـــمُذَكِّرِين" ونقلا عن مجموعة من الرّوّاة آخرهم "عثمان الورّاق" قال:

رأيت العتّابيّ يأكل خبـــزا على الطّريق بباب الشّــام، فقلت له: ويحك! أما تســتحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنّا في دار فيها بقر أكنت تحتشــم أن تأكل وهي تراك؟ قال: فقلت: لا. قال: فاصبر حتّــى أعلمك أنّهم بقر، فقام فوعظ وقصّ حتّــى كثُــر الزّحام عليه. ثمّ قال لهم: روي لنا من غيـــر وجه أن من بلغ لســانه أرنبة أنفه لم

يدخل النّار. قال: فما بقي منهم أحد إلا أخرج لسـانه يومئ به نحو أرنبته ويقدّره هل يبلغها. فلمّا تفرّقوا قال لي العُتّابيُّ: ألم أخبرك أنّهم بقر؟[1]

والرّاجح أنّ العتّابيّ هو الشّـاعر أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيّوب العتابي التّغلبي (135هـ - 220هـ)[2] كاتب وشاعر عاصر الخليفة العبّاسي المأمون (170هـ - 218هـ)، وهذا دليل قاطع على أنّ ما رواه ابن الجوزي وقع في العصر العبّاسي، وهو عصـر الحضـارة و انفجار العلم والمعرفة، لكن عندما تمّ تهييج العاطفة، انطفى نور العلم ونجـح العتّابيّ في تغييب عقول الحاضرين، وسيطر على بصائرهم بطريقته، فصدّقوا ما قال بكلّ سهولة، وحاول كلّ منهم وضع لسانه في أرنبة أنفه، مما جعلهم أشبه بالبقر في سلوكهم هذا، لأنّ البقر من يضع لسانه في أرنبة أنفه.

ونحن نعيش عصـر العلوم التّقنية والدّقيقة وعالم الرّقمنة، ما زال يعيش بيننا العتّابيّ لكن تغيرت وسائله وِفق ما يقتضيه العصر، فأصبحت الأحداث أكثر تنميقا وأشـدّ تزويقا لتكون أكثـر تصـديقا، ولا يهم مصـدرها ومن صـنعوها، ولمن صـنعوها، وما يُراد منها، لكن يكفي وأنّ وسـائل إعلامية وقع تأثيرها علينا لنصـدّق ونحن نهرب من عقولنا، ولذلك صنّفوا الإعلام بأنّه سلطة رابعة، وقد حان الوقت أن نعيد ترتيب السّـلطة الرّابعة إلى السّـلطة الأولى أو الثّانية، بعد الدّور الهائل الذي تلعبه في تشـكيل وتوجيه الرّأي العام في عصـرنا الذي نعيشـه، وقدرتها على إقناع النّاس في تحويل الخطأ إلى صـواب، والصّـواب إلى خطأ، وتمويه الحقيقة لنصدّقها دون نقاش.

1 ابن الجوزي: القصاص والمذكرين، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي – بيـروت، ط01، سنة 1983، ص ص 319 320.

2 قال عنه الزركلي صاحب الأعلام: هو كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر. وهو من أهل الشام. كان ينزل قنسرين، وسكن بغداد، فمدح هارون الرّشيد وآخرين. ورُمي بالزندقة، فطلبه الرّشـيد فهرب إلى اليمن، فسـعى الفضـل بن يحيى البرمكي بأخذ الأمان له من الرّشـيد، فأمنّه، وصنف كتبا، منها: فنون الحكم، الآداب، الخيل، الأجواد، والألفاظ.

من الدّيمقراطية إلى "الشّعبُوقراطية"

03 مارس 2019

الدّيمقراطية كنظام سياسيّ واجتماعيّ، وشكل من أشكال الحكم يشارك فيه جميع المواطنين، عُرفت منذ القديم عند اليونان وتعني عندهم: "حكم الشّعب"، وجاءت من تركيب الكلمتين "ديموس" وتعني الشّعب، و"كراتوس" وتعني الحكم، وبتعبير أشمل هي "حكم الشّعب لنفسه". فكيف للشّعب أن يحكم نفسه؟

والجواب بسيط أن يحكم الشّعب عن طريق ممثّليه الذين يختارهم، وبمعنى أدّق الذين اختارهم عن طريق الانتخاب، فالـمُنتخب هو صوت الشّعب، والحامل لانشغالاته، والمعبّر عن آماله، والسّاعي لحلّ مشاكله ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويكفيه شرفا الاجتهاد والسّعي.

فإن لم يكن الـمُنتخب كذلك فمن يمثّل إذن؟ هل يمثّل ذاته ولا يعدّ وجوده تمثيلا للشّعب بقدر ما هو تمثيل لنفسه ومصالحه وحزبه؟ وإن حدث هذا يتحوّل إلى طبقة أخرى غير طبقة الشّعب، ليصنّف في طبقة النّخبة، وبه يتحوّل الحكم من النّظام الدّيمقراطي القائم على التّمثيل الشّعبي، إلى النّظام الأرستقراطي القائم على تمثيل النّخبة للنّخبة أي "حكم النّخبة"، وحينها نعود إلى ديمقراطية "أثينا" القديمة التي منحت الممارسة الدّيمقراطية لفئة النّخبة من الرجال الأحرار، واستبعاد العبيد والنّساء والعامّة من المشاركة السّياسية.

ويبدو أنّنا نمارس الدّيمقراطية بمفهومها المعاصر وتقنياتها ووسائلها الحديثة، ويتجلّى ذلك في بعض نتائجها كإخراج وتعيين منتخبين في مختلف المجالس ومن عمق المجتمع ومن مختلف الطبقات الشّعبية، لكن تسقط صفة الشّعبية عن البعض منهم - إن لم نقل الكثير - بمجرّد التّنصيب، ويصنّفوا أنفسهم تصنيفا آخر، ضمن الطّبقات العليا وطبقات أصحاب الامتيازات، أيّ النّخبة في برجها العاجي العالي، والتي تطلّ من فوق بازدراء واستخفاف لعامّة النّاس في أحيان كثيرة، وتراهم كالعبيد في ديمقراطية أثينا القديمة.

ففي و اقع الحال نرى ممثّل الشّعب ينقطع عن الشّعب بمجرّد إعلان نتائج الانتخاب والفوز، يستمدّ شرعيته من الشّعب وقوّته السّلطوية بالشّعب، ولا يوظّف هذه القوّة والشّرعية في الدّفاع عن مصالح من أمدّوه بذلك، وحينها يحدث الخلل وأنّ الشّعب لم يعد مُمَثلا، ولا تصل كلمته، ولا يُرفع انشغاله، ولا يُصغى لآرائه.

ومن الاختلالات الأخرى: هل نتائج التّمثيل ستفرز تمثيلا لكلّ فئة من فئات المجتمع؟ والجواب: لا، ويعود ذلك في الأصل إلى مرحلة التّرشيح، حيث يلعب الولاء الحزبي وبعض الحسابات الأخرى لعبتها، فيتمّ تجاوز التّمثيل المتنوّع بتنوّع فئات الشّعب، وهو الانحدار السّياسي الذي جعل النّخب بمختلف أصنافها تفرّ من الممارسة السّياسية، ولا تقدّم نفسها كبديل.

وحينها ومهما طال الصّبر، سيبحث الشّعب عن طريقة بديلة تضمن إسماع صوته، ومشاركته في تسيير شؤونه، من منطلق غيرته عن المصلحة العامّة، وهو ما جعل الكثير من الدّول تلجأ إلى "الدّيمقراطية التّشاركية" لتضمن مشاركة العامّة في تسيير شؤون الدّولة، وهذا دليل قاطع على وجود الخلل التّمثيلي الو اقع بين الشّعب وممثّليه.

وإن لم تأت الدّيمقراطيات بثمارها، ومهما طال الصّبر وتعقّل العقلاء، ورُعيت مصالح الجماعة والوطن، ستأتي ساعة لا خيار ولا بديل فيها عن الخروج للشّارع وتطبيق آخر نوع من الدّيمقراطيات للتّعبير عن الرّأي وهي: ديمقراطية الشّعب، أو يمكن أن أسمّيها: "الشّعبُوقراطية".

الوطن للجميع وفوق الجميع

17 مارس 2019

الوطن بمفهومه الحديث والفلسفيّ هو أعمق مما جاءت به المعاجم التّراثية، فقد تحوّل من مفهوم المكان المادّي المتعارف عليه، إلى الشّعور الوجداني والارتباط بالأرض الأم التي تعيش عليها الجماعة لفترة تاريخيّة طويلة، وتكوّنت بينها رابطة الهويّة التي جعلت من الأفراد لحمة واحدة، وإن اختلفوا فإنّهم يتّفقون على الحدّ الأدنى من التّعايش والاحترام، والفاصل بين الجميع الدستور والقانون، أمّا الرّابط المشترك هو العاطفة والشّعور نحو الوطن، والإيمان بالقيم والثّوابت وأداء الواجب؛ كالمحافظة عليه والافتخار بالانتماء إليه، والعمل لصالحه، وتغليب مصلحته وجعلها قيمة عليا.

وفي الأصل أنّ مبدأ التّعايش وقبول الآخر، يتجسّد في مصطلح "المواطنة" والتي من مبادئها عدم التّمييز بين أبناء الوطن الواحد وسكّانه الذين ينتمون إليه على أساس الدّين أو اللّغة أو العنصر أو الجنس. وبمفهوم آخر أنّ المواطنين يتساوون في حقوق وامتيازات تكفلها لهم الدّولة، مقابل الواجبات المترتّبة عليهم، ومن هنا يتداخل في ذهن البعض مفهوم الوطن مع مفهوم المواطنة، فيتقوّى عندهم الشّعور بحبّ الوطن حين الحصول على الحقوق، أو العكس، وأحيانا يربط البعض بين مفهوم الوطن ومفهوم السّلطة والحاكم، حتّى أن بعضهم يخطئ ويختزل الوطن في الحاكم، وكأنّ الحاكم أبقى من الوطن.

فالوطن بمفهومه العميق فوق الحاكم والمحكوم، وكلاهما وجدا للمحافظة عليه وعلى مقوّماته، ولا خيار لهما إلّا التّوافق لضمان حد أدنى يضمن المصلحة العليا، ولعلّ مسؤولية الحاكم أعظم من مسؤولية المحكوم حين تطفو الخلافات بين الطرفين، وقد تتحوّل - لا قدّر الله - إلى تصادم حين تُصمّ الآذان، لتكون النّتيجة الحتمية الضّعف والهزّات التي تطال الدّولة ومقوّماتها، وفي ضعف الدّولة خسارة كبرى للوطن بحاكمه ومحكومه.

والحفاظ على الوطن يتطلّب الكثيــــر من الصّــبر والحكمة والتّضــحية، وتقـديم التّنـازلات من الطرفين الحـاكم والمحكوم، كمـا يتطلّـب الفطنـة والـدّهـاء، خاصّـة في الأوقات الحرجة، ونحن في زمن يتسّـم بالفتن والتّموقع والنّفوذ، والأيادي التي تصنع الصّراعات بما فيها الصّراعات الفكرية وهي الأخطر، وأسوأ الصّراعات ما كان داخليّا، والتّاريخ يعلّمنا الدّرس عندما يحيلنا إلى تاريخ الدّولة الأموية؛ وقد أسّـسـها وقادها عند انطلاقتها الدّاهية "معاوية بن أبي سـفيان" صـاحب أشـهر حكمة سياسية تمثلت في قيادة الدّولة بشعرة، كما قال:

"لو أنّ بينـــي وبين النّاس شــعرة ما انقطعت أبدا، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها"[1].

لكن عندما عصــفت الصّــراعات الدّاخلية، وضــعُف الوازع الوطني بين الفئات المتصـارعة انقطعت "شـعرة معاوية"، ولم تصـمد ولو كانت حبلا سـميكا، وسـقط الوطن، ولم تعمّر الدّولة الأموية أكثــر من تسـعين سـنة، و اتجه الأمويون شرقا وغربا يبحثون عن وطن، فكانت الأندلس الوطن البديل لبعضهم.

وإن كان الأمر مختلف في زماننا من حيث طبيعة الحكم ونظرياته الحديثة، والزّمن والنّضـج وتدبير شـؤون السّـياسـة، لكن "شـعرة معاوية" تبقى أشـهر مبدأ سـياســي بين الحاكم والمحكوم، وإضــافة إلى هذا المبدأ: لا مناص من التّواصــل والتّحـاور وتغليـب الحكمـة والعقـل إن كنّـا بـالفعـل نؤمن أنّ الوطن للجميع وفوق الجميع.

1 ابن عبد ربّه: العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط01، سنة 1983هـ، ج01، ص 25.

الموازنة والحوار هما الحلّ

31 مارس 2019

الأكيد أنّ لكلّ خلاف قواسم مشتركة بين طرفيه، تضمن الحلّ حين يجسّد هذين الطرفين التّنازلات التـي تضمن الحدّ الأدنى من التّوافق، لتّحقيق مصلحة عليا أوّلا، ثمّ حفظ ماء الوجه والمخرج المشـرّف الحافظ لكرامة الجميع ثانيا، خصوصا إذا تعلّق الأمر بخلاف بين طرفين ما يجمعها أكثر مما يفرّقهما.

وقد خطّ لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم درسا بليغا في الموازنة والحوار والتّنازل من أجل المصالح العامّة والجوهرية في "صلح الحديبية" حين همّ في السنة السّادسة للهجرة أن يعتمر، فمنعته قريش وأرسلوا إليه "سهيل بن عمرو" خطيب قريش وأحد أشـرافهم، وهو من قاتل مع قريش في غزوة بدر، للاتّفاق والتّفاوض فلم يرفضه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو العدوّ في ذلك الزّمن، وأكثـر من ذلك؛ قبِل بحذف البسملة من وثيقة الصّلح، وكُتب بدلها "باسمك اللهمّ"، وحذف وصف الرّسالة الملازم لاسمه الكريم "محمّد رسول الله"، ويكتفي باسم "محمّد بن عبد الله"[1]، ونظرته إلى الهدف الأسمى من وراء الهدنة؛ وهو توفير مزيد من الوقت لنشـر الدّعوة، والإعداد للمواعيد الحاسمة، ونتيجة ذلك مكنّه الله ثمّ بحنكته من دخول مكّة فاتحا منتصرا، وأن يمنح الأمان لمفاوضه في "صلح الحديبية"، ويُسْلِم المفاوض "سـهيل بن عمرو" ويخرج مع المسـلمين في أوّل غزوة بعد فتح مكّة وهي غزوة "حُنين".

ففي إدارة الصّـراعات والخلافات لا يوجد ما هو ثابت، يختلف الموقف باختلاف المعطيات المحيطة، وباختلاف الزّمن والتّحولات التّكتيكية المرافقة، وأهمّ من ذلك كلّه: أين تكمن المصـلحة، ونعني بذلك المصـلحة العليا للجماعة، لتغليب المصلحة وِفق منهج الموازنة الذي أقرّه العلماء، والمتمثل في:

- تُقدّم المصلحة المتيقّنة على المصلحة المظنونة أو الموهومة.

- تُقدم المصلحة الكبيرة على المصلحة الصّغيرة.

1 للمزيد ينظر صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الهلال .بيروت، ط01، د ت، ص 312 وما تلاها.

- تُقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.
- تُقدم مصلحة الكثرة على مصلحة القِلَّة.
- تُقدم المصلحة الدّائمة على المصلحة العارضة أو المنقطعة.
- تُقدم المصلحة الجوهرية والأساسية على المصلحة الشّكلية والهامشية.
- تُقدم المصلحة المستقبلية القوّية على المصلحة الآنية الضّعيفة[1].

ومن البديهي ومهما احتدم الخلاف والصّراع وتمسّك كلّ طرف بمو اقفه، دون مناقشة صواب أو خطأ المو اقف عند الطرفين، فإنّ الزّمن كفيل بالرّجوع إلى الحوار كحلّ وحيد وأوحد للخروج من حالة التّصلب والانسداد، والدّاهية الحاذق من لا يصل إلى الحوار في لحظات ضُعفه، بل يسابق الزّمن ليوازن ويرجّح لتحقيق المصلحة، وهو يملك أدوات إدارة الحوار، ويمثّل الندّ لمحاوره.

وإن كان الحوار يجسّد الحلّ، فإنّه لا يمنح للمحاور كلّ ما يطلب ويتمنّى، لكن الموازنة لترجيح ما يصلح للجميع، يجعل العقلاء يقبلون بالجزء وهم في طريق الوصول إلى الكلّ، وقد يغيب الجزء والكلّ حين تغيب التّنازلات الواجب على جميع الأطراف تقديمها، لأنّ ذلك يحتاج إلى تضحية ومسؤولية وصبر لا يقدرلها إلّا عقلاء وحكماء النّاس.

1 أسامة إبراهيم حافظ، وعاصم عبد الماجد محمد: مبادرة وقف العنف: رؤية و اقعية ونظرية شرعية، مكتبة العبيكان، ط01، سنة 2004، ص ص 28 29.

في المُسَلَّمات تُنسى الخلافات

19 ماي 2019

بينما كنت أقلّب صفحات كتاب "البداية والنّهاية" لابن كثير استوقفتني بجزئه الثّامن معلومة بل حادثة تستوجب الوقوف عندها، وقرّرت فورا أن تكون ضمن عمود اليوم، لكونها رائعة من روائع أدب الاختلاف، ودرسا بليغا في تناسي الخلافات مهما وصلت ذروتها أمام مُسَلّمة من المُسَلَّمات، كمُسَلّمة سلامة الوطن ورفض التدخّل في شؤونه، أو الاستعانة بالأجنبي من أجل مغالبة سياسية بين طرفين من نفس الوطن والأمّة.

وفحوى الحادثة أنّ قيصر الرّوم "هرقل" لما رأى اشتغال "معاوية بن أبي سفيان" في خلافه مع "علي بن أبي طالب" حول الحكم، اقترب بجيوش كبيرة من بلاد المسلمين، طمعا في النّيل منها، فكتب إليه معاوية:

"والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحنّ أنا وابن عمّي عليك ولأخرجنّك من جميع بلادك، ولأضيّقنّ عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الرّوم وانكفّ، وبعث يطلب الهدنة"[1].

وفي رواية أخرى لم نقف على مصدرها، بل وردت في محاضرة، أنّه لما بلغ قيصر الرّوم الخلاف بين "معاوية بن أبي سفيان" و"علي بن أبي طالب" ذروته، أرسل قيصر الرّوم "هرقل" برسالة إلى معاوية يقول فيها:

"علمنا بما وقع بينكم وبين علي بن أبي طالب، وإنّا لنرى أنّكم أحقّ منه بالخلافة لحنكتكم السّياسية، فلو أمرتني أرسلت لك جيشا أوّله عندك وآخره عندي يأتون إليك برأس عليّ".

فلما وصل كتاب "هرقل" لمعاويةَ، طلب من كاتبه أن يخطّ على ظهر الرّقعة، قائلا:

1 ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط01، سنة 1988، ج08، ص 127.

"أخان تشاجرا فما بالك تدخل فيما بينهما وتعلي من نباحك؟ إن لم تُخرِس نباحك، أرسلت إليك بجيش أوّله عندك وآخره عندي، يأتوني برأسك أقدّمه لعليّ".

ولنا أن نلاحظ جيّدا خبث العدو عندما طمع في بلاد المسلمين، كيف يصنع الشّرخ بين الأخوين ويشعل الحرب بينهما بقوله: "و إنّا لنرى أنّكم أحقّ منه بالخلافة لحنكتكم السّياسية"، لكنّ معاوية وهو الدّاهية السّياسي والمحنّك كما عُرف عنه في التّاريخ، لم يغرّه هذا التّحميش وهذا الوقوف المطلق والمساند له، بل ازداد تمسكّا بابن بلده و ابن دينه و ابن قبيلته و ابن عائلته، ونسي خلافه مع عليّ لأنّ الأمر تعلّق بقيمة عليا، ومُسَلّمة من الـمُسَلَّمات لا تحتاج إلى تفلسف، أو تبرير يُؤنَس به لقبول مساعدة العدو للمغالبة والانتصار على الصّديق مهما بلغ الخلاف أوّجه.

فيردّ معاوية على "هرقل" انتصارا لله والوطن والدّين والأخوة والدّم، ونبذا لكلب ينبح، قائلا: "يأتوني برأسك أقدّمه لعلي"، فيصبح من يختلف معه معاوية صديقا حميما يستحقّ الهدايا العظيمة، وأعظمها رأس "هرقل" الطّامع في بلد المختلفين.

فلو أسقطنا هذه الحادثة على حالنا اليوم، والخلافات يعجّ بها محيطنا، خاصّة السّياسية منها، فهل نصمد أمام عروض العدو للانتصار على من يخالفنا من إخواننا؟ وهل ننسى خلافاتنا عندما يتعلّق الأمر بمُسَلّمة من الـمُسَلَّمات كالوطن؟ .

نطلب منهم ما لم نقم به!

26 ماي 2019

مهما تطورت النّظريات التّربوية الحديثة، والأساليب البيداغوجية التي اعتمدت على دراسات دقيقة وتجارب في الميدان، فإنّ التّربية بالقدوة أو التّربية بالمثال ما زالت هي الرّائدة لنجاعتها من جهة؛ وكما ثبت ذلك على مستوى التّطبيق، ولأنّها مقبولة ومحبّبة للمتلقّي من جهة أخرى، فالقدوة تجعل الرّسالة تنساب سلسة رطبة مستحوذة على مشاعر المتلقّي، متسلّلة إلى نفسه دون مقاومة أو ردّة فعل.

ويُعرف أسلوب التّربية بالقدوة بأسلوب "النّمذجة" أي تعديل سلوك الشّخص عن طريق تقديم النّموذج الذي يحمل فكرة معينة نريد إيصالها، أو تقويم سلوكات خاطئة دون أن نُشعر المتلقّي أو نظهر له ما يحرجه أثناء المعالجة، خاصة إذا تعلّق الأمر بالطفل في سنّ المراهقة، وهو ما يغفل عنه بعض المربّين حيث يعتمدون أسلوب النّصح وكثرة الكلام والخطاب الوعظي، الذي لا يحبّذه ويستسيغه المراهق، ومنهم من يرفضه جملة وتفصيلا خاصّة إذا تكرّر، وكان من الممكن أن يستغنوا عن الأقوال بالأفعال، لأنّ الأفعال أعلى صوتا وأشدّ تأثيرا من الأقوال، وقد سبقنا إلى ذلك ومنذ أمد بعيد الخليفة عمر بن الخطّاب حين قال:

"كونوا دعاة إلى الله و أنتم صامتون، فقيل كيف ذلك؟ قال: بأخلاقكم"[1].

وأسوق هنا مثالا من و اقع هذه الأيّام عن أسلوب التّربية ب- "النّمذجة" أو القدوة، وإمكانية تطبيقه لمعالجة ظاهرة وعادة سيئة يمارسها تلاميذنا خاصّة في مرحلة التّعليم المتوسّط حيث تعصف بهم المراهقة في هذا الطّور، وهي تمزيق الكراريس إثر انتهاء الامتحان الفصليّ الأخير، ليبدو المشهد مؤلما يعكس ما وصلت إليه تربيتنا في مختلف أوساطها، وتبيّن مدى استخفافنا بمجموعة من القيم العليا، ما كنّا لنراها تداس لو قمنا بواجبنا التّربوي، كلّ من موقعه في عقد المنظومة التّربوية.

1 محمد فهمي: لا تحيدوا عن طريق الحق، دار النشر يسطرون، ط01، سنة 2017، ص 57.

وإذا كان مشـهد الأوراق الممزّقة المتناثرة والمتطايرة في الفضـاء العام مقزّزا من منظور بيئي، فإنّه ينبئ عن خلل فكري خطير، يتجسّد في مدى احتقارنا للغتنا التـي تداس تحت الأرجل، واستهتارنا بقيمنا الدّينية، والبسملة تتصدّر الكراريس، والآيات القرآنية الواردة في دروس بعض المواد ملقاة في أماكن نجاستها أكثـر من طُهرها، أليس هذا كاف بأنّ نبذل أقصـى جهودنا، ونوظف ما نملك من خبـرات تربوية للحدّ من هذا الفعل العاكس لأحوالنا السّيئة؟

وبطبيعة الحال أنّ المسـؤولية التّربوية يتحمّلها الجميع، لكنّها على عاتق الولي أثقل، فهل قدّم الولي يوما كراريس - ولو كرّاسـة واحدة - مشـواره الدّراسـي لأبنائه؟ ليقدّم لهم بذلك درسـا تطبيقيّا ويكون القدوة والنّموذج لهم، وهل طلب الولي يوما من ابنه المحافظة على كراريسـه لتبقى ذكرى، أو تقديمها هدية وصـدقة لمن أراد الاسـتعانة بها من اللّاحقين؟ وهل وفّر الولي علبة أرشـيف لابنه لتصـفيف وثائقه الدّراسـية للرّجوع إليها في كلّ وقت وحين؟ ويتعلّم من خلالها قيمة الأرشـفة والحفاظ على وسائله الدّراسية المختلفة بما فيها الكراريس، فلو قام الولي بكل هذه الأدوار المتمثّلة في النّماذج العملية ما كان ليحدث ما حدث، وما كنّا نطلب من أبنائنا ما لم نقم به نحن!.

التّواصل اللّغوي المبتور

19 جانفي 2020

التّواصل في عصرنا الذي نعيشه أصبح عملية تلازمنا في كلّ لحظة وفي كلّ حركة، سواء كان تواصلا لسانيّا لفظيّا، أو تواصلا حركيّا إيحائيّا؛ أي أنّه لا يستعمل اللّسان واللّفظ، مثل: لغة الجسد، اللباس...

لكن يبقى التّواصل اللّغوي في مرتبة الرّيادة باعتباره تواصل العامّة ولا يحتاج لأهل التّخصّص لقراءة ما وراء الرّسالة، ولأنّه تواصل باللّغة بين طرفين يحسنان على الأقل الحدّ الأدنى من رموز لغة التّواصل بينهما، واللّغة كوسيلة اتصّال وتواصل هي نظام يمثل عدد من الكلمات والتّراكيب والقواعد المتّفق عليها بين أفراد الجماعة اللّغوية الواحدة، أي اللّغة المشتركة التي تضمن عملية التّواصل بين أفرادها.

فهل تتمّ عملية التّواصل وأحد أطراف العملية التّواصلية اللّغوية لا يحسن نظام التّرميز الذي يحسنه الطرف الآخر؟

منذ القديم والدّراسات جارية للإجابة على هذا السّؤال، والتّنظير والتّقعيد للتّواصل بين البشر بمختلف الوسائط، وقد تمركزت جلّ الأبحاث حول التّواصل اللّغوي وآليته وفعاليته وطرق نجاحه، لأنّ التّواصل اللّغوي السّليم له إسهام في تنمية وتحسين مختلف نواحي الحياة، وعلى سبيل المثال لا نتصوّر نجاحا سياسيّا لأمّة لا تشترك في لغة تواصلية تضمن التّواصل الفعّال بين حاكمها ومحكومها.

ومع بدايات القرن التّاسع عشر وصلت الأبحاث إلى نتيجة مهمّة، حين أسّس العالم الرّوسي "رومان جاكبسون" (1896 - 1982) نظريته الشّهيرة في التّواصل، وقد بناها على عدد من العناصر الفاعلة والضّرورية التي يكتمل بها أيّ تواصل، ومنها: المُرسل، المرسَل إليه، القناة، جهاز الإرسال، نظام التّرميز ويسمى أيضا السَنَن أو الشّفرة، الرّسالة، والسّياق[1].

---

1 للمزيد ينظر ليلى زيان: عملية التواصل اللغوي عند رومان جاكبسون، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الثاني، العدد 01، بتاريخ: 15 مارس 2016.

ولفكّ الغموض نركّز على مصطلح نظام التّرميـز، فنظام التّرميـز هو ما اتفقت عليه الجماعة من رموز ووحدات لغوية مفهومة وواضحة بينهم، فهي شفرة يستطيع فكّها من اشتركوا في لغة واحدة، وهو ما نلمسه في أنّ الجزائري عندما يخاطب التّونسيّ مثلا، فمن اليسير على التونسيّ فكّ الشفرة وفهم الرّسالة، لأنّهما يشتركان في النّظام التّرميـزي الواحد للّغة العربية، لكنّ لنتصور العكس لو أنّ الجزائري خاطب الإسباني، فالأكيد أنّ الرّسالة لن تمرّ ولن تصل، لأنّهما لا يشتركان في النظام التّرميّـزي للّغتين العربية والإسبانية، وهنا يقع الخلل وتتوقّف أيّ عملية تواصلية نفعية بينهما، وحتّى وإن تمّ إدخال وسيط وهو التّرجمة، فإنّ التّرجمة لا تؤدّي الرّسالة كاملة لأنّها تفتقد إلى الجانب التّعبيـري والشّعوري الوجداني.

ومن هنا نجيب على السؤال أعلاه: أنّه لا يمكن أن تتمّ عملية التّواصل وأحد أطراف العملية التّواصلية اللّغوية لا يحسن نظام التّرميـز الذي يحسنه الطرف الآخر، وهذا ينطبق تمام الانطباق على المسؤول الذي يخاطب العامّة بلغة غير لغتهم، فهل يتمّ التّواصل؟ وهل تتمّ اللّحمة الوجدانية والنّفسية بين المسؤول والعامّة للوقوف معه وبجانبه؟ وهل يبعث خطاب المسؤول شعور الانتماء والاعتزاز عندهم؟ والمؤكّد أنّ العامّة ترى وأنّ مخاطبتها بلغة غير لغتها هو استخفاف بها، وأنّ مُخاطبهم لا ينتمي إليهم، ومن أحسّ هذا الإحساس سيبني جدارا عازلا بينه وبين من يخاطبونه، ومن ثمّ لن يساهم أي إسهام يراه يخدم هذا المُخاطب.

صفقة القرن والحلّ الفلسطيني

09 فيفري 2020

من البديهي أنّ القضية الفلسطينية هي قضية جميع المسلمين، بل قضية الإنسانية جمعاء؛ كقضية عادلة وفق كلّ المواثيق والأعراف، تَوَجّب الوقوف إلى جانبها كواجب إنساني وكحقّ مشروع، وتزداد مسؤولية المسلمين أكثر من غيرهم، في استرجاع هذا الحقّ، ثمّ تزداد مسؤولية الفلسطينيين أكثر من بقية المسلمين؛ لأنّ القضية بالنّسبة لهم: قضية دينية مقدّسة، وقضية الوطن الفلسطيني المغتصب.

والـمُسَلَّم به وما علّمنا التّاريخ أنّ الدّفاع عن أيّ قضية يتطلّب أوّل ما يتطلّبه توحيد القوى وتجميع المقدّرات المختلفة المادّية والفكرية؛ من أجل التصدّي للمغتصب وبكلّ الوسائل، لتشكيل السّد المنيع، والقوّة الـمُقاومة لإرهاق العدو.

ومن طبع العدو المغتصب التقاط واستغلال الثغرات التي تساهم في استقوائه وإطالة سيطرته وبقائه، بل يخطّط ويصنع ويبتكر ما يُضعف أهل الحقّ وأصحاب الأرض، وتزداد فرص نجاح أيّ محتلّ إلّا بنجاحه في تمزيق وهزّ وزعزعة من يتصدّى له، أو ينتهز فرصة الاختلاف والانشقاق للانقضاض على الهدف؛ مثلما حدث في العهد العبّاسي من خلافات سّياسية ومذهبية بين الشّيعة وأهل السنّة، وبين الشافعية والحنابلة على الجهر بالبسملة في الصّلاة، ووصل الأمر إلى سفك الدّماء[1]، فانتهز التتار الفرصة واسقطوا الدّولة وغدت مدينة بغداد مركضا للتتار ومدينة للأشباح.

وبغضّ النّظر عن مسبّبات انقسام الشّعب الفلسطيني، وبعيدا عن محاكمة طرفي الانقسام، فإنّ الشّرخ أصبح واقعا معيشا، والغريب أنّ الشعوب العربية والإسلامية ساهمت في تعميقه باصطفاف البعض إلى طرف، والبعض

---

1 ينظر: رائد جميل عكاشة: محمد رشيد رضا: جهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط01، سنة 2007، ص 79.

الآخر إلى الطرف الثّاني، بدل الضّغط للتّصالح وتكريس ثقافة لمّ الشّمل، ولا شكّ أنّ هذا الوضع أسهم وسيساهم في راحة وطمأنينة العدو سياسيّا و اقتصاديّا، مع التّصعيد المستمرّ والإمعان في الخراب على الميدان، وفرض سياسته وآرائه وطرح مبادراته ومحاولة فرض حلوله وقدرته على إقناع الأطراف الأخرى بها، كما يرى ومتى تتحقّق مصلحته، لخلو السّاحة من منافس سياسيّ شغله وضعه الدّاخلي الذي أفقده القوّة ليناطح عدوّه ميدانيّا، ويفرض وجهة نظره.

هذا الفراغ والواقع الفلسطيني المنقسم وحالة الترهّل في نُصرة القضية الفلسطينية، جعل الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" يطرح "صفقة القرن" مع تغييب تامّ للطرف الفلسطيني، والأكيد سوف لن يقبل أيّ طرف فلسطيني هذا الحلّ، وسوف يتكرّر طرح المبادرات الـمُجحفة ما دام الطرف الفلسطيني على هذه الحال داخليّا، ولا وجود لمناصرين أقوياء له خارجيّا، لتبقى الخطوة الأولى نحو الحلّ؛ و أنّه لا مناص من توحّد الفلسطينيين، وإن لم يحدث ذلك فلا مناص من الذّهاب إلى ما ذهب إليه قادة الثّورة الجزائرية في صيف سنة 1954 حين تجاوزوا الطرفين المتنازعين (المركزيين والمصاليين) وأعلنوا الثّورة فلحق بهم الشّعب الجزائري، فربّما سيكون أقرب طريق لاسترجاع القوّة للشّعب الفلسطيني؛ ظهور نخبة سياسية تتجاوز الطرفين المنقسمين، وتُقنع الشّعب الفلسطيني بوجهة نظرها فيلتفّ حولها، وتتشكّل القوّة الضّاغطة التي لا تُفرض عليها الحلول الشّبيهة بـ"صفقة القرن".

جنسية الصّومعة

01 مارس 2020

كثـــر الحديث هذه الأيّام حول صــومعة محطّة القطار بمدينة الوادي وموقعها المتقدّم عن المبنى الجديد للبلدية، وأشار البعض إلى الهوّة بين الـمَعْلمَين من النّاحية الشّــكلية والتّصــميميّة والزّمنية والوظيفيّة، ووفقا لهذا التّناقض الصّارخ وطغيان الصّومعة بصريا على مبنــى بلدية الوادي، طالب البعض بهدمها وحجّتهم أنّها من مخلّفات الاســتعمار وأنّها أثر ومّعْلم فرنســي، بينما رأى البعض الحفاظ عليها كمعلم تاريخي يوثّق لتاريخ القطار بالوادي، كما تتجسّــد فيها معالم العمارة التّقليدية "السّوفية".

وتاريخيًا فإنّ الصّومعة تعود إلى أربعينيات القرن الماضي، حين قرّر الحاكم العام للجزائر بتاريخ الرّابع من شهر فيفري سنة 1946 ربط مدينة الوادي بمحطة "اســطيل" للقطار، وبدأت الأشــغال ســريعة في يوم الفاتح من أفريل ســنة 1946 وانتهت في شـــهر أكتوبر ســنة 1946، وتمّ ذلك بســواعد أهل المنطقة، وفق عملية استغلالية هي أشبه بـــ"السُّخْرَة ولِحْلَاسْ"[1]، فكانت الصّومعة آخر نقطة يصلها القطار القادم من الشّمال، والذي توقّف عن المجيء نهائيًا في شهر ماي سنة 1958.

فإن كانت هذه الصّــومعة قد ارتبطت زمنيّا بأواخر الفتـــرة الاســتعمارية، فإنّها من النّاحية الإنشــائية والتّصــميمية لا علاقة لها بالثّقافة الفرنســية

---

1 السخرة: هي التسخير للعمل بالقوة مقابل شيء من المؤونة، وهو ما فعلته فرنسا في إنجاز كثيــر من المشاريع، أما لحلاس: وهو تسخير الإبل بالقوة مع مالكها لتوصيل مواد البناء والمؤونة إلى الصحراء، خاصة جهة طريق البايلك بين الوادي وغدامس عندما كانت السلطات الاستعمارية تبني أبراج المراقبة العسكرية في هذا الطريق، وقد أثّر لحلاس على مالكي الإبل وماتت كثيــر من إبلهم في الصحاري، حتّى أنهم أرّخوا به فسمّوا سنة 1936 بعام لحلاس الأول، وعام 1939 عام لحلاس الثاني، أما لحلاس الظاهر أنها جاءت من الحلس أي ما يوضع على ظهر البعير لكي لا تؤثر فيه الحمولة، وجاء في "لسان العرب" أن حلس والحِلْسُ والحَلَسُ: كلُّ شَيْءٍ وَلِيَ ظَهْرَ الْبَعِيرِ وَالدَّابَّةِ تَحْتَ الرَّحْلِ والقَتَبِ والسَّرْج. . وَقِيلَ: هُوَ كِسَاءٌ رَقِيقٌ يَكُونُ تَحْتَ الْبَرْذَعَةِ، وَالْجَمْعُ أَحْلاس وحُلُوسٌ. وحَلَس النَّاقَةَ وَالدَّابَّةَ يَحْلِسُها ويَحْلُسُها حَلْساً: غَشَّاهما بِحِلْسٍ. . أَحْلَسْتُ بَعِيرِي إِذا جَعَلْتَ عَلَيْهِ الحِلْسَ.

الاســتعمارية، لأنّها بُنيت بمادّة أوّلية من الوادي، فحجر "التّافزة"[1] من مقاطع النّاحية الشّــمالية بالوادي، ثم تمّ حرقها وتحويلها إلى جبس تقليدي في الأفران التّقليدية "الكوشة"[2] بصحن القارة الغربية، كذلك حجر "اللّوس"[3] المحلّي فهو من شــرق وشــمال مدينة الوادي، و"مْعَلَّمْ"[4] البناء من منطقة وادي ســوف إن لم يكن من عائلة "قاقه"[5] بمدينة قمار فسيكون من أحد تلامذتها، واليد العاملة المساعدة من الوادي، لأنّ الفرنسيين لا يعرفون شيئا من مهارات البناء التّقليدية السّوفية، ولذلك استمدّت الصّومعة جنسيتها من محيطها.

وحتّى المهندس الفرنسي الذي وضع مخطّط الصّومعة وما يحيط بها، أخذ كلّ عناصــر المخطّط من روح الهندســة المعمارية التّقليدية السّــوفية، بداية من الشّكل المغربي للصّومعة ولواحقها، إلى استعمال عنصر القبّة والأقواس الدّائرية والنّقوش البارزة بطابعها المحلي والأفاريز[6] المصنوعة بالجبس التّقليدي المُغربل.

فإن كان الزّمن هو من يحدّد جنســية أيّ إنجاز أو أيّ عمل إبداعيّ مهما كان نوعه، فإنّه لم يعد أيّ قيمة لروح هذا العمل ومُنجزه وطابعه ومختلف ســياقاته، وإلا اعتبرنا الأعمال الأدبية لأحمد رضــا حوحو أو روايات مولود فرعون هي أعمال

---

[1] التافزة: حجر كلسي رسوبي يقال أنه نشأ من مخلّفات المياه التي كانت تغمر أرض وادي سوف، ويوجد هذا الحجر في غيطان النّخيل وفي معظم أراضي المنطقة.

[2] الكوشة: فرن تقليدي يُبنى بمادة الجبس، أو يحفر وينحت في مقاطع حجر التّافزة، وبه فرن سفلي للنار، وجزء علوي توضع فيه حجارة التّافزة لتشعل تحتها النّار.

[3] اللّوس: ويسمى وردة الرمال لأنّ شكله يشبه شكل الوردة، وهو حجر صلب مقاوم للرّطوبة يوجد في المناطق الرّملية، وفي الغيطان مغمورا، يستعمل للبناء، كما يستعمل كمقتنيات سياحية يباع للسوّاح.

[4] مْعَلّم: وهو البنّاء التّقليدي الذي لم يتلق أي تكوين علميّ في الهندسة والبناء.

[5] قاقه: عائلة من مدينة قمار اشتهرت بإتقانها للبناء التّقليدي والزّخرفة والنّقش، منهم المؤسّس الأوّل: عمر قاقه: وهو عمر بن محمد بن إبراهيم وهي التّسمية التي حملها قبل وضع الألقاب، كان من أشهر البنّائين والنقّاشين في وادي سوف، وقد أسندت له إنجاز ونقش عدة مباني أهمّها مبنى البريد المركزي بالعاصمة وقاعات قصر الشّعب، ونظرا لبراعته منحت له عدة شهادات وأوسمة من طرف السّلطات الفرنسية والمملكة التّونسية، توفّي رحمه الله سنة 1944م عن عمر جاوز الثّمانين سنة.

[6] الأفاريز: جمع إفريز: وهو الشّريط المزخرف والمنقوش بالجبس أو بغيره، ويمثّل حزاما في المبنى أو يمثّل نهاية من نهايات المبنى، أو يمثل تزيينا لجزء من أجزاء البناية.

أدبية فرنسية لأنّها أنجزت وكتبت في عهد الاحتلال الفرنسي، وأنّ أعمال الرّوائي "ألبير كامو" هي أعمال جزائرية لأنّه من مواليد بلدة "الذرعان" بالطارف حاليا، ودرس بجامعة الجزائر، لكن لمّا كانت روحها فرنسية صنّفت ضمن الأدب الفرنسيّ.

وبالعودة للصّومعة نرى وأنّها استمدت قيمتها التّراثية والتّاريخية من روحها التي نُفخت فيها من عمق أعماق المنطقة وبسواعد أهل المنطقة، وهنا تكمن صعوبة إزالتها، لكن الحلّ الجذري هو السّعي سريعا لعودة القطار إلى مدينة الوادي، وبناء محطّة القطار بنفس الطّابع المعماري وبصومعة جديدة مطابقة تمامًا للصّومعة الموجودة حاليًا، وحينها يمكن التّفكير في إزالة صومعة محطّة القطار التّاريخية.

خاتمة

إنّ المقالات الواردة في هذا الكتاب هي خلاصة ثلاث سنوات من النشر الأسبوعي لعمود صحفي، فالأكيد أنّ أسلوبها لن يتمرّد عن الأسلوب الإعلامي الذي يجنح إلى البساطة والسهولة، ولغتها لم تتخلّ عن التيسير والسلاسة، ومنهجيتها لا تخلو من الرّأي ووجهة النّظر، كما لا تخلوا من الحقائق العلمية المستندة إلى مراجع ومصادر موثقة.

كما تتّسم بشيء من الإبهار والشدّ من خلال مواضيعها وعناوينها، باعتبارها رصد لما يجري من أحداث وظواهر بين نشر العمود والعمود الموالي، وتناول للمناسبات والمحطّات الهامّة التي تستأهل الحديث عنها والتعريف بها، مع الاجتهاد في أن تكون مركونة في سياقها ومجالها، وتجنّب الخوض في مواضيع تبدو غريبة وغير مستساغة في عمود يحمل عنوان: "شذرات ثقافية"، كالمواضيع السياسية مثلا، والتي لها أهلها ولها أعمدة و افتتاحيات خاصة بها.

ولذلك سيقف القارئ على حقيقة المقالات التي لا تخرج عن إطارها، وعن تحديدها في العنوان: "مقالات في الثّقافة والفكر والتّاريخ"، كما سيقف على نتائج منها:

. بمرور الزمن ستكون هذه المقالات صورة يُستشفّ منها بعض حقائق عصرها.

. تعكس ملامح الفكر، وهامش حرّية التّعبير وعالم الصّحافة المكتوبة.

. ترسم ملامح المشهد الثّقافي السّائد، ولا تخلو من لمحات حول الحياة الأدبية وتوصيف مساراتها و اتجاهاتها وما وصلت إليه، كما تضمّنت تصورات نقدية وأراء حول النّقد والنقّاد.

. لم تهمل المقالات الأدب الشّعبي والثّقافة الشّعبية عامّة، والاستفادة مما ورد فيها من قيم وحقائق خضعت للتجريب.

والخلاصة هذا ما وصل إليه الاجتهاد، فكان هذا العمل بما فيه من محاسن، لا يخلو من نقائص كعمل بشري غير مكتمل، لأنّ الكمال لله وحده.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الكتب المطبوعة

- ابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار ج05، تح وتع: مأمون الصاغرجي وعدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط01، سنة 2002.

- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين ج02، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، سنة 1996.

- ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، تح: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي – بيروت، ط01، سنة 1983.

- ابن عبد ربّه، العقد الفريد ج01، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط01، سنة 1983هـ.

- ابن كثير، البداية والنهاية ج02، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط01، سنة 1988، ج08.

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط 03، سنة 1414 هـ.

- أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط01، سنة 1964م.

- أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم: حياته و آثاره، شهادات ومو اقف، دار الأمة - الجزائر، سنة 1997.

- ازغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 - 1962، م. و. ك - الجزائر، ط01، سنة 1989.

- أسامة إبراهيم حافظ، وعاصم عبد الماجد محمد، مبادرة وقف العنف: رؤية و اقعية ونظرية شرعية، مكتبة العبيكان، ط01، سنة 2004.

- أمارتيا سن، السلام والمجتمع الديمقراطي، تر: روز شوملي مصلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت، ط01، سنة 2016.

- إيناس محمد البهيجي، تاريخ الدولة الأموية، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر والتوزيع، ط01، سنة 2016 .

- أبو الحسين مسلم، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ج04، دار الجيل – بيروت، ودار الأفاق الجديدة .بيروت، دط، دت.

- البيهقي، السـنن الكبرى ح09، تح: محمد عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، سنة 1423هـ - 2003م.
- بشير بلاح، كرونولوجيا الجزائر 1830 إلى 2000، دار دزاير أنفو - الجزائر، ط01، سنة 2013.
- الجنـرال ديغول: مذكرات الأمل - التجديد 1958- 1962، تر: سموحي فوق العادة، مراجعة: أحمد عويدات، منشورات عويدات - بيروت، ط1، سنة 1971.
- جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ ورقم الطبعة.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، سنة 1984.
- جلال يحي، المغرب الكبير 03 - الفترة المعاصـرة وحركات التحرير والاسـتقلال، الدار القومية للطباعة والنشر، ط01، سنة 1966.
- جميل صـليبا، المعجم الفلسـفي - بالألفاظ العربية والفرنسـية والإنكليزية واللاتينية ج01 - الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ط1، سنة 1994.
- الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصـف طريق المريد إلى مقام التوحيد ج01، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط02، سنة 2005.
- حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم: ضبط وتع وتص: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط03، سنة 1987.
- رائد جميل عكاشـة، محمد رشـيد رضـا: جهوده الإصـلاحية ومنهجه العلمي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط01، سنة 2007.
- رضا مالك، الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956- 1962، ترجمة فارس غضوب، دار الفارابي - بيروت، ط1، سنة 2003.
- الديوبندي، فيض الباري على صحيح البخاري ج04، تح: محمد بدر عالم الميرتهـي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط01، سنة 2005.
- سـقند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصـور إلى الوقت الحاضـر، تر: محمد صـلاح الدين حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، سنة 1958.
- الشـافعي، منحة الباري بشـرح صحيح البخاري المسـمى «تحفة الباري» ج01، تح: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، سنة 2005.
- الطوسي، ثلاثون فصلا (مختصر في معرفة التقاويم)، مركز البحوث والدراسات الفلكية.
- عزيزة فوال بابتي، موسـوعة الأعلام - العرب والمسـلمين والعالميين ج04، دار الكتب العلمية، ط01، سنة 2009.

- فرانكلين ســي. اشــبي، وارثر آر. بيل: تبني التفوق، تر: معين محمد الإمام، مكتبة العبيكان، ط01، سنة 2004.

- القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج09، المطبعة الكبــرى الأميرية، مصر، ط07، سنة 1323هـ.

- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج02، ج06، ج13، دار الكتب العلمية - بيروت.

- كرم علي حافظ، الإعلام وقضايا البيئة، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط01، سنة 2017.

- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، دراسات وبحوث وشهادات، ط1، سنة 2000.

- محمد بوزرارة، التخوم التونسية الليبية عبر التاريخ - نجع الذهيبات وجيرانه، دار سعيدان - سوسة، تونس، ط01، سنة 2014.

- محمد الجوهري، المفاهيم الأســاســية في الأنثروبولوجيا (مدخل لعلم الإنســان)، القاهرة 2008.

- محمد فهمي، لا تحيدوا عن طريق الحق، دار النشر يسطرون، ط01، سنة 2017.

- محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، الشــركة الوطنية للنشــر والتوزيع - الجزائر، ط01، سنة 1979.

- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ط1، سنة 1987.

- ــــــــــــــ، مجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمعه وحققه: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء - الجزائر، ط1، سنة 2003.

- ــــــــــــــ، اللهب المقدس، موفم للنشر - الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، سنة 2007.

- المعجم الوسيط ج02، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون طبعة ولا تاريخ.

- ميشال فوكو، جنيالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر - المغرب، ط02، سنة 2008.

- النووي، رياض الصالحين، تع وتح: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ط01، سنة 2007.

- نوبوأكي نوتوهارا، العرب وجهة نظر يابانية، منشورات الجمل - ألمانيا - ط1، سنة 2003.

- والترج. أونج، الشــفاهية والكتابية، ترجمة د. حســن البنا عز الدين، مراجعة د. محمد عصــفور، ســلســلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ط01، فيفري 1994.

- ول ديورانت، قصــة الفلســفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشــعشــع، مكتبة المعارف - بيروت، ط06، سنة 1988.
- هلا رشـيد أمون، منتخبات فلسـفية - باقة من أبرز النصـوص الفلسـفية مترجمة بالعربية من الإنكليزية - دار النهضة العربية، ط01، سنة 2012.
المذكرات
- تاجي إسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية 1927 - 1992، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجسـتير في التاريخ، جامعة منتوري قسـنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، السنة الجامعية 2006 - 2007.
- موســـاوي عربية، الفقارة بمنطقة توات و أثرها في حياة المجتمع - دراســـة تاريخية أثرية، أطروحة لنيل شـــهادة دكتوراه دولة في الآثار الإســـلامية، جامعة الجزائر - معهد الآثار، ســـنة 2007.
المجلات والجرائد
- زهير كامل قمر، التقاويم عبر التاريخ، مجلة القافلة، شـــركة أرامكو - الســـعودية، عدد: رجب 1415هـ- الموافق ل- ديسمبر 1994.
- عبد المومن تلايلف، 18 ديســـمبر اليوم العالمي للغة العربية، مجلة الخريدة، العدد 01، شـــهر جانفي 2016.
- فاطمة الفلاحي، الحرية في فكر يكتنـــزه الورق - قرأت لهم، الحوار المتمدن، عدد: 2793، بتاريخ: 08 أكتوبر 2009.
- ليلى زيان، عملية التواصـــل اللغوي عند رومان جاكبســـون، المجلة العربية للعلوم ونشـــر الأبحاث، المجلد الثاني، العدد 01، بتاريخ: 15 مارس 2016.
- محمد الجوهري، الطفل في التـــراث الشـــعبي، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام في الكويت، المجلد العاشر، العدد الثالث سنة 1979.
- نذير بالقرون. ولأنك جلول ملايكة، جريدة صوت الأحرار، بتاريخ: 29 أوت 2015.
- يحي بوعزيز، ملامح ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف دوغول تجاهها لغاية مظاهرات ديســـمبر 1962، مجلة الأصـــالة، عدد خاص 74/73، ســـبتمبر أكتوبر 1979، و. ش الدينية - الجزائر.
- البصـائر، ركن رجال ومواقف - محمد بلوزداد، عدد: 07 صـفر 1438، الموافق ل- 07 نوفمبر 2016.
- الثورة، عدد الأحد 27 أفريل 2008.

- الجريدة الرسمية للجمهورية الجز ائرية، العدد: 37، بتاريخ: أول شعبان 1432هـ- المو افق ل- 03 يوليو (جويلية) 2011.

- الحوار، مسجد الجز ائر الأعظم. . القصة الكاملة (ملف)، عدد: 20 نوفمبر 2016.

- الدستور، العدد 2049، بتاريخ الأربعاء 09 ربيع الأول 1429هـ- المو افق ل- 16 أفريل 2008 م.

المحاضرات والوثائق

- أشغال ورشة إعادة الاعتبار للنظم الزراعية التقليدية، يوم الخميس 29 جانفي 2009، بنزل غيطان بلاص بالوادي.

- دليل المفاهيم والتعريفات السياحية المتعارف عليها دوليا، سلسلة نشر الوعي السياحي - الإصدار الخامس، وزارة الاقتصاد الإمار اتية.

- محاضرات الذكرى الأربعين لشهداء رمضان، اللجنة الولائية لإحياء الاحتفالات الوطنية لولاية الوادي، بتاريخ: 24 و25 أفريل 1997، بدار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي.

- وثائق تتعلق بالسيرة الذاتية للفنان التشكيلي عبد الله حامدي استلمتها منه يوم الأحد 20 أكتوبر 2013 بقاعة المعارض بدار الثقافة بالوادي بحي الشط.

- وثائق مصدرها المنظمة الولائية للمجاهدين بالوادي، نسخة منها بين أيدينا.

الإعلام والنت

- تاريخ الجز ائر 1830- 1962، قرص من إنتاج المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، باب التراجم، سنة 2002.

- شريط وثائقي حول مولود قاسم نايت بلقاسم، بثته قناة "كنال ألجيري" .

- موقع اليونسكو: http://www. un. org/ar/events/bookday

- موقع المنظمة العالمية للسياحة UNWTO، www. unwto. Org

الفهرس

المؤلف



- هو بن علي محمد الصالح بن خليفة
- من مواليد 1965 بالنخلة ولاية الوادي.
- خريج المعهد التكنولوجي للتربية بجيجل.
- فنان تشكيلي وكاتب.
- أقام العديد من المعارض المحلية والوطنية والدولية.
- نشـر الكثير من أعمـالـه الفنيـة والأدبيـة بـالصـحـف الوطنية.
- حاصل على عدة جو ائزولائية في الفن التشكيلي.
- حاصل على جائزة وطنية في الفن التشكيلي.
- حاصل على جائزة وطنية في قصة الطفل.
- حاصل على جائزة وطنية في البحث التربوي.
- حاصل على جائزة وطنية في كتابة المقال الصحفي.
- متحصل على عضوية الديوان الوطني لحقوق المؤلف.
- عضو بالمجلس الولائي للثقافة بالوادي (2000 – 2005)
- مصنف ضمن موسوعة العلماء والأدباء الجز ائريين.
- مهتم بالبحث وتدوين الأدب الشعبي له مؤلفات في ذلك.
- حاصل على السنام الذهبي لأحسن كاتب للموسم الثقافي 2013/2012 بالوادي.
- حاصل على وسام رئيس الجمهورية الخاص بالذكرى الستين للثورة التحريرية.
- حاصل على بطاقة الفنان. مؤلف. الرقم التعريفي الوطني: ....
- صحفي (متعاون) بجريدة الجديد اليومي، (كاتب عمود "شذرات ثقافية"، ومقالات).
- معـد ومقـدم برامج بـإذاعـة الجز ائر من الوادي: "حكايـات زمـان"، "ومضــات من تاريخنا"، و"كلام جدود".

كتب صدرت للمؤلف

- الرسام الصغير (سلسلة تربوية لتعليم الرسم والخط العربي)
- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف.

- **الألغاز الشعبية في وادي سوف (الجزء الأول).**
- **في ربوع الجزائر (قصة مصورة للأطفال).**
- **مفكرة نهاية القرن العشرين (بالاشتراك).**
- **الواضح الجلي في تاريخ أولاد مبروكة وشجرة بن علي.**
- **من روائع الشاعر الشعبي علي عناد.**
- **عبد الرزاق شوشاني شاعر الوطن والبادية.**
- **الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية.**
- **الألغاز الشعبية بوادي سوف (دراسة ومدونة).**
- **الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح.**
- **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف، حي الأعشاش نموذجا (1400 – 2011م) دراسة تاريخية وصفية، (الجزء الأول)**
- **شهداء الثورة التحريرية ببلدية النخلة.**
- **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف، حي الأعشاش نموذجا (1400 – 2011م) دراسة تاريخية وصفية، (الجزء الثاني).**
- **سلسلة "أحب وطني"، قصص مصورة للأطفال، صدر منها**
  - **.في ربوع الجزائر (ط02)**
  - **.صانع الأعلام**
- **سلسلة قصص الأطفال: (الأنيس 01) وتتألف من:**
  1. **دكدوك العنيد**
  2. **الغزالة المغرورة**
  3. **الجمال الحقيقي**
  4. **الجدي الحكيم**
  5. **الذئب والأرانب**
  6. **حين نتفرق يأكلنا الذئب.**
- **رحلة المثل الشعبي من المورد إلى المضرب (قصص أمثال من وادي سوف)**

فالكتابة شهادة وخلود. فما نكتبه اليوم هو شاهد عصرنا، وصورة ناصعة واضحة عن طبيعة ثقافة الزّمن الذي أُنشِئت فيه. وهي خلود لأنّها تخلّد قناعاتنا وعصارة أفكارنا ما دامت الأيّام بالنّاس، وتنقل تجاربنا للأجيال القادمة.

ومهما كانت قيمة ما نكتبه اليوم، فإنّه سيستمدّ قوّته أكثر من تقادمه التّاريخي، وسيأخذ حقّه بالدّراسة بعد زمن غير زمانه وبكلّ موضوعية بسبب التّباعد الزّمني بين المنشئ للنّص، وبين النّص كمادّة خالصة يتمّ التّعامل معها بعيدًا عن مُنشِئها.





مطبعة الرمال
ولاية الوادي - الجزائر
imprimerierimel39@gmail.com
032 14 93 39